٣٠١٠٢٠٠٠٠٣٨٩٨

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

٣٨٩٨
١٠٠١٨٤١

دور التربية الإسلامية في تطبيق صفات المؤمنين والتحذير من صفات المنافقين كما وردت في سورة التوبة

إعداد الطالب
عبد المحسن محمد عبد الله الأزوري

إشراف
أ . د . محمود محمد عبد الله كسناوي

بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة

الفصل الأول
١٤٢٢/١٤٢١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى- كلية التربية
قسم التربية الإسلامية

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات المطلوبة

الاسم : عبد المحسن محمد عبد الله الأزوري الكلية : التربية

القسم : التربية الإسلامية والمقارنة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير

عنوان الأطروحة

" دور التربية الإسلامية في تطبيق صفات المؤمنين والتحذير من صفات المنافقين كما وردت في سورة التوبة "

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد .

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة عاليه والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤٢٢/١/٧هـ بقبول الأطروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة، وحيث تم عمل اللازم .

فإن اللجنة توصي بإجازة الأطروحة في صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكميلي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه .

والله الموفق

أعضاء اللجنة

المشرف	مناقش من القسم	مناقش من خارج القسم
أ.د. محمود بن محمد كسناوي	د. صالح بن سليمان العمرو	د. عبد الله بن عمر الدميجي
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

يعتمد

رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة

د/ نايف بن حامد الشريف

---

* يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة

ملخص الدراسة

عنوان الدراسة : دور التربية الإسلامية في تطبيق صفات المؤمنين والتحذير من صفات المنافقين كما وردت في سورة التوبة .

اسم الباحث: عبد المحسن محمد عبد الله الأزوري .

أهداف الدراسة : التعرف على الآيات المتعلقة بصفات المؤمنين في سورة التوبة، ومعرفة مجالات تطبيقها، والآثار التربوية الناتجة عن تطبيقها . وكذلك التعرف على الآيات المتعلقة بصفات المنافقين في سورة التوبة، ومعرفة مجالات تطبيقها والآثار التربوية الناتجة عن تطبيقها .

تساؤلات الدراسة: ١ – ما أهمية سورة التوبة التربوية ؟

٢ – ما صفات المؤمنين في سورة التوبة ؟

٣ – ما صفات المنافقين في سورة التوبة ؟

٤ – ما دور التربية الإسلامية في تطبيق صفات المؤمنين التي وردت في سورة التوبة ؟

٥ – ما دور التربية الإسلامية في التحذير من صفات المنافقين التي وردت في سورة التوبة؟

منهج الدراسة : استخدم الباحث في دراسته المنهج الوصفي .

فصول الدراسة : قسم الباحث دراسته إلى فصل تمهيدي وخمسة فصول على النحو التالي :

الفصل الأول : سورة التوبة وأهميتها التربوية .

الفصل الثاني: صفات المؤمنين في سورة التوبة .

الفصل الثالث: صفات المنافقين في سورة التوبة .

الفصل الرابع : التطبيقات التربوية لصفات المؤمنين في سورة التوبة.

الفصل الخامس: التطبيقات التربوية للتحذير من صفات المنافقين في سورة التوبة .

الخاتمة : وفيها نتائج الدراسة، والتوصيات، **ومن أهم النتائج** :

١ – إن منهج القرآن الكريم في تربية النفوس هو المنهج الأمثل والنموذج الأفضل بعيداً عن شرقي العلوم وغربيها.

٢ – إن سورة التوبة اعتنت بجانب التوجيه والتشريع، وتناولت أسس التربية الإسلامية، وقواعد الإصلاح والبناء، والتشريع المحكم المتين .

٣ – إن قيام كل من الفرد والأسرة والمدرسة والمجتمع بدوره المناط به من تطبيق لصفات المؤمنين وتحذير من صفات المنافقين في سورة التوبة سيعود بالخير والفلاح والنشأة الحسنة والاستقرار النفسي على الجميع.

ومن أهم التوصيات :

١ – الاهتمام بذكر التوجيهات التربوية في منهج التفسير الذي يدرس في مدارسنا وجامعاتنا .

٢ – العمل على تأصيل المناهج الدراسية في مختلف المراحل التعليمية تأصيلاً إسلامياً .

٣ – أن يكون القائمون على التربية والتعليم خير من يتصف بالأخلاق الحسنة والصفات الحميدة .

اسم الباحث	المشرف على الرسالة	عميد الكلية
عبد المحسن محمد عبد الله الأزوري	أ.د/ محمود محمد عبد الله كسناوي	أ.د/ محمود محمد عبد الله كسناوي

الإهـــــداء

* إلى أبي العزيز الذي غرس في قلبي حب العلم وأهلـه، وفقـه الله للعمـل الصالح ورزقه حسن الخاتمة .

* إلى أمـــي التي قامت بـتربيتي وتعليمـي، وصـبرت علـيّ كثـيراً، ومـاتت رحمها الله قبل أن أقطف ثمرة البحث فرحمها الله رحمة واسعة وأسكنها فسيح جناته .

* إلى إخواني وأخواتي الذين وقفوا معي وساندوني في حياتي .

* إلى زوجتي الغالية التي تحملت الكثير من أجلي ؛ لتأخذ بيدي، وتشد من أزري.

* إلى أولادي ، فلذات أكبادي ، ومقلة عيني، وراحة نفسي، الذين حُرمـوا بسبب انشغالي عنهم من الاستمتاع بوقتهم والترفيه عن أنفسهم .

شكر وتقدير

قال الله تعالى : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (ابراهيم، ٧) .

اللهم لك الحمد والشكر على ما أعطيت من النعم والفهم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

أتقدم بالشكر والتقدير والعرفان إلى مقام أستاذي الدكتور: محمود محمد عبد الله كسناوي، الذي لا أوفيه حقه، فجزاه الله عني خير الجزاء، وضاعف له جزيل العطاء، وجعله من ورثة الأنبياء .

وأشكر أيضاً أستاذي : الأستاذ الدكتور/ السعيد محمود السعيد، على إشرافه عليّ أثناء إعداد خطة البحث .

كما أشكر رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة وأعضاء هيئة التدريس الذين كان لهم اليد الطولى في إمدادي بالعلم النافع .

وأشكر أيضاً الدكتور/ محمود عطا، والدكتور / صالح بن سليمان العمرو، على تفضلهما بتحكيم خطة البحث .

كما أشكر عضوي هيئة المناقشة فضيلة الشيخ الدكتور : عبد الله بن عمر الدميجي عميد كلية الدعوة وأصول الدين، وسعادة الدكتور: صالح بن سليمان العمرو اللذين تفضلا عليَّ بقبول مناقشة دراستي فلهما مني خالص الشكر والتقدير.

كما أشكر كل من أفادني بنصح أو مشورة، فلهم مني كل تقدير واحترام. وجزاهم الله عني خير الجزاء .

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الفصل التمهيدي (المدخل إلى الدراسة)	
المقدمة .	١
موضوع الدراسة .	٤
أهمية الدراسة .	٦
أهداف الدراسة .	٨
تساؤلات الدراسة .	٨
منهج الدراسة .	٩
حدود الدراسة .	٩
تحديد مصطلحات الدراسة .	١٠
الدراسات السابقة.	١١
الفصل الأول	
سورة التوبة وأهميتها التربوية	
تعريف القرآن الكريم .	١٦
أسماء القرآن وصفاته .	١٧
القرآن شأنه عظيم .	١٨
القرآن منهج تربوي .	٢٠
مقدمة عن سورة التوبة .	٢٤
أهمية السورة التربوية .	٣٤
الفصل الثاني	
صفات المؤمنين في سورة التوبة	
مدخل إلى الفصل .	٣٨
صفة حفظ حدود الله .	٤٣

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
صفة طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .	٤٦
صفة طلب العلم .	٤٩
صفة العبادة .	٥٣
صفة التوبة .	٥٧
صفة الطهارة .	٦١
صفة الصلاة .	٦٦
صفة إيتاء الزكاة .	٧٠
صفة الصيام .	٧٣
صفة الجهاد .	٧٨
صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .	٨٥
صفة الحمد .	٨٩
صفة الصبر .	٩٣
صفة الصدق .	٩٧
صفة التعاون .	١٠١
الفصل الثالث	
صفات المنافقين في سورة التوبة	
مدخل إلى الفصل .	١٠٦
صفة الكفر .	١١٤
صفة سوء الأدب مع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .	١٢٠
صفة الرياء والسمعة .	١٢٧
صفة نكث العهد .	١٣٢
صفة الأيمان الكاذبة .	١٣٧

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
صفة أذية المؤمنين .	١٤١
صفة الحسد .	١٤٦
صفة البخل .	١٤٩
صفة الطمع .	١٥٤
صفة الجبن .	١٥٧
الفصل الرابع	
التطبيقات التربوية لصفات المؤمنين في سورة التوبة	
التطبيقات التربوية لحفظ حدود الله .	١٦٣
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق حفظ حدود الله .	١٦٤
التطبيقات التربوية لطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .	١٦٥
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .	١٦٦
التطبيقات التربوية لطلب العلم .	١٦٧
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق طلب العلم .	١٦٩
التطبيقات التربوية للعبادة .	١٧٠
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق العبادة .	١٧٢
التطبيقات التربوية للتوبة .	١٧٦
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق التوبة .	١٧٧
التطبيقات التربوية للطهارة.	١٧٩
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الطهارة .	١٨١

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
التطبيقات التربوية للصلاة .	١٨٣
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الصلاة .	١٨٥
التطبيقات التربوية للزكاة .	١٨٨
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الزكاة .	١٨٩
التطبيقات التربوية للصوم.	١٩٤
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الصوم .	١٩٦
التطبيقات التربوية للجهاد في سبيل الله .	١٩٨
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الجهاد في سبيل الله .	٢٠٠
التطبيقات التربوية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .	٢٠٢
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .	١٠٤
التطبيقات التربوية للحمد .	٢٠٧
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الحمد .	٢٠٩
التطبيقات التربوية للصبر .	٢١١
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الصبر .	٢١٣
التطبيقات التربوية للصدق .	٢١٦
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الصدق .	٢١٨
التطبيقات التربوية للتعاون .	٢٢٠
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق التعاون .	٢٢٢
الفصل الخامس	
التطبيقات التربوية للتحذير من صفات المنافقين في سورة التوبة	
التطبيقات التربوية للابتعاد عن الكفر .	٢٢٤
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الابتعاد عن الكفر .	٢٢٧

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
التطبيقات التربوية للابتعاد عن سوء الأدب مع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .	٢٢٨
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الابتعاد عن سوء الأدب مع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .	٢٣٠
التطبيقات التربوية للابتعاد عن الرياء والسمعة .	٢٣١
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الابتعاد عن الرياء والسمعة .	٢٣٣
التطبيقات التربوية للابتعاد عن الأيمان الكاذبة .	٢٣٤
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الابتعاد عن الأيمان الكاذبة .	٢٣٥
التطبيقات التربوية للابتعاد عن الحسد .	٢٣٦
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الابتعاد عن الحسد.	٢٣٧
التطبيقات التربوية للابتعاد عن نكث العهد .	٢٣٨
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الابتعاد عن نكث العهد .	٢٤٠
التطبيقات التربوية للابتعاد عن أذية المؤمنين .	٢٤٢
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الابتعاد عن أذية المؤمنين .	٢٤٣
التطبيقات التربوية للابتعاد عن البخل .	٢٤٤
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الابتعاد عن البخل .	٢٤٦
التطبيقات التربوية للابتعاد عن الجبن .	٢٤٧
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الابتعاد عن الجبن .	٢٤٩
التطبيقات التربوية للابتعاد عن الطمع .	٢٥٠
الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الابتعاد عن الطمع .	٢٥١
الخاتمة .	٢٥٢
النتائج .	٢٥٣
التوصيات .	٢٥٦
المصادر والمراجع .	٢٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة، ٧١).

وقال تعالى :

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة، ٦٧).

الفصل التمهيدى

- المقدمـــــة .
- موضوع الدراسة .
- أهمية الدراسة .
- أهداف الدراسة .
- تساؤلات الدراسة .
- منهج الدراسة .
- حدود الدراسة .
- تحديد مصطلحات الدراسة .
- الدراسات السابقة .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وقدوة للمربين ، وخير البشر أجمعين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته ، واقتدى به ، وسار على نهجه الى يوم الدين .

إن القرآن الكريم منهج رباني للناس كافة أنزله الله سبحانه ليسعدوا به في الدنيا والآخرة، شامل متكامل يعالج دقائق النفس البشرية، ويتغلغل في أعماقها، ويوجهها في واقع حياتها إلى أفضل ما يمكن أن تصل إليه من الكمال . يقول عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس، ٥٧). وهو منهج الله تبارك وتعالى المطّلع على النفس البشرية العليم بسرها وجهرها ، خالقها ورازقها ، المهيمن عليها ، يعلم ما يصلحها وما يفسدها . يقول تعالى : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك ، ١٤).

هذا الكتاب العزيز الذي هو حبل الله المتين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق من كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ (الجن ، ١ - ٢). فيه نبأ ما قبلنا ، وخبر ما بعدنا ، وحكم ما بيننا ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم ، فيه التربية ، وفيه التوجيه ، وفيه الفصاحة، وفيه البلاغة ، فيه أمثال رائعة ، وآداب وحكم نافعة ، وتشريع من لدن حكيم عليم ، فيه وعد ووعيد، وحرب وسلام، وأمن وخوف، وإرهاب واطمئنان، وحب وبغض ،

رفع أمة وحشية مستعصية ، فجعلها أمـة رحيمـة، وبعد الجـور عالمـة عادلـة ، وبعد وأد البنات ، وسفك الدماء ، محسنة مستقيمة، تحترم النفوس ، وتحقن الدمـاء ، فـأصبحت صحراء العرب بهدي القرآن جنة الدنيا ، ومنار الهدى، فدان قيصر لهيبتها ، وتمزق ملـك كسرى من عزتها وقوتها ، وأرسلت نور أشعتها على الشرق والغرب ، فدوى فيهما صوت الحق (الله أكبر الله أكبر).

هذا الكتاب الذي قال فيه رسول الهدى محمد بن عبـد الله صلـى الله عليـه وسلم فـي خطبة الوداع :" .. وقد تركت فيكم مـا لـن تضلـوا بعده، إن اعتصمتم بـه، كتـاب الله.. " (مالك، الموطأ، ١٤١٩هـ، جـ٢، حديث رقم ٣، ص٣٢١) و(مسلم ، صحيح مسلم، ١٤١٩هـ، حديث رقم٢٩٥٠ ،ص٥١٥) . وقال أيضـاً عليـه الصـلاة والسـلام :" ألا إنـي أوتيـت القـرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن ، فمـا وجدتم فيـه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرمـوه ، وإن مـا حرّم رسول الله كمـا حـرم الله" (أبـو داود ، السنن ، ١٤٢٠هـ، حديـث رقـم٤٦٠٥ ،ص٦٥١) و (الـترمذي ، السـنن ، ١٤٢٠هـ،، حديث رقم٢٦٦٣ ،ص٦٠٤) و (ابن حنبل، المسند، د. ت، جـ٤، ص١٣١) .

ولقد امتاز القرآن الكريم في تربيته للنفوس ، وإصلاحـه للمجتمعـات بمنـهج فريـد ، فهو في تكاليفه يواكب الفطرة ، فلا إفراط ولا تفريط ، وإنما توازن واعتدال بيـن التكـاليف والطاقات ، وهداية للتي هي أقوم . وقد أتى لكل علة بدواء ، ولكل مشكلة بعـلاج ، وبـهذا المنـهج أحدث الإسلام انقلاباً عظيماً في موازين الحياة الإنسانية ، وصاغ مجتمعاً لم تعرف الدنيا مثيلاً له في سمو خصائصه وتماسك أفراده ، ونهوضهم بأعباء الرسالة ، إلـى الحد الذي غيّر وجه الدنيا ،وقوّض دعائم الشرك ، وأظل العالم بـالأخلاق الفاضلـة والفضـائل ، بما لم تعهده الإنسانية من قبل . يقول الزركشي : " القرآن هو العصمة الواقية ، والنعمـة الباقية ، والحجـة البالغـة ، والدلالـة الدامغـة ، وهـو شفاء الصـدور ، والحكم العدل عن متشـابهات الأمـور " (البرهـان فـي علـوم القـرآن ، ١٤٠٠هـ ، ج١ ، ص٣) . ويقـول العماري: " إن من أحب الأمور إلى المسلم أن ينظر ، ويطيل النظر في كتاب الله تعالى ، إذ

يجد فيه راحة النفس ، وطمأنينة القلب ، وشفاء الصدر ، وغذاء الروح " (من حديث القرآن ،١٤١٩هـ ، ص٥) .

وعملاً بقول الله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء ، ٨٢) ، وقوله تعالى : ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام، ٣٨) وقوله تعالى:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل ، ٨٩) . وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الإسراء، ٩ - ١٠). وحيث احتوى القرآن الأسس ، والأصول ، والقواعد الكلية لكل شئ فإنه يجدر بالمتخصصين في مجال التربية الإسلامية على وجه الخصوص استنباط التوجيهات التربوية من كتاب الله تعالى بعدما اختلف الكثيرون من التربويين المعاصرين وتوجهوا قبل المشرق والمغرب ، يقتبسون نظم التربية والتعليم والتي لا تلائم المجتمع وأفكاره وعقائده، مخدوعين بتقدم الشرق والغرب وسيطرته على العالم ، ناسين أو متناسين أصولنا وتراثنا ، وعلى وجه الخصوص قرآننا الذي هو عصمة أمرنا ومنقذنا من الضلال والهلاك إذا تمسكنا به واتبعنا هداه .

والقرآن الكريم يحتوي على توجيهات تربوية عظيمة ، يجب أن تقوم عليها رعاية الشباب وتوجيهه في كل عصر وكل جيل ، للوصول بهم إلي شاطئ النجاة ، من أجل أن تبنى نفوسهم بناءً قوياً صلباً في وجه كل سلوك منحرف ، أو مرض اجتماعي خبيث .

وهذه التوجيهات التربوية التي قام عليها منهج التربية الإسلامية فريدة عن كل التوجيهات التربوية الأرضية لأنها من وحي الله تعالى ، ومتكاملة لأنها صادرة عن العليم الحكيم الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، وشاملة لكل نواحي الحياة ، ولكل جوانب الكيان البشري ، ومتوازنة فلا يطغى جانب على جانب ومنطقية فهي تلائم الفطرة ، وواضحة لا لبس فيها ولا غموض ولا تعقيد ، وقابلة للتحقيق لأنه لا تكليف إلا بمستطاع ،

وثابتة راسخة لا تتغير من حيث هي مستمدة من شرع الله القويم الذي لا يتغير ولا يتبدل ، ومع ثبات المبدأ يمتاز بالمرونة في التطبيق والتفريع والجزئيات . يقول تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (البقرة ، ١٨٥) . ويقول تعالى :﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة ، ٢٨٦).

موضوع الدراسة :

سورة التوبة، أو سورة براءة من السور المدنية التي تعنى بجانب التشريع ، وهي من أواخر ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما قال البراء بن عازب رضي الله عنه:" آخر سورة نزلت براءة". (البخاري ، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم ٤٦٥٤، ص٧٩٨) .

وهذه السورة الكريمة نزلت لتحديد علاقة المسلمين بأعدائهم ، وكان أعداؤهم على ثلاثة أقسام كل قسم منهم يكّون مجتمعاً خاصاً به ، وهذه الأقسام هي :

١ـ مشركو العرب .

٢ ـ أهل الكتاب (اليهود والنصارى) .

٣ ـ المنافقون .

وقد بدأت آيات السورة يتفجر أسلوبها، لأنها تنطلق من منطلق القوة ، فقد نزلت سورة التوبة بعد أن جاء نصر الله والفتح ، وبعد أن حطم رسول الله صلى الله عليه وسلم خرافة الأصنام . وتضمنت السورة تحديداً للعلاقات النهائية بين المجتمع الإسلامي والمشركين عامة في جزيرة العرب ، مع إبراز الأسباب العقدية ، والتاريخية ، والواقعية التي تقوم عليها هذه العلاقة بالأسلوب القرآني الموحي المؤثر في تعبيرات قوية الدلالة عميقة التأثير . كما تضمنت السورة تحديداً للعلاقات النهائية بين المجتمع المسلم وأهل الكتاب عامة ، مع بيان الأسباب العقدية ، والتاريخية ، والواقعية التي تحتّم هذه العلاقة. ثم نعت السورة على المتثاقلين الذين دعوا إلى التجهز لغزوة تبوك فتثاقلوا إلى الأرض وتكاسلوا عن النفير والجهاد في سبيل الله . (قطب، في ظلال القرآن، ١٤٠٦هـ، جـ٣، ص١٥٦٤) .

ثم تحدثت السورة عن المنافقين بجميع شرائحهم ، وكشفتهم وفضحتهم ، وتتبعتهم في الحواضر والبوادي لكي يتطهر المجتمع من شرهم ، ويسلم من مكرهم . " ولذلك سميت السورة (بالفاضحة) لأنها فضحت المنافقين ، وعرتهم للعيون ، كما تسمى (سورة البحوث) ، لأنها بحثت أسرار المنافقين ، كما تسمى (المبعثرة) لأنها بعثرت تلك الأسرار للعيان " (عقيلان ، من لطائف التفسير ،١٤١٩هـ ، ص٤٧).

ولقد أفاضت السورة في الحديث عن المنافقين بسبب خطورتهم على بنية المجتمع ، وسلامته من الداخل ، وتماسكه ووحدته ، ولقد كان المجتمع الإسلامي يتهيأ في ذلك الوقت للخروج برسالة الإسلام إلى شعوب الأرض في جميع أقطارها ، فلا بد أن يكون مجتمعاً قوياً متماسكاً معافى من بؤرة النفاق ، حتى يستطيع النهوض بالمهمة الكبيرة الملقاة على عاتقه .

وهذه السورة بينت أيضاً صفات المؤمنين الذين يبذلون أموالهم وأنفسهم في سبيل إعلاء كلمة الله ، وبشرتهم بفضل الله ورحمته والجنة وأعلنت السورة توبة الله سبحانه وتعالى على المؤمنين الثلاثة الذين خُلّفوا عن غزوة تبوك ومدحت صدقهم. يقول الميداني : " من الملاحظ في الأسلوب القرآني أنه كلما طال الحديث في هذه السورة عن المنافقين كان من الحكمة الربانية إعطاء المؤمنين حظاً من البيان يتصل بهم. وفي هذا الأسلوب شد لانتباه المتلقين ، بعرض المتقابلات (المتناقضات والمتضادات والمتخالفات) وذلك لأن سرد الكلام حول نموذج واحد يُمَّل، ويورث الغفلة أو الفتور . ومعلوم أن من عناصر الجمال المراوحة بين النقائض والأضداد والمتخالفات، مع ما في هذا الأسلوب من شحذ لهمم المؤمنين ليزدادوا إيماناً وعملاً صالحاً ، واستثارة لدوافع الغيرة لدى الكافرين والمنافقين، عسى أن يصحو منهم من في قلوبهم بذور خير، أو جذور فضيلة " (ظاهرة النفاق ، ١٤١٤هـ،جـ٢، ص٣٨١) .

وقد وجهت السورة المؤمنين إلى أن تكون استجابتهم الجماعية لتنفيذ الواجبات الشرعية العامة ، استجابة منظمة واعية ، تراعى فيها جميع المصالح الضرورية للأمة .

وأوضحت السورة أنه يجب على المؤمنين أن يكون جهادهم لأعدائهم منظماً مدروساً ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة ، ١٢٣) . يقول طهماز : " هذه الآية ترسم للمسلمين الخطة التي يجب اتباعها في قتال جميع الكفار فلا ينبغي أن يفتحوا على أنفسهم جبهات متعددة في وقت واحد ، إذا كانوا لا يستطيعون القيام بها ، كما هو الحال في أمر الدعوة ، يبدأ الإنسان بدعوة الأقرب فالذي يليه حتى يصل إلى البعيد ، ولهذا قال تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم في أول الأمر ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء ، ٢١٤) . إلى أن قال : فشؤون الجهاد والدعوة وغيرها يجب أن تخضع لخطة مدروسة مرسومة ، ولا ينبغي أن تكون قرارات المسلمين ومواقفهم فيها ارتجالية عاطفية ، حتى لا يتمكن أعداء الإسلام من استدراج المسلمين إلى الوقوع في شراك خداعهم ومكرهم" (البلاغ الأخير في سورة التوبة ، ١٤١٤هـ ، ص ١٢٩ - ١٣٠).

وقد تضمنت السورة أيضاً تصنيف المجتمع الإسلامي والعناصر التي كان يتألف منها قبيل انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، وحرصت السورة على إبقاء باب التوبة مفتوحاً لجميع الناس ، فطبيعة الإسلام تأبى أن تجعل أحداً من الناس ييأس من رحمة الله تعالى ، ومع أن البسملة وما فيها من معاني الرحمة والإحسان لم تأت في أول السورة ، فلقد ختمت السورة بذكر رحمة الله العظمى ومنته الكبرى ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أكرم بها من رحمة وأعظم بها من نعمة ومنة ، فكانت السورة بحق سورة البراءة والتوبة في وقت واحد .

أهمية الدراسة :

يقول الدقس : "سورة التوبة هي آخر ما نزل من القرآن الكريم ، ومن ثم فقد تضمنت أحكاماً نهائية في العلاقات بين المجتمع الإسلامي في أواخر العهد النبوي وبين سائر الأمم والمجتمعات في الأرض وقد تضمنت فوق هذا تصنيف المجتمع ذاته تصنيفاً هو الغاية في الدقة ، وبذلك فهي تعد مرجعاً صادقاً لحقيقة المجتمع في آخر العهد النبوي - فقد

صح أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يلبث بعد نزولها إلا قليلاً حتى التحق بالرفيق الأعلى- ووصفت واقع هذا المجتمع بجملته وصنفته تصنيفاً إيمانياً دقيقاً مصوراً يكشف أن الطبقات التي تكون ذلك المجتمع كانت من المهاجرين والأنصار ، وأهل بدر ، وأصحاب بيعة الرضوان ، ومن أنفق من قبل الفتح وقاتل ، ومن أنفق من بعد وقاتل ، والقاعدين ، والمنافقين ... الخ.

والسورة - بهذا الاعتبار - ذات أهمية خاصة في بيان طبيعة المجتمع الإسلامي ، أو دولة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلاقاتها مع الدول والمجتمعات الأخرى في حالتي السلم والحرب . وتعد أحكام هذه السورة أحكاماً نهائية من الناحية التشريعية لأنها آخر القرآن الكريم نزولاً فلا مجال للقول بالناسخ والمنسوخ في أحكامها - وإن كان لا بد من هذا فأحكامها ناسخة لما قبلها . فمن هنا برزت أهميتها التشريعية عند الفقهاء والعلماء". (العلاقات الدولية في سورة التوبة، ١٣٩٦هـ، ص١٨).

والسورة أيضاً مليئة بتوجيهات تربوية عظيمة يستفيد منها التربويون ، ويستطيعون من خلالها إنشاء مجتمع يؤمن بالله تعالى ، ويسير على المنهج الذي رسمه الله عز وجل في القرآن الكريم وأوضحه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في السنة المطهرة . فلقد أوضحت السورة توجيهات تربوية لا غنى للمؤمن عنها في مجالات التوبة ، والطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحمد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتعاون ، والتناصر ، والتكافل ، والجهاد ، والصدق ، وطلب العلم ، وحفظ حدود الله ، وطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والصبر ، وهذه التوجيهات هي التي يدعو إليها المربي المسلم في كل زمان ومكان وبها صلاح الأمة أفراداً وجماعات .

وفي الجانب الآخر حذرت السورة من الخصال الذميمة التي يتصف بها المنافقون ، وأرشدت الى توجيهات تربوية كالابتعاد عن الأيمان الكاذبة ، وعن الحسد ، والشماتة، والابتعاد عن الكفر ، وعن الرياء والسمعة ، والتحذير من سوء الأدب مع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والتحذير من أذية المؤمنين ، والتحذير من البخل ، ومن الجبن ، والتحذير من نكث العهد ، والتحذير من الطمع والأثرة .

وترجع أهمية الدراسة أيضاً إلى كونها تنبع من دورها التوعوي فبتوضيح الدراسة لصفات المؤمنين (صفات التحلي) وصفات المنافقين (صفات التخلي) تتوفر آلية إقناع وتوجيه ، حيث تعين الدراسة المؤمن على إكمال إيمانه ، وتعين المنافق على الإقلاع عن نفاقه، وتقنعه بالحجج النقلية والعقلية والتأثيرات النفسية على التوبة النصوح ، والرجوع إلى الحق بدلاً من التمادي في الباطل .

والسورة فوق أنها معجزة عظيمة بأحكامها وهدايتها وتشريعاتها المختلفة وتوجيهاتها التربوية فهي معجزة بيانية رائعة صيغت أحكامها في صور بيانية جميلة يفرح لها الأديب .

وترجع أيضاً أهمية الدراسة إلى أنها عودة إلى المنبع الصافي الذي لا ينضب ، والذي هو بحر لا تكدره الدلاء ، ونهر خالص لا شوائب فيه إنه كتاب الله تعالى نستقي من معانيه ما يجعل تربيتنا إسلامية ، لا شرقية ولا غربية .

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يلي :

١ ـ توضيح أهمية سورة التوبة التربوية .

٢ ـ توضيح صفات المؤمنين في سورة التوبة .

٣ ـ توضيح صفات المنافقين في سورة التوبة .

٤ ـ توضيح دور التربية الإسلامية في تطبيق صفات المؤمنين التي وردت في سورة التوبة من خلال : الفرد، والأسرة، والمدرسة، والمجتمع .

٥ ـ توضيح دور التربية الإسلامية في التحذير من صفات المنافقين التي وردت في سورة التوبة من خلال : الفرد، والأسرة، والمدرسة، والمجتمع .

تساؤلات الدراسة :

س١ : ما أهمية سورة التوبة التربوية ؟

س٢ : ما صفات المؤمنين في سورة التوبة ؟

س٣ : ما صفات المنافقين في سورة التوبة ؟

س٤: ما دور التربية الإسلامية في تطبيق صفات المؤمنين التي وردت في سورة التوبة ؟

س٥: ما دور التربية الإسلامية في التحذير من صفات المنافقين التي وردت في سورة التوبة ؟

منهج الدراسة :

اعتمد الباحث في الدراسة الحالية على المنهج الوصفي والذي يعرفه عبد الحق بأنه: " المنهج الذي يعتمد على جمع المادة العلمية واستقراء النصوص وتصنيفها للوصول إلى قواعد وأحكام عامة، وهذه الاستنتاجات ليست اعتباطية ولا عشوائية " (مبادئ في كتابة البحث العلمي، ١٣٩٢هـ، ص١٦). وقد استخدم الباحث هذا المنهج في دراسة سورة التوبة، متبعاً الخطوات التالية :

١ – الرجوع إلى تفسير سورة التوبة في كتب التفسير المعتمدة كالطبري، والقرطبي، وابن كثير وتلخيص ما ورد عن صفات المؤمنين وصفات المنافقين .

٢ – توضيح دور التربية الإسلامية في تطبيق صفات المؤمنين، والتحذير من صفات المنافقين كما وردت في سورة التوبة .

حدود الدراسة :

اشتملت سورة التوبة على موضوعات متعددة منها خطاب المشركين والكافرين عموماً بإعلان البراءة منهم ، ثم إلى أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام أو الاستسلام لأحكام الإسلام ، وبيان فساد عقائدهم ، وضلال وفضائح أحبارهم ورهبانهم. كما تضمنت خطاباً إلى المنافقين بجميع شرائحهم ، وصورت أفاعيلهم في المجتمع المسلم وأحوالهم النفسية والقولية والعملية ، وموقفهم في غزوة تبوك قبلها وفي أثنائها وبعدها ، فكشفت عن نواياهم وحيلهم ومعاذيرهم في التخلف عن الجهاد ، وبث الضعف والفتنة والفرقة في الصف ، وإيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين . كما تضمنت تصنيف المجتمع الإسلامي والعناصر التي يتألف منها قبيل انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى . وتضمنت السورة أيضاً خطاباً للمؤمنين وهم أهل الإيمان الصادق الكامل المستحقون لبشرى الرسول صلى الله عليه وسلم بالنصر والتأييد في الدنيا والنجاة من

النار ودخول الجنة . وأخيراً بينت السورة مكانة الرسول عليه الصلاة والسلام وعلاقته بالمؤمنين ، وضرورة التوجه إلى الله عز وجل والتوكل على الله في الأمور كلها.

لذا فسوف تقتصر الدراسة الحالية على توضيح دور التربية الإسلامية في تطبيق صفات المؤمنين، والتحذير من صفات المنافقين كما وردت في سورة التوبة .

تحديد مصطلحات الدراسة :

أولاً : التطبيقات التربوية :

قال الجوهري : " التطبيق في الصلاة : جعل اليدين بين الفخذين في الركوع . وتطبيق الفرس : تقريبه في العدو . وطبَّق الغيم تطبيقاً، إذا أصاب بمطره جميع الأرض". (الصحاح، ١٤١٨هـ، جـ٢، ص١١٤٧-١١٤٨) .

ويعرف الباحث التطبيقات التربوية بأنها : ما يمكن للفرد والأسرة والمدرسة والمجتمع تنفيذه من سلوكيات تربوية على ضوء آيات المؤمنين والمنافقين في سورة التوبة .

ثانياً: الآثار التربوية :

قال ابن منظور : " الأثر : بقية الشيء، والجمع آثار وأثور . ويقال : آثر كذا وكذا بكذا وكذا أي أتْبَعه إياه، ومنه قول متمّم بن نويرة يصف الغيث :

فآثر سيل الواديين بديمةٍ

ترشِّحُ وسميًا من النبت خروعاً

أي أتبع مطراً تقدم بديمة بعده " . (لسان العرب، ١٤٠٨هـ، جـ١، ص٦٩)

ويعرّف الباحث الآثار التربوية بأنها : التغيرات الإيجابية الناتجة عن تفعيل التطبيقات التربوية لآيات المؤمنين والمنافقين في سورة التوبة .

UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

الدراسات السابقة :

وحسب علم الباحث لا توجد دراسة لـهذا الموضوع من ناحية تربوية إلا أن هناك بعض الدراسات التي تناولت الموضوع من ناحية شرعية منها :

١) (المنافقون في سورة التوبة) ، وهي رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية للبنات بالرياض عام ١٤٠٨هـ للطالبة : زينب عبد الرحمن الدخيل .

تهدف هذه الدراسة إلي توضيح أوصاف المنافقين في سورة التوبة باعتبار أن هذه السورة قد كشفت أكثر من غيرها عن طبيعتهم ووضعهم في المجتمع المسلم ، كما تهدف الدراسة إلى بيان الوسائل التي يتقى بها خطر المنافقين على ضوء ما جاء في سورة التوبة .

قسمت الباحثة دراستها إلى تمهيد ، وثلاثة فصول ، وخاتمة .

في التمهيد تحدثت عن الآتي :

- المعنى اللغوي للنفاق ، والمعنى الشرعي له ، ونوعي النفاق الإعتقادي والعملي، والفرق بينهما .
- لمحة خاطفة عن النفاق قبل الإسلام ، ومبدأ ظهوره .
- الجو العام الذي نزلت فيه سورة التوبة .

أما فصول الدراسة فهي على النحو التالي :

الفصل الأول: الأوصاف التي وصف القرآن الكريم المنافقين بها في سوره المتعددة إجمالاً.

الفصل الثاني: أوصاف المنافقين الواردة في سورة التوبة بالتفصيل .

الفصل الثالث: الوسائل التي يتقى بها خطر المنافقين على ضوء ما جاء في سورة التوبة.

وقد خلصت الباحثة في الخاتمة إلى أن أهم نتائج البحث هي :

١ - خطر كل من النفاقين الاعتقادي والعملي على صاحبه .

٢ - الصلة الوثيقة بين المنافقين وغيرهم من الطوائف الأخرى المعادية للإسلام والمسلمين كاليهود ، والنصارى ، والمشركين .

٣ - كان لليهود دور كبير في حياة المنافقين ، فهم مطاياهم في كل زمان ومكان منذ بروزهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا ، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها .

٤ - تمحيص القرآن الكريم لخلائق المنافقين وتصرفاتهم ورده على كيدهم ومكرهم وخداعهم في مواطن كثيرة من آياته الكريمة .

٥ - الجزم بأن المنافقين شرذمة يمثلون الشر كل الشر في جميع صوره القريبة والبعيدة.

(٢) (مسائل العقيدة في سورة التوبة) وهي رسالة ماجستير تقدمت بها الطالبة شريفة بنت مصلح السنيدي عام ١٤١٥هـ إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

تهدف الدراسة إلى استخراج العقائد من سورة التوبة حيث تطرقت السورة لجميع الملل والنحل التي يمكن أن توجد على وجه الأرض ، فبدراستها تتضح أحكام هذه الملل والطوائف وكيفية التعامل الصحيح معها.

أبواب الدراسة : قسمت الباحثة هذه الدراسة إلى تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة على النحو التالي:

في التمهيد تحدثت عن :

١- الخصائص العقدية للسور المدنية .

٢- مقدمة عن سورة التوبة .

أما أبواب الدراسة فهي على النحو التالي :

الباب الأول : الإيمان بالله ، ويشتمل على ثلاثة فصول هي :

الفصل الأول : توحيد الربوبية .

الفصل الثاني : توحيد الألوهية .

الفصل الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

الباب الثانـــي: أصول الإيمان الأخرى ، ويشتمل على تمهيد وخمسة فصول ، تمـهيد فـي منهج السلف الصالح في إثبات هذه الأصول وأما الفصول فهي :

الفصل الأول: الإيمان بالملائكة .

الفصل الثاني : الإيمان بالكتب .

الفصل الثالث: الإيمان بالرسل عليهم السلام .

الفصل الرابع : الإيمان باليوم الآخر .

الفصل الخامس : الإيمان بالقدر خيره وشره .

الباب الثالث : مسائل الإيمان والإسلام وما يضادهما ، ويشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول : مسمى الإيمان ، الفصل الثـاني : نواقض الإسـلام ، الفصـل الثـالث: الكفر وأنواعـه التـي وردت فـي السـورة ، الفصـل الرابـع : تعريـف النفاق وصفات المنافقين ، الفصل الخـامس : الـولاء والـبراء. وقـد خلصت الباحثة إلى أن أهم نتائج البحث هي :

١ - تعرضت السورة لجميع أركان الإيمان بالإضافة إلى قضايا عقدية أخرى .

٢ - بينت السورة صورة من صور الشرك في الربوبية وهي نسبة الولد لله سبحانه .

٣ - ورد في السورة أن توحيد الإلهية هو الغاية من إرسال الرسل.

٤ - اشتملت السورة على عدد من نواقض الإسلام .

٥ - تعرضت السورة إلى ثلاثة أنواع من الكفر وهي كفر الشك ، وكفر الإعراض ، وكفر الإباء والاستكبار ، ولم يرد في السورة الكفر الأصغر .

٦ - من أعظـم مبـاحث السـورة اسـتفاضة الحديـث عـن عقيـدة الـولاء والـبراء ووجـوب المفاصلة التامة مع المشركين .

التعليق على الدراسات السابقة .

وبمقارنة الدراستين السابقتين بالبحث الحالي وجد الباحث أن الدراسة الأولى تحدثت عن أوصاف المنافقين في سورة التوبة، بينما تحدثت الدراسة الثانية عن مسائل العقيدة في سورة التوبة، في حين يركز البحث الحالي على توضيح دور الفرد والأسرة والمدرسة والمجتمع في تطبيق صفات المؤمنين، والتحذير من صفات المنافقين كما وردت في سورة التوبة، كما يركز البحث الحالي على توضيح الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق صفات المؤمنين، وكذلك الآثار التربوية الناتجة عن الابتعاد عن صفات المنافقين كما وردت في سورة التوبة .

الفصل الأول
سورة التوبة وأهميتها التربوية

- القرآن الكريم منهج تربوي .
- أهمية سورة التوبة التربوية .

المبحث الأول : القرآن الكريم منهج تربوي :

ـ تعريف القرآن الكريم :

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، للناس كافة فبلغه كلمة كلمة، وآية آية، وسورة سورة حتى بلغت سوره مائة وأربع عشرة سورة، وآياته ستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية، منها المكي، والمدني، وأمر بكتابة كل ما أنزل إليه فكتب الجميع بأمره في عهده صلى الله عليه وسلم . (المرصفي، هداية القارى إلى تجويد كلام الباري، ١٩٨٢م، ص٧)

وسُمي القرآن قرآناً، لأنه يجمع السور فيضمها . (الجوهري، الصحاح، ١٤١٨هـ، جـ١، ص١٠٤) . و (أنيس، المعجم الوسيط، ١٣٩٢هـ، جـ٢، ص٧٢٢) .

قال الزرقاني : " لفظ القرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (القيامة ، ١٧-١٨) ، ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسماً للكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من باب اطلاق المصدر على مفعوله " . (مناهل العرفان في علوم القرآن، ١٤١٧هـ، جـ١، ص١٥-١٦) .

وقال الصابوني : " القرآن هو كلام الله المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس " . (التبيان في علوم القرآن، ١٤٠٥هـ،ص٨)

وهذا التعريف متفق عليه بين العلماء والأصوليين أنزله الله تبارك وتعالى ليكون دستوراً للأمة، وهداية للخلق، وليكون آية على صدق الرسول، وبرهاناً ساطعاً على نبوته ورسالته، وحجة قائمة إلى يوم الدين تشهد بأنه تنزيل من الحكيم الحميد، بل هو

"المعجزة الخالدة " التي تتحدى الأجيال والأمم على كر الأزمان ومر الدهر، ولله در شوقي حيث يقول :

جـــاء النبيـــون فـــانصرمت وجئتنـــا بكتـــاب غـــير منصـــرم

آياتـــه كلمـــا طـــال المـــدى جـــدد يزينهـــن جمـــال العتـــق والقـــدم .

(المصدر السابق، ص ٩)

وقد ذكر بعض العلماء أن تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله تعالى لكونه جامعاً لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم . كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل، ٨٩) ، وقوله تعالى :﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام، ٣٨) . (القطان، مباحث في علوم القرآن، ١٤١٧، ص١٦) .

أسماء القرآن وصفاته :

للقرآن الكريم أسماء عديدة كلها تدل على رفعة شأنه، وعلو مكانته، وعلى أنه أشرف كتاب سماوي على الاطلاق منها :

(القرآن) : - ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (الاسراء، ٩).

و (الكتاب) : - ﴿الـم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة، ١-٢) .

و (الفرقان):-﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان،١) .

و (الذكر) : - ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر، ٩) .

و (التنزيل): -﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء، ١٩٢) .. إلى غير ذلك مما ورد في القرآن .

وقد غلب من أسمائه : (القرآن) و (الكتاب)، قال دراز : " روعي في تسميته (قرآناً) كونه متلواً بالألسن، كما روعي في تسميته (كتاباً) كونه مدوناً بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه " . (النبأ العظيم، ١٩٨٨م، ص١٢) .

ووصف الله القرآن بأوصاف كثيرة كذلك :

منها (نور) : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ (النساء، ١٧٤).

و (هدى) و (شفاء) و (رحمة) و (موعظة) : - ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس، ٥٧) .

و (مبارك) : - ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ (الأنعام، ٩٢) .

و (مبين) : - ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (المائدة ، ١٥) .

و (بشرى) : - ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة، ٩٧) .

و (عزيز) : - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾(فصلت، ٤١).

ومجيد : - ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴾ (البروج، ٢١).

و (بشير) و (نذير) : - ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (فصلت، ٣-٤).

" وكل تسمية أو وصف فهو باعتبار معنى من معاني القرآن " . (القطان، مباحث في علوم القرآن، ١٤١٧هـ، ص١٩)

القرآن شأنه عظيم :

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين . وقد اقتضت حكمته سبحانه أن يكون نزوله في أعظم الأزمان وأشرف الشهور ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة، ١٨٥) .

وكان نزوله في أعظم ليلة من هذا الشهر المبارك. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر، ١-٣). بعث به رسوله للبلاغ ونشر الدين فقال: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ (الأنعام، ١٩). وتحدى الثقلين أن يأتوا بمثله ولو اجتمعوا لذلك: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الاسراء، ٨٨). وأنزل فيه من الوعيد الشديد ما يهز القلوب ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ (طه، ١١٣). وبين عظيم شأنه وجلالة قدره حتى إنه لو نزل على الجبال الصم لتصدعت ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الحشر، ٢١). وضرب به من كل مثل ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الزمر، ٢٧). وقصّ به على الناس قصص السابقين ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ﴾ (يوسف، ٣). وجعله ميسراً للحفظ والفهم ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر، ١٧). وأمر رسوله أن يذكر به المؤمنين ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق، ٤٥). وأن يخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (ابراهيم، ١).

وقد فضل الله القرآن على غيره من الكتب وجعله ناسخاً لها ومهيمناً عليها، فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة، ٤٨).

الله أكبر إن دين محمد ... وصراطه أقوى وأقوم قيلا

لا تذكر الكتب السوالف قبله ... طلع الصباح فأطفئ القنديلا

القرآن منهج تربوي :

المنهج لغة :

قال ابن منظور : " المنهاج في اللغة : هو الطريق الواضح، واستنهج الطريق : صار نهجاً، وفي حديث العباس : (لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تركنا على طريقة ناهجة) أي واضحة بيّنة، والمنهاج كالمنهج، وفي التنزيل : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة، ٤٨). (لسان العرب، ١٤٠٨هـ، جـ١٤، ص٣٠٠)

وقال أنيس : " الناهج : يقال طريق ناهج : أي واضح بين، وطريقة ناهجة : واضحة بينة، والنهج البين الواضح، يقال : طريق نهج، وأمر نهج، والطريق المستقيم الواضح، يقال : هذا نهجي لا أحيد عنه، والمنهاج : الطريق الواضح، والخطة المرسومة، ومنه منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم ونحوهما " . (المعجم الوسيط، ١٣٩٢هـ، جـ٢، ص٩٥٧)

المنهج اصطلاحاً:

عرف البيانوني المنهج بقوله : " المنهج هو النظام والخطة المرسومة للشيء " . (المدخل إلى علم الدعوة، ١٩٩١م، ص ٤٥)

إن القرآن الكريم هو منهج رب العباد للعباد، فقد حدد لهم فيه الحدود الأساسية لكل شؤون الحياة، وجعل معالم واضحة يسير عليها الإنسان وفق ما شرع له منذ آدم عليه السلام، قال تعالى : ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة، ٣٧-٣٨) . وقال تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى، ١٣).

إن هذا الهدى والشرع المنزل من الله تعالى هو منهج المسلم، الذي ينبغي أن يسير في نطاقه يلتزم به في العقيدة، والعبادة، والمعاملات، وفي كل أمر من أمور حياته في الظاهر والباطن، مع نفسه أو مع غيره، وإن سار الإنسان على هدى الله وما شرع له فانه لا يضل ولا يشقى في الدنيا والآخرة . قال تعالى : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى *وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه، ١٢٣-١٢٤) .

لذلك فالمنهج القرآني في تربيته للإنسان يدعوه إلى العبادة الخالصة الصحيحة؛ خالصة لله تعالى صواباً على سنة المصطفى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ (النساء، ٣٦) . بل إن الوظيفة الأساسية للإنسان هي عبادة الله تعالى . قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات، ٥٦). يقول قطب : " لكن العبادة ليست مقصورة على المناسك التعبدية المحدودة، وإنما هي معنى شامل جداً، وواسع جداً يشمل دقائق الحياة وتفصيلاتها ويشمل كل عمل، وكل فكرة، وكل شعور، هو التوجّه بكل نشاط حيوي إلى الله تعالى، ومراعاة ما يرضي الله في هذا النشاط، وما يغضبه، وتوقي غضبه والعمل على رضاه " . (منهج التربية الاسلامية، ١٤٠٣هـ، جـ١، ص ١٤)

والمنهج القرآني يدعو الإنسان إلى مكارم الأخلاق، ويحذره من مساوئ الأقوال والأفعال . قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل، ٩٠) . وقال تعالى : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ *وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام، ١٥١-١٥٢) . وهذه الأخلاق التي دعا إليها القرآن أخلاق إيجابية وعملية وشاملة .

والمنهج القرآني كذلك يحتوي على أسس النظام الاجتماعي الذي يصوغ الفرد والمجتمع صياغة متكاملة لا يجور أحدهما على الآخر، والذي يقيم الأسرة على قواعد متينة من التراحم والتعاون والتناصر والتكافل مما يحقق لكل فرد من أفرادها السعادة الحقيقية، والذي يقيم المجتمع على أساس العدالة والتكافل الاجتماعي والمساواة والتراحم والتعاون، والذي يحدد القواعد العامة في قضايا المعاملات من تجارة وقرض وبيع ومداينة وما إلى ذلك من تلك القواعد التي لا تستقيم الحياة إلا بها .

وفي هذا الكتاب الكريم أسس النظام الاقتصادي الذي يحرم الاستغلال والظلم والعدوان، ويحقق الكفاية والعدالة والرفاهية .

وفي هذا الكتاب أسس النظام السياسي الذي تقوم عليه دولة الإسلام معتمدة على الشورى والعدل والمساواة وإحقاق الحق وإبطال الباطل، وهدف هذه الدولة إقامة معالم الإسلام والعمل على نشره في الأرض . قال تعالى : ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج، ٤١) . يقول الصباغ : " إنَّ القرآن هو الدستور الذي حوى كل الأسس، وقد أثبتت الأيام والتجارب أنه الدستور الصالح لكل زمان ومكان، وأن أحكامه هي العلاج الناجع لأمراض الحياة، لا اختلاف فيه ولا تناقض " . (لمحات في علوم القرآن، ١٤١٠هـ، ص٣٤) .

وهكذا يتبين أن كل آيات القرآن تعلّم الناس من العقائد وأصول السلوك الشامل لجميع جوانب الحياة ما يأخذ بيد المسلم الملتزم إلى أن يصير واحداً من الموصوفين بصفات المؤمنين أو عباد الرحمن أو المتقين أو المحسنين ولم يسلك القرآن في هذا مسلكاً صعباً

بل اتسم منهجه بربط الفضائل بآثارها في الواقع حاثاً الناس على التعقل والتذكر ومبيناً أن هذا هو الطريق الأمثل للتقوى . يقول الزرقاني : " القرآن – أولاً وآخراً – القوة المحَوِّلة التي غيّرت صورة العالم، ونقلت حدود الممالك، وحولت مجرى التاريخ، وأنقذت الإنسانية العاثرة، فكأنما خلقت الوجود خلقاً جديداً " . (مناهل العرفان في علوم القرآن، ١٤١٧هـ، ص١٢) .

المبحث الثاني : أهمية سورة التوبة :

مقدمة :

سورة التوبة عدد آياتها : مائة وتسع وعشرون آية، وعدد كلماتها : ألفان وأربعمائة وسبع وتسعون كلمة، وعدد حروفها : عشرة آلاف وسبعمائة وسبعة وثمانون حرفاً . (الدقس، العلاقات الدولية في سورة التوبة، ١٣٩٥هـ، ص١١) .

وهذه السورة مدنية، نزلت بعد سورة المائدة، وهي آخر ما نزل من القرآن الكريم على أرجح الأقوال . (الدقس، آيات الجهاد في القرآن الكريم، ١٣٩٢هـ،ص١٩١) . وقد نقل عن بعض العرب أنه سمع قارئاً يقرأ هذه السورة فقال الأعرابي: " إني لأحسب هذه من آخر ما نزل من القرآن . قيل له : ومن أين علمت ؟ فقال : إني لأسمع عهوداً تنبذ، ووصايا تنفذ . (ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ١٣٨٤هـ، جـ٣، ص٣٨٨).

سبب نزول السورة :

وبمراجعة نصوص السورة مراجعة موضوعية ؛ ومراجعة ما جاء في الروايات المأثورة عن أسباب النزول وملابساته ؛ ومراجعة أحداث السيرة النبوية كذلك .. يتبين أن السورة بجملتها نزلت في العام التاسع من الهجرة .. ولكنها لم تنزل دفعة واحدة .. ومع أننا لا نملك الجزم بالمواقيت الدقيقة التي نزلت فيها مقاطع السورة في خلال العام التاسع، إلا أنه يمكن الترجيح بأنها نزلت في ثلاث مراحل .. المرحلة الأولى منها كانت قبل غزوة تبوك في شهر رجب من هذا العام . والمرحلة الثانية كانت في أثناء الاستعداد لهذه الغزوة ثم في ثناياها . والمرحلة الثالثة كانت بعد العودة منها . أما مقدمات السورة من أولها إلى نهاية الآية الثامنة والعشرين منها فقد نزلت متأخرة في نهاية السنة التاسعة قبيل موسم الحج في ذي القعدة أو في ذي الحجة .. وهذا – على الإجمال – هو كل ما يمكن ترجيحه والاطمئنان إليه . (قطب، في ظلال القرآن، ١٤٠٦هـ، ص ١٥٦٤-١٥٦٥) .

أسماء سورة التوبة وسبب تسميتها :

وقد عرفت هذه السورة من العهد الأول بجملة أسماء تدل بمجموعها على ما اشتملت عليه من المبادئ والمعاني التي تجب مراعاتها في معاملة الطوائف كلها، مؤمنهم ، ومنافقهم، وكتابيهم، ومشركهم .

ومن تلك الأسماء وهو أشهرها : ((التوبة)) وهو يشير إلى ما تضمنته السورة من تسجيل توبة الله تعالى وتمام رضوانه على المؤمنين الصادقين، الذين أخلصوا في مناصرة الدعوة، وصدقوا في الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن الأسماء ((براءة)) وهو يشير إلى ما تضمنته السورة في أولها من قطع عصمة مشركي الجزيرة العربية على الاطلاق، وعصمة غيرهم حتى يخضعوا لسلطان الإسلام، والعودة إلى حالة الحرب التي كانت بينهم وبين المسلمين قبل معاهدات السلم والأمان .

وقد عرفت بعد هذين الاسمين بأسماء كثيرة : " كالحافرة " و " المثيرة " و " الفاضحة " و " المنكلة " و " المقشقشة " و " المبعثرة "، و " المشردة " و " المخزية " و " المدمدمة " وسورة " العذاب " . وهي ألقاب أطلقت عليها باعتبار ما قامت به من حفر قلوب المنافقين، وإثارة أسرارهم، وفضيحتهم بها، وتنكيلها لهم، وتشريدها بهم، فهي تشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم . وهي " المقشقشة " لأنها تبرئ المؤمن، فتخلي قلبه من النفاق . (النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ١٤٠٨هـ، جـ٢، ص١١٤) و (الدقس، العلاقات الدولية في سورة التوبة، ١٣٩٥هـ، ص١٢-١٣).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : " إنكم تسمونها التوبة وإنما هي سورة العذاب، والله ما تركت أحداً إلا نالت منه " . (الزمخشري، الكشاف، ١٣٨٥هـ،جـ٢،ص١٧١).

وعن سعيد بن جبير قال : " قلت لابن عباس : سورة التوبة ؟ قال : التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل : ومنهم، ومنهم حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً منهم إلا ذكر فيها " . (البخاري، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم ٤٨٨٢، ص٨٦٥) .

وقول ابن عباس: ومنهم ومنهم يشير بهذا إلى ما جاء في السورة من أصناف المنافقين : " ومنهم من يقول أئذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا "، " ومنهم من يلمزك في الصدقات "، " ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن "، " ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم الله من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون " ...الخ.

أسباب عدم ورود البسملة في سورة التوبة :

وقد ذكر القرطبي : أن العلماء اختلفوا في سبب سقوط البسملة من أول هذه السورة على أقوال خمسة : الأول – أنه قيل : كان من شأن العرب في زمانها في الجاهلية، إذا كان بينهم وبين قوم عهد فإذا أرادوا نقضه كتبوا إليهم كتاباً ولم يكتبوا فيه بسملة ؛ فلما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم والمشركين بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ فقرأها عليهم في الموسم، ولم يبسمل في ذلك على ما جرت به عادتهم في نقض العهد من ترك البسملة.

وقول ثانٍ : قال ابن عباس : قلت لعثمان ما حملكم إلى أن عمدتم إلى " الأنفال " وهي من المثاني، وإلى " براءة " وهي من المئين فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطوال ؛ فما حملكم على ذلك ؟ قال عثمان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: " ضعوا هذا في السورة التي فيها كذا وكذا " . وتنزل عليه الآيات فيقول : "ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا " وكانت " الأنفال " من أوائل ما نزل، و " براءة " من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها فظننت أنها منها ؛ فمن ثمّ قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم .

وقول ثالث : رُوي عن عثمان أيضاً . وقال مالك : إنه لما سقط أولها سقط بسم الله الرحمن الرحيم معه . وروي ذلك عن ابن عجلان أنه بلغه أن سورة " براءة " كانت تعدل البقرة أو قربها، فذهب منها، فلذلك لم يكتب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم . وقال سعيد بن جبير : كانت مثل سورة البقرة .

وقول رابع : قاله خارجة وأبو عصمة وغيرهما . قالوا : لما كتبوا المصحف في خلافة عثمان اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم : براءة والأنفال سورة واحدة . وقال بعضهم : هما سورتان . فتركت بينهما فرجة لقول من قال إنهما سورتان، وتركت بسم الله الرحمن الرحيم لقول من قال هما سورة واحدة ؛ فرضي الفريقان معاً، وثبتت حجتاهما في المصحف .

وقول خامس : قال عبد الله بن عباس : سألت علي بن أبي طالب لِمَ لمْ يُكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال : لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان ؛ وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان . وروى معناه عن المبرد قال : ولذلك لم يجمع بينهما ؛ فإن بسم الله الرحمن الرحيم رحمة، وبراءة نزلت سخطة . ومثله عن سفيان . قال سفيان بن عيينة: إنما لم تكتب في صدر هذه السورة بسم الله الرحمن الرحيم لأن التسمية رحمة، والرحمة أمان، وهذه السورة نزلت في المنافقين وبالسيف، ولا أمان للمنافقين . (الجامع لأحكام القرآن، ١٤١٨هـ، جـ٨، ص٦٠-٦١) .

وقد رجح الجزائري القول الخامس الذي ذكره ابن عباس رضي الله عنهما. (أيسر التفاسير، ١٤١٩هـ، جـ٢، ص٣٣٧) . قال الألوسي : " نحن نؤمن بأن ترتيب سور كتاب الله وآياته، لم يكن أثراً لاجتهاد مجتهد، وإنما كان توقيفاً ووحياً أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ونفذه قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى " . (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، د. ت، جـ١٠، ص٤١).

موضوعات سورة التوبة :

سورة التوبة من السور التي تعنى بجانب التوجيه والتشريع، كسائر السور المدنية، التي تتناول أسس التربية الإسلامية، وقواعد الإصلاح والبناء، والتشريع المحكم المتين . وقد نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر مراحل حياته، في وقت كان المجتمع الإسلامي يستعد للخروج برسالة الإسلام إلى شعوب العالم المختلفة في أطراف الأرض، فجاءت آيات السورة منسجمة مع حاجات المجتمع في هذه المرحلة، وهي تعد للمهمة الكبيرة التي تنتظره . يقول قطب : " هذه السورة تضمنت أحكاماً نهائية في العلاقات بين الأمة المسلمة وسائر الأمم في الأرض ، كما تضمنت تصنيف المجتمع ذاته، وتحديد قيمه ومقاماته، وأوضاع كل طائفة فيه وكل طبقة من طبقاته، ووصف واقع هذا المجتمع بجملته وواقع كل طائفة منه وكل طبقة وصفاً دقيقاً مصوراً مبيناً .

والسورة – بهذا الاعتبار – ذات أهمية خاصة في بيان طبيعة المنهج الحركي للإسلام ومراحله وخطواته – حين تراجع الأحكام النهائية التي تضمنتها مع الأحكام المرحلية التي جاءت في السور قبلها – وهذه المراجعة تكشف عن مدى مرونة ذلك المنهج وعن مدى حسمه كذلك . وبدون هذه المراجعة تختلط الصور والأحكام والقواعد، كما يقع كلما انتزعت الآيات التي تتضمن أحكاماً مرحلية فجعلت نهائية ؛ ثم أريد للآيات التي تتضمن الأحكام النهائية أن تفسر وتؤول لتطابق تلك الأحكام المرحلية ؛ وبخاصة في موضوع الجهاد الإسلامي، وعلاقات المجتمع المسلم بالمجتمعات الأخرى " . (في ظلال القرآن، ١٤٠٦هـ، جـ٣، ص١٥٦٤) .

ولهذه السورة الكريمة هدفان أصليان – إلى جانب الأحكام الأخرى – هما :

١- بيان التشريع الإلهي في معاملة المشركين وأهل الكتاب .

٢- إظهار الحالة النفسية التي كان عليها الناس حينما استنفرهم الرسول صلى الله عليه وسلم لغزو الروم .

أما بالنسبة للهدف الأول، فقد عرضت السورة الكريمة إلى عهود المشركين فوضعت لها حداً، لا سيما بعد أن نقض المشركون العهود، وتآمروا مع اليهود عدة مرات لضرب الدعوة الإسلامية، والقضاء على الإسلام في مهده وعرينه، فلم يعد من الحكمة أن يظل المسلمون متمسكين بالعهود وقد نقضها أعداؤهم، ولذلك نزلت الآيات تأمر بإلغاء تلك العهود على بصيرة ووضوح، بعد أن منحهم الله تعالى فرصة كافية هي السياحة في الأرض أربعة أشهر ينطلقون فيها آمنين مطمئنين، ليتمكنوا من النظر والتدبر في عاقبة أمرهم، من الدخول في الإسلام، أو الاستمرار في الحرب، وفي ذلك نزل صدر السورة الكريمة ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ (التوبة، ١-٢) (الصابوني، إيجاز البيان في سور القرآن، ١٣٩٩هـ، ص٣٦) .

والسياحة : التنقل في الأرض والتوسع فيها حيث يشاء الإنسان، ففي كلمة (سيحوا) من التوسعة والترفيه ما ليس في كلمة (سيروا) . (الألوسي، روح المعاني، د.ت، جـ١٠، ص٤٣) . وهذا يدل على قوة المسلمين وعزتهم، وتمكن الإسلام في أرض العرب عند نزول هذه الآيات، فقد أصبح المشرك مطلوباً بعد أن كان طالباً، وصار ذليلاً بعد أن كان عزيزاً منيعاً .

ويدل أيضاً على سمو الشريعة الإسلامية ورفعتها، فهي شريعة نبيلة سامية، لاتغدر ولا تخون، ولا تأخذ الناس على غرة وغفلة، بل تمنحهم الفرصة ليتأملوا في واقع الأمور، ويفكروا قبل أن يختاروا، فكأن ما في الآيات هنا تطبيق عملي للمبدأ الأخلاقي الكريم الذي شرعه سبحانه في قوله : ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (الأنفال، ٥٨) . (طهماز، البلاغ الأخير، ١٤١٢هـ، ص١٢-١٣) .

ثم جاءت الآيات الكريمة في قتال أهل الكتاب الذين لا يتورعون عن الغدر والخيانة كلما سنحت لهم الفرصة، كما فعل يهود بني قريظة، وبني النظير، حيث أعانوا المشركين

على حرب الرسول عليه الصلاة والسلام، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة، ٢٩) . يقول قطب: " والذي يراجع أحداث السيرة النبوية ووقائعها، ليرى من خلالها الواقع التاريخي للمنهج الحركي الإسلامي ؛ ويراجع كذلك طبيعة هذا المنهج في ذاته ومراحله وأهدافه .. يرى بوضوح أن هذه الخطوة الحاسمة في العلاقات بين المعسكر الإسلامي في الجزيرة وسائر معسكرات المشركين – وكذلك بينه وبين معسكرات أهل الكتاب التي تقررت في هذه السورة – كان قد جاء موعدها، وتمهدت لها الأرض، وتهيأت لها الأحوال، وأصبحت هي الخطوة الطبيعية في أوانها المحتوم .

كان قد تبين من الواقع العملي مرحلة بعد مرحلة، وتجربة بعد تجربة، أنه لا يمكن التعايش بين منهجين للحياة بينهما هذا الاختلاف الجذري العميق البعيد المدى الشامل لكل جزئية من جزئيات الاعتقاد والتصور، والخلق والسلوك، والتنظيم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي – والإنساني – وهو الاختلاف الذي لا بد أن ينشأ من اختلاف الاعتقاد والتصور .. منهجين للحياة أحدهما يقوم على عبودية الله وحده بلا شريك ؛ والآخر يقوم على عبودية البشر للبشر، وللآلهة المدعاة، وللأرباب المتفرقة، ثم يقع بينهما التصادم في كل خطوة من خطوات الحياة ؛ لأن كل خطوة من خطوات الحياة في أحد المنهجين لابد أن تكون مختلفة مع الأخرى، ومتصادمة معها تماماً، في مثل هذين المنهجين وفي مثل هذين النظامين " . (في ظلال القرآن، ١٤٠٦هـ، جـ٣، ص١٥٨٦) .

وعرضت السورة للهدف الثاني وهو شرح نفسيات المسلمين حينما استنفروا لغزو الروم فتباطئوا وتثاقلوا وضعفت عزائم البعض، وركنوا إلى نعيم الحياة، فجاء التوجيه الإلهي الكريم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة، ٣٨) .

ثم تتابعت الآيات بالأمر في النفير والجهاد بالنفس والمال لإعلاء كلمة الله، في المنشط والمكره، والعسر واليسر ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة، ٤١) . وتلتها الآيات في تقصي شؤون المنافقين، وفضح أساليب نفاقهم وتخذيلهم للمؤمنين، وقد استغرق الحديث عن المنافقين معظم السورة الكريمة . (الصابوني ،إيجاز البيان في سور القرآن، ١٣٩٩هـ، ص٣٧-٣٨) .

وبمراجعة كتب السير والتاريخ يتبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم عزم على قتال الروم، لأنهم أقرب الناس إليه وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله، كان هذا في السنة التاسعة من الهجرة، وكان ذلك في زمان عسرة من الناس، وجدب من البلاد، وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، فجلّى للناس أمرها ودعا من حوله من أحياء الأعراب للخروج فاجتمع معه بشر كثير، وتخلف آخرون بغير عذر من المنافقين والمقصرين فلامهم الله سبحانه أشد اللوم، وبعثر خزاياهم أشد البعثرة، ولأن المسير طويل والحر شديد، والحال رقيق، والظهر قليل، فلم يكن هناك بد من استحثاث الموسرين على تجهيز الجيش، فأتى الصديق بكل ماله، وأتى الفاروق بشطر ماله، وأتى عثمان بمال كثير وجهز ثلاثمائة بعير للجيش، أيضاً أنفق العباس، وطلحة وعبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنهم أجمعين، ومع هذا كله فقد ضاق الظهر بالمسلمين فجاء سبعة نفر للرسول صلى الله عليه وسلم يريدون منه أن يحملهم، لبعد المشقة فاعتذر صلى الله عليه وسلم فتولوا مغرورقة أعينهم بالدموع، فلما اطلّع الله على صدق نواياهم، رزقهم المطايا التي تقلهم، فخرجوا معه صلى الله عليه وسلم . وكان صلى الله عليه وسلم قد طلب من بعض من تظاهر بالإسلام الخروج للغزاة فامتنع مظهراً الخير مريداً التخذيل والفرار قائلاً : أئذن لي ولا تفتني فليس لي صبر على النساء اللواتي

وصفهن كذا وكذا، فقبل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، بل وتغاضى عمن سخروا من نفقات المؤمنين الصادقين في تجهيز الجيش، وتغاضى كذلك عن المثبطين والمخذلين.

بعد ذلك خرج صلى الله عليه وسلم بجيشه الجرار ماخراً عباب الفيافي والقفار وكان زادهم تمر مسوَّس، ونخالة شعير سنخة، ومع ذلك مضوا بيقين وصدق ما شهد التاريخ مثلهما، ولم يزل الجيش يغذ السير بين الظمأ والمخمصة والنصب حتى وصل تبوكاً، فلم يجد للروم أثراً على حد قول القائل :

قوم إذا الخطب دوى في مرابعهم وسار يقذف أشداقه ناراً

قالوا له والردى تغلي مراجله إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً

ولكن ثبتت هيبة الإسلام في الأرض، على الرغم من عدم حصول القتال فلم يلبث أمراء قبائل جنوب الشام أن جاؤوا للرسول صلى الله عليه وسلم معاهدين ومذعنين لدفع الجزية وبذلك أمّن المسلمون حدود الجزيرة الشمالية ، وأرهبوا كل رعشيش يحاول النيل من الدولة الفتية، ثم قفل الجيش عائداً إلى ديار الهجرة الطيبة وقبل وصوله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أوحى الله تعالى إلى نبيه عن مسجد الضرار الذي بناه المنافقون كفراً وتفريقاً للجماعة عن مسجد قباء، وضراراً لأنهم أرادوا مضاهاة مسجد قباء، فأمر صلى الله عليه وسلم بتحريق مسجد الضرار وعصم صلى الله عليه وسلم من القيام والصلاة فيه، وعلى مشارف المدينة استقبل النساء والصبيان والولائد جيش النصرة قائلين :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

واتجه صلى الله عليه وسلم إلى المسجد وأتى المعذرون فطفقوا يعتذرون ويحلفون، فقبل منهم صلى الله عليه وسلم علانيتهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله، وأبى الثلاثة الأطهار الأبرار أن يكذبوا على حبيبهم محمد صلى الله عليه وسلم خوفاً من مَثُلاتِ الله عز وجل، فعاتبهم وأمر بمقاطعتهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ثم ضاقت وضاقت، فلما استحكمت حلقاتها فرجت ونزلت توبتهم ومغفرة الله لهم في قرآن يتلى إلى

أن يرفع من الصدور والسطور. قال تعالى : ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (التوبة، ١١٨) . (الحافظ، وقفات مع سورة التوبة، ١٤١٦هـ، ص٢٠-٢٢) وانظر (ابن كثير، البداية والنهاية، ١٤١٧هـ، جـ٥، ص٣-١٣)، (الندوي، السيرة النبوية، ١٤١٥هـ، ص٣٠٧-٣٢٠)، (ابن هشام، السيرة، ١٣٧٥هـ، جـ٤، ص١٥٥-١٦٦)، (شاكر، التاريخ الإسلامي، ١٤٠٥هـ، جـ٣، ص٣٥٣-٣٦٣) وغيرها من كتب السير والتاريخ .

أهمية سورة التوبة التربوية :

إن قصة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي رضي الله عنهم أجمعين التي ذكرت في سورة التوبة مليئة بالتوجيهات التربوية والتي من أهمها كما ذكر الحميدي :

أولاً: موقف كعب بن مالك حينما جلس بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فنفَّذ ما عزم عليه من قول الصدق واستبعاد الأعذار الكاذبة، ولقد كان عقله السليم في هذا الموقف قد سيطر على نوازع النفس وعواطفها، وذلك لقوة إيمانه الذي برز على الساحة فدفع العقل السليم إلى حسن التصرف وأخمد أي نداء للعواطف، ويشاركه في هذا الموقف أخواه اللذان سلكا هذا المسلك رضي الله عنهما، ولقد تقوى بهما كعب على الصمود في هذا الموقف الصعب.

إن كعباً وصاحبيه لو فعلوا كما فعل غيرهم من المتخلفين فاعتذروا بأي عذر لقبل منهم النبي صلى الله عليه وسلم ظاهر أمرهم، ولظفروا براحة نفسية مبعثها السلامة من نظرات العاتبين وإنكار المنكرين، ولكنهم بعد ذلك سيبوؤون بهمّ طويل، وصراع نفسي بالغ مبعثه الشعور بالإثم ، كيف لا وهم والحال هذه قد ارتكبوا خطيئة الكذب، وليس مجرد كذب في معاملة الناس، بل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يحبونه أكثر من سمعهم وبصرهم، ثم قبل ذلك يعتبرون قد كذبوا على الله جل جلاله الذي لا يخطو رسول الله صلى الله عليه وسلم خطوة إلا بأمره .

لقد أدركوا إذاً خطورة هذا الكذب فعزموا على سلوك طريق الصراحة والصدق وإن عرّضهم ذلك للتعب والمضايقات، ولكن كان أملهم بالله تعالى كبيراً في أن يقبل توبتهم ثم يعودون إلى الصف الإسلامي أقوى مما كانوا عليه .

ثانياً: ما قام به النبي صلى الله عليه وسلم من تطبيق مبدأ الهجر التربوي، حيث نهى عن كلام هؤلاء الثلاثة حتى أصبحوا معزولين عن المجتمع تماماً لمدة خمسين يوماً.

والهجر التربوي له منافعه العظيمة في تربية المجتمع الإسلامي على الاستقامة، ومنع أفراده من التورط في المخالفات التي تكون إما بترك شيء من الواجبات أو فعل

شيء من المحرمات، لأن من توقَّع أنه إن وقع في شيء من ذلك سيكون مهجوراً من جميع أفراد المجتمع فإنه لا يفكر في الإقدام على ذلك . ولا يغيب على البال أن تطبيق هذا الحكم يجب أن يتم في الظروف المشابهة لحياة المسلمين في العهد النبوي المدني، حيث توجد الدولة الإسلامية المهيمنة، والمجتمع الإسلامي القوي، مع أمن الوقوع في الفتنة لمن طُبِّق عليه هذا الحكم. وهذا الهجر التربوي ليس له حد معين، ولقد بلغ في هذه القصة خمسين يوماً حتى نزلت توبة الله تعالى على هؤلاء الثلاثة، أما بعد ذلك فإن هذا الهجر يكون محدوداً بصلاح حال المهجورين وعودتهم إلى الاستقامة .

وهذا الهجر يختلف عن الهجر الذي يكون بين المسلمين على أمور الدنيا، فهذا دنيوي وذاك ديني، فالهجر الديني مطلب شرعي يثاب عليه فاعله، أما الهجر الدنيوي فإنه مكروه إلا إذا زاد عن ثلاثة أيام فإنه يكون محرماً، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام". (البخاري، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم ٦٠٧٧،ص١٠٦٠)، ولقوله صلى الله عليه وسلم: " من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه". (ابن حنبل، المسند، د.ت،جـ٤،ص٢٢٠) .

ثالثاً: في قصة كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم تصوير بليغ لإطباق الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على تنفيذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتطبيق الهجر التربوي، حيث امتنعوا جميعاً عن كلام هؤلاء الثلاثة، قال كعب : " ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف . فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ... " . (البخاري، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم ٤٤١٨، ص٧٤٩). (مواقف إيمانية وتربوية، ١٤٢٠هـ، ص١٣٧-١٤٠).

والخلاصة أن سورة التوبة تتضمن توجيهات تربوية قيّمة لاصلاح الفرد والمجتمع، وما كتب في هذا المبحث توطئة لما سيأتي – إن شاء الله – في توضيح دور التربية الإسلامية في تطبيق صفات المؤمنين والتحذير من صفات المنافقين كما وردت في سورة التوبة، وعسى أن تكون هذه التوطئ اشارة حسنة للأخذ بهذا الكتاب العظيم في جميع شؤون الحياة، لأجل سعادة الإنسان وكرامته في الحياة الدنيا والحياة الآخرة. قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال، ٢٤) .

الفصل الثاني

صفات المؤمنين في سورة التوبة

ـ مدخل إلى الفصل .

١ ـ صفة حفظ حدود الله .

٢ ـ صفة طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

٣ ـ صفة طلب العلم .

٤ ـ صفة العبادة .

٥ ـ صفة التوبة .

٦ ـ صفة الطهارة .

٧ ـ صفة الصلاة .

٨ ـ صفة الزكاة .

٩ ـ صفة الصيام .

١٠ ـ صفة الجهاد .

١١ ـ صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

١٢ ـ صفة الحمد .

١٣ ـ صفة الصبر .

١٤ ـ صفة الصدق .

١٥ ـ صفة التعاون .

مدخل إلى الفصل :

أهمية الإيمان

الإيمان في اللغة :

قال الفيروزآبادي : " الإيمان هو الأمن والإقرار والتصديق والثقة وإظهار الخضوع وقبول الشريعة" . (القاموس المحيط، د.ت، جـ٤، ص١٩٩) .

الإيمان في الشرع :

وفي الاصطلاح الشرعي يعرف الإيمان بأنه : إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان .(ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ١٤٠٠هـ، ص٣١٣) .

والإيمان هو أساس الحياة وقاعدة من قواعد التربية، إذ لا حياة طيبة بدون الإيمان لأنه قلبها النابض ولا حياة إذا توقف القلب، وبما أن التربية جزء من الحياة فمن البدهي أنه إذا لم يكن هناك أساس فلا وجود للبناء مهما اجتهد المجتهدون وخاصة ممن يدّعون أنهم علماء تربية وأصحاب نظريات لأن الإيمان هو أساس التربية وقاعدتها الصلبة ومعينها الذي لا ينضب .

وإن من أعظم ما يمكن أن يتصف به المرء أن يكون مؤمناً إيماناً لا تدخله الشكوك ولا تلتبس به الأهواء، إيماناً يقوم على أركان ستة لا يصح إيمان عبد بدونها، ولا يمكن أن يوصف بكونه مؤمناً إلا إذا آمن بها . كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (النساء، ١٣٦) . وقوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ..... ﴾ (البقرة، ١٧٧)، وقوله : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر، ٤٩).

وفي حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جبريل سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، فقال صلى الله عليه وسلم : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وتؤمن بالقدر خيره وشره " . (مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٩هـ، حديث رقم٩٣، ص٢٥).

وهو إيمان يقوم على التصديق بالقلب، والنطق باللسان، والعمل بالجوارح ؛ ولذلك لا يسمى المرء مؤمناً ، ولا يوصف بذلك بمجرد اعتقاد أن الله رب كل شيء وخالقه، أو بمجرد النطق بالشهادتين ؛ بل لابد أن يقترن الاعتقاد بالعمل . حيث يقول تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات، ١٥) . يقول قطب : " الإيمان تصديق القلب بالله ورسوله، التصديق الذي لا يرد عليه شك ولا ارتياب، التصديق المطمئن الثابت المستيقن الذي لا يتزعزع ولا يضطرب، ولا تهجس فيه الهواجس، ولا يتلجلج فيه القلب والشعور، والذي ينبثق منه الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله. فالقلب متى تذوق حلاوة هذا الإيمان، واطمأن إليه وثبت عليه، لا بد مندفع لتحقيق حقيقته في خارج القلب، في واقع الحياة " . (في ظلال القرآن، ١٤٠٦هـ، جـ٦،ص٣٣٤٩) .

ولذلك فالإيمان ليس شيئاً محسوساً يمكن قياسه، إنما هو شيء داخلي في القلب يظهر من خلال الجوارح . يقول الحمصي : " إن الإيمان إنما هو نور إلهي يستقر في القلب تنشرح له النفس، يظهر أثره على اللسان بما يتناسب مع هذه العقيدة، بأقوال أتت بها الشريعة الغراء . كما يظهر أثره على الجوارح والأركان، بأعمال توافق مقتضى الشرع. فينقاد المؤمن إلى حيث أمر الله، من غير أن يجد أي تهاون أو تراخ في التنفيذ، ويمتنع عن محارم الله من غير تردد " . (الإيمان بالله، د.ت، ص٨٨) .

إن بعض الناس يدعي الإيمان ويفتخر بذلك، ولكن الإيمان ليس بالدعوى، كما أنه ليس بالتحلي ولا بالتمني، وإنما هناك، علامات تدل على الإيمان من قام بها فهو مؤمن،

ومن لم يقم بها فليس بمؤمن . قال تعالى : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات، ١٤)، ومن أهم علامات صدق الإيمان، ما يلي :

١ - أن يكون الله ورسوله أحب إلى المرء من كل شيء :

وهذا الحب ليس باللسان فقط ؛ وإنما يعرف بمقدار توقف العبد عند أوامر الله ورسوله، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران، ٣١) .

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار " . (البخاري، صحيح البخاري، ١٤١٩هـ، حديث رقم ٦٩٤١، ص١١٩٧) .

٢ - التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم :

قال تعالى : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور، ٥١) .

وقال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء، ٦٥) .

٣ - الحب في الله والبغض في الله :

قال تعالى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة، ٢٢) .

٤ - فعل الطاعات وترك فعل المعاصي :

إن المؤمن حقاً يتقرب إلى الله بفعل أعمال الخير، من عمارة للمساجد، وإقام للصلاة، وعطف على المساكين، ومساعدة للمحتاجين، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وغير ذلك من أعمال الخير . قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (التوبة، ١٨)، وقال تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة، ٧١) .

كما يكره المعاصي والآثام ويكره أهلها ومن يتصف بها . وعلى قدر العمل بهذه الأمور السابقة يكون إيمان الفرد، ولذلك فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . قال تعالى : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران، ١٧٣) . يقول ياسين : " على أية حال فإن ظاهر النصوص القرآنية الكريمة، والنبوية الشريفة تدل على أن الإيمان يزيد وينقص ...، وإذا كان ظاهر النصوص يدل على زيادة الإيمان ونقصه، فلا داعي للخروج عن هذا الظاهر" . (الإيمان، د.ت، ص٢٠٨-٢٠٩)

وهذا ما يشاهد من خلال اختلاف المؤمنين في أقوالهم وأخلاقهم وأفعالهم كل حسب ما يحمله من إيمان في قلبه. يقول ابن أبي العز:" تفاوت درجات نور لا إله إلا الله في قلوب أهلها لا يحصيها إلا الله تعالى، فمن الناس من نور لا إله إلا الله في قلبه كالشمس ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري . وآخر كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف، ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم من نور الإيمان والتوحيد علماً وعملاً . وكلما اشتد نور هذه الكلمة وعظم أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته بحيث إنه ربما وصل

حال لا يصادف شهوة ولا شبهة ولا ذنباً إلا أحرقه، وهذه حال الصادق في توحيده، فسماء إيمانه قد حرس بالرجوم من كل سارق " . (شرح العقيدة الطحاوية، ١٤٠٠هـ،ص٣٧٥-٣٧٦).

هذا وقد أولت سورة التوبة صفات المؤمنين أهمية كبيرة، حيث يتضح ذلك من خلال الإجابة على السؤال التالي :

- **ما صفات المؤمنين في سورة التوبة ؟**

وللإجابة على هذا السؤال ؛ فإن الباحث استعرض ما كتبه المفسرون عن صفات المؤمنين في سورة التوبة، وفي الصفحات التالية بيان ذلك، سائلاً المولى عز وجل الصواب والهداية إلى سبيل الرشاد .

١ - صفة حفظ حدود الله

قال تعالى : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة، ١١٢).

قال الطبري في تفسير ﴿ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ ﴾ : " يعني المؤدون فرائض الله، المنتهون إلى أمره ونهيه، الذين لا يضيعون شيئاً ألزمهم العمل به، ولا يركبون شيئاً نهاهم عن ارتكابه ". (جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٤، ص١٦٤) .

وقال القرطبي : ﴿ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ ﴾ : " أي القائمون بما أمر به والمنتهون عمّا نهى عنه " . (الجامع لأحكام القرآن،١٤١٨هـ، جـ٨، ص٢٤٦) .

وقال قطب : ﴿ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ ﴾ .. وهو القيام على حدود الله لتنفيذها في النفس وفي الناس، ومقاومة من يضيعها أو يعتدي عليها .. ولكن هذه كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يقام عليها إلا في مجتمع مسلم . ولا مجتمع مسلم إلا المجتمع الذي تحكمه شريعة الله وحدها في أمره كله ؛ وإلا الذي يفرد الله سبحانه بالألوهية والربوبية والحاكمية والتشريع ؛ ويرفض حكم الطاغوت المتمثل في كل شرع لم يأذن به الله .. والجهد كله يجب أن ينفق ابتداء لإقامة هذا المجتمع . ومتى قام كان هناك مكان للحافظين لحدود الله فيه .. كما وقع كذلك أول مرة عند نشأة المجتمع المسلم !". (في ظلال القرآن، ١٤٠٦هـ، جـ٣، ص١٧٢٠) .

وقال الجزائري : " ﴿ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ ﴾ " أي القائمون بما أمر الله به، والمنتهون عمّا نهى عنه فحدود الله شرعه وهو فعل وترك، ففعل الأمر وترك النهي هو الحفظ " . (أيسر التفاسير، ١٤١٩هـ، جـ٢، ص٤٣٠) .

والحدود: الحواجز، والحدّ : المنع ؛ ومنه سمي الحديد حديداً ؛ لأنه يمنع من وصول السلاح إلى البدن . وسُمِّي البوّاب والسجّان حدّاداً ؛ لأنه يمنع من في الدار من الخروج منها، ويمنع الخارج من الدخول فيها . وسميت حدود الله لأنها تمنع أن يدخل فيها ما ليس

منـها، وأن يخـرج منـها مـا هـو منـها ؛ ومنـها سميت الحدود فـي المعـاصي، لأنـها تمنـع أصحابها من العود إلى أمثالها، ومنه سميت الحادة فـي العِدّة ؛ لأنـها تمتنـع مـن الزينـة . (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٤١٨هـ، جـ٢، ص٢٣٥) .

وحـدود الله تقسـم إلـى قسـمين : حـدود الأمـر، وحـدود النـهي، فحـدود الأمـر يجـب امتثالها، وحدود النهي يجب إجتنابها ؛ فمن الأولى قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّـهِ يُبَيِّنُـهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة، ٢٣٠)، ومن الثانـية ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ (البقرة، ١٨٧). (الصابونـي، من كنوز السنة، ١٤٠٩هـ،ص٢٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم " . (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ، حديث رقم ٦١١٣،ص١٠٣٥) .

وهذا الحديث من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم فيه وجوب اتباع أمره والتسليم لما جاء به من غير معارضة، وأن الطاعة بقدر الاستطاعة، وفيه التحذير من الوقوع بما وقعت به الأمم السابقة، فأدى ذلك إلى هلاكها . قال النووي : " هو من قواعد الإسلام " . (شرح صحيح مسلم،١٣٤٧هـ، جـ٥، ص٢٠٥) .

وقـال سلطان شـارحاً الحديث :" قولـه عليـه الصـلاة والسـلام (مـا نـهيتكم عنـه فاجتنبوه)، فيجب على المسلم أن يجتنب ما نهى الله عنه ورسوله جملة وتفصيلاً، وألا يقع فيها إلا لضرورة ألجأته إلى ذلك، ففـي هـذه الحالـة يبـاح لـه الوقـوع فيـها مراعيـاً القيـود والشروط التي بينها الشرع في ذلك . والنهي ضربان :

١ – نـهي التحريم : وهو ما يثاب تاركه امتثالاً، ويعاقب فاعله، وهو ما جاء علـى سـبيل الحتـم والإلـزام، مثـل شـرب الخمـر والزنـى وأكـل الربـا والتـبرج والغـش والغيبـة والنميمة، وغيرها من المنهيات .

٢ – نهي الكراهة أو التنزيه، وهو ما يثاب تاركه امتثالاً ، ولا يعاقب فاعله، وهو ما لم يأت على سبيل الحتم والإلزام، مثل الكلام بعد العشاء وأكل الثوم والبصل . والمكروه يجوز للعبد أن يفعله، سواء دعت الضرورة إلى ذلك أم لا ولكن الأليق والأكمل للمسلم التقي أن يجتنب المكروهات حتى يرتقي في موازين رب السماوات والأراضين .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم) ما طلب الله منا فعله أو قوله ضربان فمنه :

أ – أمر إيجاب وإلزام : وهو ما يثاب فاعله امتثالاً ، ويعاقب تاركه، كإقام الصلاة وباقي أركان الدين وطاعة الوالدين، والعدل بالحكم وإقامة الحدود، والنفقة على من تجب عليهم النفقة، وغيرها من الواجبات التي أمرنا بها .

ب- أمر استحباب : وهو ما يثاب فاعله امتثالاً، ولا يعاقب تاركه، مثل السنن الرواتب، والسواك والغسل للإحرام، وغيره من المستحبات .

فيجب على المسلم أن يحرص على أداء الواجبات بجد وقوة، ويؤديها على الوجه الأكمل، ويجاهد نفسه على ذلك فإذا استقام عليها وطوع نفسه على ذلك، فعليه أن يقوم بما يستطيع من المستحبات، حتى يسمو عند ربه ويكسب الثواب والأجر، والمطلّع على سيرة سلف الأمة، يجد أن لهم في ميدان المستحبات باعاً طويلاً، وكان هذا ميدان تنافسهم " . (قواعد وفوائد من الأربعين النووية، ١٤١٦هـ، ص١٠٥-١٠٦) .

٢ ـ صفة طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

قال تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة، ٧١) .

قال الطبري في تفسير قوله تعالى : ﴿ويطيعون الله ورسوله﴾ : " فيأتمرون لأمر الله ورسوله، وينتهون عما نهاهم عنه " . (جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٤،ص١٣٥) .

وقال القرطبي : " ﴿ ويطيعون الله ﴾ في الفرائض ﴿ ورسوله ﴾ فيما سنَّ لهم " . (الجامع لأحكام القرآن، ١٤١٨هـ، جـ٨، ص١٨٦) .

وقال السعدي : " ﴿ ويطيعون الله ورسوله ﴾ أي لا يزالون ملازمين لطاعة الله ورسوله على الدوام " . (تفسير كلام المنان، ١٤١٩هـ، ص ٣٠٣) .

وقال قطب : " ﴿ ويطيعون الله ورسوله ﴾ .. فلا يكون لهم هوى غير أمر الله ورسوله، ولا يكون لهم دستور إلا شريعة الله ورسوله . ولا يكون لهم منهج إلا دين الله ورسوله، ولا يكون لهم الخيرة إذا قضى الله ورسوله .. وبذلك يوحدون نهجهم ويوحدون هدفهم ويوحدون طريقتهم، فلا تتفرق بهم السبل عن الطريق الواحد الواصل المستقيم " . (في ظلال القرآن، ١٤٠٦هـ، جـ٣، ١٦٧٥-١٦٧٦) .

ولقد ورد الأمر بطاعة الله ورسوله في القرآن الكريم في أكثر من ثلاثين موضعاً، كما ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة الكثيرة . مما يدل على أهمية هذا الأمر، وعظيم أثره في السلوك الفردي والجماعي . بل هو دليل صدق الإيمان : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات، ١٤) .

ومعنى طاعة الله ورسوله : أي أن يؤثر ما أحب الله ورسوله على ما يحبه هو في ظاهره وباطنه، فإذا ما تعارضت شهواته ورغباته مع أوامر الله ونواهيه قدم ما أمر الله به

ونهى عنه، على رغباته وشهواته بكل رضى وسرور، وهو قوله تعالى : ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء، ٦٥) . وقد وصف الله صادقي الإيمان بسرعة الانقياد لله وللرسول فيما أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور، ٥١) . فطاعة الله ورسوله تطبيق عملي لا مجرد ادعاء وإلا أصبح قولاً زوراً. وقد ذمّ الله تعالى من يخالف قوله عمله فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف، ٢-٣) .

وفي طاعة الله ورسوله تتحقق السعادة الدنيوية والأخروية، لأن في طاعة الله ورسوله الهداية ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (النور، ٥٤) . وفيها الأجر الحسن : ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح، ١٧) . وخاتمة المطاف جنات النعيم في رفقة الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء، ٦٩) . ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (النور، ٥٢). والحسرة والندامة لمن لم يطع الله ورسوله في يوم لا تنفع فيه حسرة ولا ندامة، إذ يقول تعالى : ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ (الأحزاب، ٦٦).

وطاعة الله وطاعة رسوله شيء واحد، لأن طاعة الرسول طاعة لله، فقد قال تعالى : ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء، ٨٠) .

ولذا قال في آية سابقة : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور، ٥١). فقال : ليحكم بينهم، لأن حكم

الله هو حكم رسوله وحكم رسول الله هو حكم الله، قال تعالى:﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم، ٣-٤) . وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (آل عمران، ٣١) .

فالطاعة لله ورسوله تعني الانقياد الكامل، والاستجابة التامة، والامتثال الصادق، والاتباع الحسن، والتسليم المطلق، لحكم الله ورسوله، وهذا معنى الاسلام ومعنى الانتماء إليه لأنه يقتضي الاستسلام الكامل لله ورسوله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب، ٣٦) .

ومما جاء في طاعة الله ورسوله في السنة النبوية :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى " . (البخاري، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم ٧٢٨٠،ص١٢٥٢) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني" . (البخاري، صحيح البخاري، ١٤١٩هـ، حديث رقم٧١٣٧،ص١٢٨-١٢٩).

٣ ـ صفة طلب العلم

قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة، ١٢٢) .

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ ليتفقهوا في الدين ﴾ : " أي لتتفقه الطائفة المتأخرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النفور في السرايا .

وهذا يقتضي الحث على طلب العلم والندب إليه دون الوجوب والإلزام ؛ إذ ليس ذلك في قوة الكلام، وإنما لزم طلب العلم بأدلته " . (الجامع لأحكام القرآن، ١٤١٨هـ، جـ٨، ص٢٦٧) .

وقال ابن كثير : ﴿ ليتفقهوا في الدين ﴾ : ليتعلموا ما أنزل الله على نبيهم وليعلموا السرايا إذا رجعت إليهم " . (تفسير القرآن العظيم، ١٤١٤هـ،جـ٢، ص٥٢٧) .

وقال السعدي في تفسير الآية : " يقول تعالى منبهاً عباده المؤمنين على ما ينبغي لهم – "وما كان المؤمنون لينفروا كافة " أي : جميعاً لقتال عدوهم، فإنه يحصل عليهم المشقة بذلك، ويفوت به كثير من المصالح الأخرى، " فلولا نفر من كل فرقة منهم "أي : من البلدان، والقبائل، والأفخاذ " طائفة " تحصل بها الكفاية والمقصود لكان أولى .

ثم نبه على أن في إقامة المقيمين منهم، وعدم خروجهم مصالح لو خرجوا لفاتتهم، فقال: " ليتفقهوا " أي القاعدون " في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم " أي : ليتعلموا العلم الشرعي، ويعلموا معانيه، ويفقهوا أسراره، وليعلموا غيرهم، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم.

ففي هذا فضيلة العلم، خصوصاً الفقه في الدين، وأنه أهم الأمور، وأن من تعلم علماً، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم، من بركته وأجره الذي ينمى .

وأما اقتصار العالم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل الله، بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجهال مالا يعلمون، فأي منفعة حصلت للمسلمين منه ؟ وأي نتيجة نتجت من علمه ؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن آتاه الله علماً ومنحه فهماً" . (تفسير كلام المنان، ١٤١٩هـ، ص٣١٢-٣١٣) .

وقال قطب : " والذي يستقيم عندنا في تفسير الآية : أن المؤمنين لا ينفرون كافة . ولكن تنفر من كل فرقة منهم طائفة – على التناوب بين من ينفرون ومن يبقون – لتتفقه هذه الطائفة في الدين بالنفير والخروج والجهاد والحركة بهذه العقيدة ؛ وتنذر الباقين من قومها إذا رجعت إليهم، بما رأته وما فقهته من هذا الدين في أثناء الجهاد والحركة " . (في ظلال القرآن، ١٤٠٦هـ، جـ٣، ص١٧٣٤).

إن العلم يحتل مكانة رفيعة ومنزلة عالية في الدين الإسلامي الحنيف، فهو طريق الهداية للإيمان ومرشد الخير للإسلام، دعت إليه أول آية من آيات القرآن الكريم حيث قال تعالى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق، ١-٥) .

يقول قطب : " وإلى جانب هذه الحقيقة (خلق الإنسان ومبدأه) تبرز حقيقة التعليم... تعليم الرب للإنسان (بالقلم) .. لأن القلم كان وما يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثراً في حياة الإنسان، ولم تكن هذه الحقيقة إذ ذاك بهذا الوضوح الذي نلمسه الآن ونعرفه في حياة البشرية ولكن الله – سبحانه – كان يعلم قيمة القلم، فيشير إليه هذه الإشارة في أول لحظة من لحظات الرسالة الأخيرة للبشرية . في أول سورة من سور القرآن الكريم . هذا مع أن الرسول الذي جاء بها لم يكن كاتباً بالقلم، وما كان ليرز هذه الحقيقة منذ اللحظة الأولى لو كان هو الذي يقول هذا القرآن . لولا أنه الوحي ولولا أنها الرسالة . ثم تبرز مصدر التعليم . إن مصدره هو الله . منه يستمد الإنسان كل ما علم، وكل ما يعلم، وكل ما يتضح له من أسرار هذا الوجود، ومن أسرار هذه الحياة ومن أسرار

نفسه. فهو من هناك، من ذلك المصدر الواحد الذي ليس هناك سواه . (في ظلال القرآن، ١٤٠٦هـ، جـ٦، ص ٣٩٣٩) .

هذه هي رسالة الإسلام تدعو إلى العلم والتعليم، لأن العلم هو جوهر الرسالة الإسلامية وبه يكون قادراً على المسير قدماً فيما يعود عليه بالنفع . يقول عبود : " وهي آيات استهلت بها رسالة الإسلام، تشير إلى جوهر هذه الرسالة وإطارها الأيديولوجي ، وتبين بوضوح أنها رسالة (إنسانية)، بمعنى أن مدارها هو الإنسان، من حيث هو مخلوق عاقل، فضّله الله على سائر خلقه، ولن يكون مستحقاً لهذا التفضيل الذي فضله إلا إذا كان أهلاً له، ولن يكون أهلاً له إلا إذا كان إيجابياً في حياته، قادراً على السيطرة على بيئته، وتسخيرها لخدمته، في إطار من الحق والعدل والخير والجمال . ولن ينسى للإنسان في الإسلام ذلك كله إلا إذا تعلم وتفكر وتدبر، وتعاون مع غيره من الناس، ومن ثم كانت الآيات القرآنية الأولى أمراً بذلك كله، كما يبدو من ظاهر لفظها، وحقيقة معناها في نفس الوقت . (في التربية الإسلامية، ١٩٧٧م، ص٩٠-٩١) .

ومما يدل أيضاً على عظم قيمة العلم وسمو مكانته أن المولى عز وجل أقسم بالقلم وما يسطرون، بالإضافة إلى كون العلم صفة من صفات الله عز وجل فهو العليم، وكل من اتصف بالعلم، زادت قيمته وعظم أمره وشرفت منزلته وازداد قرباً من خالقه إذا وظف علمه في طاعة الله عز وجل . يقول الزرنوجي : " وشرف العلم لا يخفى على أحد، إذ هو المختص بالإنسانية، لأن جميع الخصال سوى العلم يشترك فيها الإنسان وسائر الحيوانات كالشجاعة والجرأة والقوة والجود، والشفقة وغيرها سوى العلم . وبه أظهر الله تعالى فضل آدم عليه السلام على الملائكة، وأمرهم بالسجود له، وإنما شرف بالعلم .... إلى أن يقول : لكونه وسيلة إلى البر والتقوى، الذي به يستحق الكرامة عند الله تعالى والسعادة الأبدية" . (تعليم المتعلم في طريق التعلم، ١٤٠٦هـ، ص٣١) .

ولأهمية العلم وشرفه وفضله ومكانته عند الله عز وجل، أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأل ربه مزيداً من العلم، حيث قال تعالى : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه، ١١٤) .

ولقد فضل الله تعالى العالمين على غير العالمين حيث قال تعالى : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر، ٩). وقال تعالى : ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (العنكبوت، ٤٣) .

ولكن يجب أن يكون طالب العلم مخلصاً في تعلم علمه وقاصداً به وجه الله تعالى كما هو في سائر العبادات حيث قال تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة، ٥) . يقول ابن جماعة : " واعلم أن جميع ما ذكر من فضيلة العلم والعلماء إنما هو في حق العاملين الأبرار المتقين، الذين قصدوا به وجه الله الكريم، والزلفى لديه في جنات النعيم، لا من طلبه بسوء نية أو خبث طوية أو لأغراض دنيوية ؛ من جاه، أو مال، أو مكاثرة في الأتباع والطلاب ". (تذكرة السامع والمتكلم، ١٤١٩هـ، ص٣٧-٣٨) .

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" . (البخاري، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم ٣١١٦،ص٥١٦) . ويقول عليه الصلاة والسلام: " بلغوا عني ولو آية " . (البخاري، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم ٣٤٦١، ص٥٨٢) . ويقول صلى الله عليه وسلم : " من سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة " . (مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٩هـ،، حديث رقم ٦٨٥٣، ص١١٧٣) . ويقول عليه الصلاة والسلام : " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له " . (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ، حديث رقم ٤٢٢٣، ص٧١٦)، والأحاديث في فضل العلم وأهله كثيرة.

٤ - صفة العبادة

قال تعالى : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(التوبة، ١١٢) .

قال الطبري في تفسير " العابدون " : " هم الذين ذلوا خشية لله وتواضعاً له، فجدّوا في خدمته" . (جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٤، ص١٦٤) .

وقال القرطبي : " العابدون أي المطيعون الذين قصدوا بطاعتهم الله سبحانه " . (الجامع لأحكام القرآن، ١٤١٨هـ، جـ٨، ص٢٤٥) .

وقال ابن كثير : " العابدون أي القائمون بعبادة ربهم محافظين عليها وهي الأقوال والأفعال" . (تفسير القرآن العظيم، ١٤١٤هـ، جـ٢،ص٥١٦) .

وقال السعدي : " العابدون أي المتصفون بالعبودية لله، والاستمرار على طاعته من أداء الواجبات والمستحبات في كل وقت، فبذلك يكون العبد من العابدين " . (تفسير كلام المنان، ١٤١٩هـ، ص ٣١٠) .

المعنى اللغوي للعبادة :

يقول الفيروزآبادي : " وأصل العبودية : الخضوع والذل .. يقال : طريق معبّد : أي مذلل . والعبادة : الطاعة، وهي أبلغ من العبودية، لأنها غاية التذلل لا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى " . (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، د.ت، جـ٤، ص٩) .

العبادة اصطلاحاً :

وفي الاصطلاح : يعرفها عبده عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة، ٥) . فيقول: " تدل الأساليب الصحيحة والاستعمال العربي الصراح، على أن العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية، ناشئ عن استشعار القلب عظمة المعبود، لا يعرف منشأها، وإعتقاده بسلطة له لا يدرك تفهمها وما هيتها، وقصارى ما يعرفه منها

أنها محيطة به ولكنها فوق إدراكه . فمن ينتهي إلى أقصى الذل لملك من الملوك لا يقال : إنه عبده وإن قبل موطئ قدمه، ما دام سبب الذل والخضوع معروفاً، وهو الخوف من ظلمه المعهود أو الرجاء في كرمه المحدود، اللهم إلا بالنسبة إلى الذين يعتقدون أن الملك قوة غيبية سماوية، أفيضت على الملوك من الملأ الأعلى، واختارتهم على سائر أهل الدنيا لأنهم أطيب الناس عنصراً وأكرمهم جوهراً . هؤلاء هم الذين انتهى بهم هذا الاعتقاد إلى الكفر والإلحاد، فاتخذوا الملوك آلهة وأرباباً وعبدوهم عبادة حقيقية". (رضا، تفسير المنار، د.ت، جـ١، ص٥٦-٥٧) .

يقول القرضاوي معقباً : " فالشيخ محمد عبده يرى هنا أنّ الذي يميّز العبادة من غيرها من ألوان الخضوع والتذلل والانقياد، ليس هو درجة الخضوع والطاعة – كما يقول اللغويون الذين يرون العبادة هي أقصى الطاعة والخضوع – وإنما ينظر إلى منشأ هذا الخضوع والانقياد، فإن كان منشؤه الاعتقاد بأن للمعبود عظمة وقدرة فوق الإدراك والحس فهذا هو العبادة " . (العبادة في الإسلام، ١٤٠٥هـ، ص٣٠-٣١) .

أما البيانوني فإنه يعرّف العبادة في الاصطلاح بتقسيمها إلى معنيين اثنين : عام وخاص : "فالعبادة بالمعنى العام هي : (عمل العبد الإرادي الموافق لطلب المعبود) فإذا كان عمل الزراع زراعة، وعمل الصناع صناعة، وعمل التجار تجارة، فإن عمل العبد (عبادة) ومن هنا كانت العبادة بالمعنى العام تشمل جميع أعمال المرء الإرادية، قلبية كانت أو سلوكية، فإذا كان عمله وفق طلب المعبود كان عمله طاعة أو عملاً صالحاً، وإذا كان عمله مخالفاً طلب المعبود كان عمله معصية أو عملاً غير صالح ... والعبادة بالمعنى الخاص هي : (الأعمال الخاصة المحددة التي كلف العبد القيام بها تمريناً عملياً له على الخضوع الكامل) وهي ما يعبر عنها بالشعائر التعبدية ، كالأركان الخمسة وما يلحق بها من شعائر " . (العبادة، ١٤٠٤هـ، ص١٧-١٨) .

وقد سئل ابن تيمية عن قوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ (البقرة، ٢١)، ما العبادة وفروعها ؟ وهل مجموع الدين داخل فيها أم لا ؟ وما حقيقة العبودية ؟ وهل هي أعلى المقامات في الدنيا والآخرة، أم فوقها شيء من المقامات ؟ ..

فأجاب برسالة تسمى رسالة العبودية . ومما قال : " العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة .. وأمثال ذلك من العبادة . وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضى بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه .. وأمثال ذلك هي من العبادة لله .. وقد نعت الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالعبودية في أكمل أحواله، فقال في الإسراء : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ (الاسراء، ١) ، وقال في الإيحاء : ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾(النجم، ١٠)، وقال في الدعوة : ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (الجن، ١٩) ، وقال في التحدي : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ (البقرة، ٢٣) ، وقال في نزول القرآن:﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان، ١)، فالدين كله داخل في العبادة " . (مجموع الفتاوى، د.ت، جـ٣، ص١٤٩-١٥٢) .

إن قول ابن تيمية " الدين كله داخل في العبادة " قول حق، يجب التأكيد عليه لأهميته في حياة المسلم، لأن الإسلام منهج حياة لكل نواحي الحياة، قد رسم للإنسان حياته بحذافيرها، وحدد سلوكه وعلاقاته حتى في أدق المسائل، بحيث لو التزم المسلم بإسلامه بجميع تشريعاته ؛ كانت حياته منظمة ومتوافقة ومطمئنة وهادئة، قال تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل،٩٧).

يقول قطب : " من أبرز سمات المنهج الإسلامي أنه منهج عبادة . ولكن العبادة في هذا المنهج تحتاج إلى توضيح ؛ فهي ليست قاصرة على مناسك التعبد المعروفة، من صلاة وصيام وزكاة .. وإنما هي معنى أعمق من ذلك جداً .. إنها العبودية لله وحده، والتلقي من الله وحده، في أمر الدنيا والآخرة كله، وهذه الصلة في الحقيقة هي منهج التربية كله تتفرع منه جميع التفريعات وتعود في النهاية كلها إليه .. والصلاة والصيام والزكاة والحج وسائر الشعائر التعبدية إن هي إلا مفاتيح للعبادة، أو (محطات) يقف عندها السائرون في الطريق يتزودون بالزاد ولكن الطريق كله عبادة، وكل ما يقع فيه من نسك أو عمل أو فكر أو شعور فهو كذلك عبادة ما دامت وجهته إلى الله . ما دام قد شهد حقاً – لا باللسان – إن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأقام حياته كلها وواقعه كله على هذا الأساس . والعبادة بهذا المعنى تشمل الحياة . إنها لا تقتصر على اللحظات القصيرة التي تشغلها مناسك التعبد، وما كان هذا هو القصد من الآية الكريمة : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات، ٥٦) ، وإلا فما قيمة لحظات عابرة في صفحة النفس وفي صفحة الكون لا تكاد تترك له أثراً وتضيع في الفضاء . إنما قيمتها أن تكون منهج حياة يشمل كل الحياة، قيمته أن تكون خطة سلوك وخطة عمل وخطة فكر وخطة شعور.. قائمة كلها على منهج واضح يتبين فيه – في كل لحظة – ما ينبغي ومالا ينبغي أن يكون " . (منهج التربية الإسلامية، ١٤٠٣هـ، جـ١، ص٣٤-٣٥).

٥- صفة التوبة

قال تعالى : ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة، ١١٢).

قال الطبري : " التائبون : الراجعون مما كرهه الله وسخطه إلى ما يحبه ويرضاه ". (جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٤،ص١٦٤) .

وقال القرطبي : " التائبون : الراجعون عن الحالة المذمومة في معصية الله إلى الحالة المحمودة في طاعة الله . والتائب هو الراجع . والراجع إلى الطاعة هو أفضل من الراجع عن المعصية لجمعه بين الأمرين " . (الجامع لأحكام القرآن، ١٤١٨هـ،جـ٨، ص٢٤٥).

وقال ابن كثير : " التائبون : من الذنوب كلها التاركون للفواحش " . (تفسير القرآن العظيم، ١٤١٤هـ، جـ٢، ص٥١٦) .

وقال السعدي : " التائبون : أي الملازمون للتوبة في جميع الأوقات عن جميع السيئات ". (تفسير كلام المنان، ١٤١٩هـ، ص٣١٠) .

إن التوبة نعمة من الله عز وجل تفضل بها على عباده لأنه العليم بأحوالهم والخبير بطبائعهم، فالنفس أمارة بالسوء، وكل ابن آدم خطاء فكلما ارتكب الإنسان ذنباً أو اقترف خطيئة لجأ إلى الله عز وجل وطرح نفسه بين يديه طالباً منه العفو عمّا بدر منه والغفران لما أقدم عليه، صادقاً في العودة، منكسراً في الطلب، فما يجد إلا رباً غفوراً يمحو عنه كل خطيئة ويغفر له كل زلة، باسطاً يده بالليل والنهار ليتوب كل مسئ ويستغفر كل من زلت به قدمه فابتعد عن ربه وانحرف عن المسار الصحيح الذي وضع له، يقول الميداني : " إن بني آدم خطاؤون، كثيرو الانحراف عن سواء السبيل، كلما كبت فيه الإرادة، وضعفت عن ضبط القيادة، وانحرفت به عجلات مركبة الحياة عن سواء سبيل الهداية، لذلك كانوا بحاجة مستمرة إلى تجديد التوبة والإنابة إلى الله، إذ الذنوب والمعاصي تبعدهم عن الله والتوبة تردهم وترجعهم إليه " .(الأخلاق الإسلامية وأسسها، ١٤٢٠هـ، جـ١، ص٦٨١).

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالتوبة في أكثر من آية نظراً لأهميتها وعظم جزائها حيث قال تعالى:﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور، ٣١) . وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحريم، ٨) .

وعن أبي بردة قال سمعت الأغر وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يحدث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا أيها الناس توبوا إلى الله فاني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة " . (مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٩هـ حديث رقم ٦٨٥٩، ص ١١٧٤) .

فإذا كانت هذه التوبة تصدر مائة مرة كل يوم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فحري بالمسلمين أن يقتدوا به ويسيروا على نهجه وهم الذين تحملت نفوسهم ذنوباً لا يعلمها إلا الله فيتوبون إلى الله ويستغفرونه، فهو مطلع على أعمالهم صغيرها وكبيرها . يقول السلمان : " والأحاديث في هذا كثيرة، والإجماع منعقد على وجوب التوبة، ولأن الذنوب مهلكات مبعدات عن الله فيجب الهرب منها على الفور وليحذر الإنسان كل الحذر من الذنوب الكبائر والصغائر . ووجوب التوبة من الكبائر أهم وآكد، والإصرار على الصغيرة أيضاً كبيرة، فلا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع التوبة والاستغفار، وتواتر الصغائر عظيم التأثير في تسويد القلب وهو كتواتر قطرات الماء على الحجر، فإنه يحدث به حفرة لا محالة مع لين الماء وصلابة الحجر فعلى العاقل أن يترصد قلبه باستمرار ويراقب حركاته ويسجل تصرفاته ولا يتساهل ولا يقول إنها من توافه الصغار " . (موارد الظمآن لدروس الزمان، ١٤١٣هـ، جـ١، ص٢٨) .

والتوبة لله من الذنب قد أمر الله بها جميع خلقه وعامتهم حيث كان أول التائبين من البشر أباهم آدم عليه السلام عندما تاب إلى ربه من ذنبه حيث قال تعالى : ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة،٣٧). وقال تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (طه، ١٢١-١٢٢) . وكذلك دعا الرسل أقوامهم فقال تعالى في قصة هود عليه السلام مع قومه : ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (هود، ٥٢).

وكذلك دعا الله المشركين إلى التوبة من شركهم قال تعالى : ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (هود، ٣) . ومن رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده أنه يقبل منهم التوبة في كل وقت ولحظة ما لم يحضر الموت أو تطلع الشمس من مغربها، حيث قال تعالى : ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء، ١٧-١٨) .

وللتوبة شروط ذكرها العلماء :

يقول الميداني : ذكر العلماء شروط قبول التوبة ونلخص منها فيما يلي ما تؤيده النصوص :

(أ) إذا كانت التوبة من معصية لا تتعلق بحق إنسان فلقبولها شروط خمسة وهي :

١- أن يقلع المذنب عن المعصية .

٢- وأن يندم على فعلها .

٣- وأن يعزم على أن لا يعود إليها أبداً .

٤- وأن تكون التوبة قبل أن يحضر الموت .

٥- وأن تكون قبل أن تطلع الشمس من مغربها .

(ب) وإذا كانت التوبة من معصية تتعلق بحق إنسان فلقبولها شرط سادس يضاف إلى الشروط السابقة، وهي أن يؤدي لصاحب الحق حقه أو نظير حقه، أو يحصل على مسامحته وعفوه من غير إكراه . فإن تعذر عليه أن يسترضي أصحاب الحقوق، صدق في توبته وسأل الله أن يتولى عنه إرضاءهم، وحين يعلم الله صدق توبته وعجزه عن تأدية الحقوق لأهلها، فإن الله يتولى عنه يوم القيامة إرضاءهم ويغفر له . (الأخلاق الإسلامية وأسسها، ١٤٢٠هـ، ص٦٨٣).

٦ ـ صفة الطهارة :

قال تعالى : ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة، ١٠٨) .

قال الطبري في تفسير قوله تعالى : ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾: " يقول تعالى ذكره : في حاضري المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، رجال يحبون أن ينظفوا مقاعدهم بالماء إذا أتوا الغائط، والله يحب المتطهرين " . (جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٤، ص١٦١) .

وقال القرطبي : " أثنى الله سبحانه وتعالى في هذه الآية على من أحب الطهارة وآثر النظافة وهي مروءة آدمية ووظيفة شرعية " . (الجامع لأحكام القرآن، ١٤١٨هـ، جـ٨، ص٢٣٨).

وقال السعدي : " ﴿ لا تقم فيه أبداً ﴾ أي لا تصلي في ذلك المسجد الذي بني ضراراً أبداً فالله يغنيك عنه، ولست بمضطر إليه .

﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ ظهر فيه الإسلام في " قباء "، وهو مسجد "قباء" أسس على إخلاص الدين لله، وإقامة ذكره وشعائر دينه، وكان قديماً في هذا، عريقاً فيه، فهذا المسجد الفاضل " أحق أن تقوم فيه " وتتعبد، وتذكر الله تعالى فهو فاضل، وأهله فضلاء، ولهذا مدحهم الله بقوله " فيه رجال يحبون أن يتطهروا " من الذنوب، ويتطهروا من الأوساخ، والنجاسات، والأحداث . ومن المعلوم أن من أحب شيئاً، لابد أن يسعى له، ويجتهد فيما يحب، فلا بد أنهم كانوا حريصين على التطهر من الذنوب والأوساخ والأحداث. ولهذا كانوا ممن سبق اسلامه، وكانوا مقيمين للصلاة، محافظين على الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإقامة شرائع الدين، وممن كانوا يتحرزون من مخالفة الله ورسوله .

وسألهم النبي صلى الله عليه وسلم بعدما نزلت هذه الآية في مدحهم عن طهارتهم، فأخبروه أنهم يتبعون الحجارة بالماء، فحمدهم على صنيعهم .

" والله يحب المتطهرين " الطهارة المعنوية، كالتنزه من الشرك، والأخلاق الرذيلة، والطهارة الحسية، كازالة الأنجاس، ورفع الأحداث" . (تفسير كلام المنّان، ١٤١٩هـ، ص٣٠٩).

وقال الجزائري : " فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين " ثناء على أهل قباء بخير وإخبار أنهم يحبون أن يتطهروا من الخبث الحسي والمعنوي فكانوا يجمعون في الاستنجاء بين الحجارة والماء فأثنى الله تعالى عليهم بذلك . ثم أورد الجزائري الحديث فقال : لما نزلت هذه الآية قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " أهل قباء إن الله سبحانه قد أحسن الثناء عليكم في التطهر فما تصنعون ؟ قالوا : إنا نغسل أثر الغائط والبول بالماء " . (أبو داود، السنن، ١٤٢٠هـ، حديث رقم ٤٤، ص١٨) . فكانوا يجمعون بين الاستجمار والاستنجاء مبالغة في التطهر، وإن كان الاستجمار مجزئاً تخفيفاً على الأمة المسلمة " . (أيسر التفاسير، ١٤١٩هـ، جـ٢، ص٤٢٦).

إن المسلم يتميز على غيره بطهارته ونظافته الداخلية والخارجية، وهذا راجع إلى تمسكه بما أمر الله به وحث عليه، فقد جعل الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم النظافة من الإيمان، وذلك لما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الطهور شطر الإيمان" . (مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٩هـ، حديث رقم٥٣٤، ص١٢١).

لقد حث الإسلام المسلم على الطهارة والنظافة الداخلية والخارجية فأوجب على المسلم أن يطهر نفسه من الأحقاد والضغائن ومن كل معصية، وجعل سبل تطهير المسلم من تلك المعاصي ميسرة وسهلة . فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسّل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل

خطيئة مشتها رجلاه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب" . (مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٩هـ، حديث رقم٥٧٧،ص١٢١)، ولم يغفل الإسلام الطهارة والنظافة الخارجية للمسلم، بل جاءت الآيات والأحاديث تحث المسلم على ذلك، وتبين له السبل إلى ذلك . فتارة يخبر سبحانه أنه يحب المتطهرين، كما في قوله تعالى : ﴿ .... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة، ٢٢٢) .

وتارة يجعل الطهارة والنظافة شرطاً من شروط الصلاة، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة، ٦) .

وتارة أخرى يمتدح الله أهل قباء بالطهارة والنظافة ويعلن حبه لهم كما في قوله تعالى : ﴿ .... فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة، ١٠٨) . كما يجعل الله الطهارة شرطاً لمس المصحف كما في قوله تعالى : ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة، ٧٩) .

كما أمرت السنّة المطهرة المسلم بالطهارة والنظافة في ملبسه ومأكله ومشربه وفي جميع أحواله، وذلك حتى يكون في أحسن هيئة وهو يقف أمام ربه في أي نوع من أنواع العبادة كالصلاة والحج مثلاً، كما يظهر أمام الناس وهو جميل المنظر طيب الرائحة .

يقول الغزالي : " إن صحة الأجسام وجمالها ونضرتها من الأمور التي وجّه الإسلام إليها عناية فائقة واعتبرها من صميم رسالته، ولن يكون الشخص راجحاً في ميزان الإسلام، محترم الجانب إلا إذا تعهد جسمه بالتنظيف والتهذيب، وكان في مطعمه ومشربه وهيئته الخاصة بعيداً عن الأدران المكدرة، والأحوال المنفرة، وليست صحة الجسد

وطهارته صلاحاً مادياً فقط، بل إن أثرها عميق في تزكية النفس وتمكين الإنسان من النهوض بأعباء الحياة" . (خلق المسلم، ١٤٠٦هـ، ص٢٥٥) .

إن المسلم مطلوب منه أن يخرج إلى المسجد وهو طيب الرائحة متطهر نظيف مستاك، وذلك لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "لولا أن أشق على المؤمنين أو على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة " . (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ، حديث رقم ٥٨٩،ص١٢٣) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم" . (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ، حديث رقم ١٢٥٤،ص٢٢٧) ، كما أمر بالغسل ليوم الجمعة، ولبس أحسن الملابس، ومس الطيب، وتقليم الأظافر، وحف الشوارب، ونتف الإبط. فعن سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهر، ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له، ثمّ ينصت إذا تكلم الإمام، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى" . (البخاري، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم ٨٨٣،ص١٤٢) .

كما أمِر المسلم بأن يغسل يديه قبل الأكل وبعده وأن لا يجعل أمتعته مكشوفة كي لا تتسخ أو تتعرض للأتربة والحشرات . كما نُهي عن التنفس في الماء أو الشراب من الآنية المكسورة، فعن جابر رضي ا لله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، وأغلقوا الباب، وأطفئوا السراج، فإن الشيطان لا يحل سقاء، ولا يفتح باباً، ولا يكشف إناء، فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عوداً، أو يذكر

اسم الله، فليفعل، فإن الفويسقة (١) تَضْرِم على أهل البيت بيتهم" . (مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٩هـ، حديث رقم٥٢٤٦،ص٨٩٩)، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اختناث الأسقية "(٢) : أي يشرب من أفواهها" . (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ، حديث رقم ٥٢٧٢،ص٩٠٣) .

وأمر الإسلام بالمحافظة على المرافق العامة التي يستفيد منها المسلمون، ولذلك نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن قضاء الحاجة في طريق الناس أو في ظلهم الذي يحتاجون إليه أو البول في الماء الراكد الذي يردونه أو ترده دوابهم، لما في ذلك من الأذى لهم وحرمانهم من تمام الانتفاع بتلك الأشياء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اتقوا اللعّانين : قالوا : وما اللعّانان يا رسول الله ؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم " . (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ، حديث رقم ٦١٨،ص١٢٧) ، وعن جابر رضي الله عنه " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يبال في الماء الراكد". (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ، حديث رقم ٦٥٥،ص١٣٢) .

---

(١) الفويسقة : الفأرة .

(٢) اختناث الأسقية : " خنثت السقاء إذا ثنيت فمه إلى خارج وشربت منه وقبعته إذا ثنيته إلى داخل. وإنما نهى عنه لأنه يُنَتِّنُها " . (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ١٣٨٣هـ، جـ٢، ص٨٢).

٧ - صفة الصلاة :

قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة، ٧١) .

قال الطبري في تفسير ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ : " يؤدون الصلاة المفروضة " . (جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٤، ص١٣٥) .

وقال القرطبي في تفسير ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ : " تقدم في أول " البقرة " القول فيه . وقال ابن عباس : هي الصلوات الخمس ". (الجامع لأحكام القرآن، ١٤١٨هـ، جـ٨، ص١٨٦) .

وعند الرجوع إلى سورة البقرة في تفسير ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ قال القرطبي : "إقامة الصلاة أداؤها بأركانها وسننها وهيئاتها في أوقاتها" . (المصدر السابق، جـ١، ص٢٠٩) .

وقال الجزائري في شرح ﴿ ويقيمون الصلاة ﴾ : " يؤدونها في خشوع وافية الشروط والأركان والسنن والآداب " . (أيسر التفاسير، ١٤١٩هـ، جـ٢، ص٣٩٥).

وقال تعالى : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة، ١١٢).

قال الطبري : " الراكعون الساجدون يعني المصلين، الراكعين في صلاتهم ، الساجدين فيها " . (جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٤، ص١٦٤) .

وقال القرطبي : " الراكعون الساجدون يعني في الصلاة المكتوبة وغيرها " . (الجامع لأحكام القرآن، ١٤١٨هـ، جـ٨، ص٢٤٦) .

وقال ابن كثير : " الركوع والسجود وهما عبارة عن الصلاة " . (تفسير القرآن العظيم، ١٤١٤هـ، جـ٢، ص٥١٦) .

وقال السعدي : " الراكعون الساجدون : أي المكثرون من الصلاة، المشتملة على الركوع والسجود " . (تفسير كلام المنان، ١٤١٩هـ، ص٣١١) .

لقد فرض الله الصلاة على المؤمنين خمس مرات في اليوم والليلة، وحدّد لها أوقاتاً معينة لا يجوز تأخير الصلاة عن أوقاتها، قال تعالى : ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (النساء، ١٠٣) . وجعلها الركن الثاني من أركان الإسلام، ولذلك عظم إثم تاركها، وتوعده الله تعالى بالويل والثبور والعذاب الأليم في نار جهنم . قال تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ* إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ* فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ* عَنِ الْمُجْرِمِينَ* مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ (المدثر، ٣٨-٤٣) .

بل نصت الأحاديث الصحيحة على كفر تارك الصلاة صراحة :

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة " . (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ، حديث رقم ٢٤٧،ص٥١) .

وعن بريدة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر " . (الترمذي، السنن،١٤٢٠هـ، حديث رقم ٢٦٢١،ص٥٩٥) .

والصلاة رحلة إيمانية نحو الخالق عز وجل، المسافر فيها يحظى برحمة إلهية عظمى حيث تعهدّ الله سبحانه وتعالى بأن يغفر له الخطايا والزلات، وتكفل بأن يمحو عنه الذنوب ويقيل عنه العثرات، وتبدأ هذه العناية الإلهية منذ الاستعداد للصلاة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقياً من الذنوب" (مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٩هـ، حديث رقم٥٧٧،

ص١٢١) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط " . (مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٩هـ، حديث رقم ٥٨٧، ص١٢٣).

وقد جعل الله عز وجل الصلاة إعانة للمسلم على قضاء حوائجه، فهو يستعين بها في كل أمر من أمور الدنيا، فإذا ما عظم به خطب أو اشتدّ عليه أمر لجأ إلى الصلاة طالباً العون من الله سبحانه وتعالى في تخفيف ذلك الأمر . قال تعالى : ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة، ٤٥-٤٦) .

يقول شلتوت : " إن الصلوات الخمس رحلة إلهية، أوجبها الله على عباده في أوقات متفرقة من اليوم والليلة، يخلص فيها المؤمن من دنياه ويتفرغ لربه بالتكبير والمناجاة ، وطلب المعونة والهداية، ويلقي فيها بنفسه في كفالة الربوبية الرحيمة، متمثلاً العظمة المطلقة، التي تصغر أمامها كل عظمة في هذه الحياة . وإن تلك الرحلات لجديرة أن تفرج همه، وأن تخفف ويله، وأن تحقق رغائبه الخيّرة " . (الإسلام عقيدة وشريعة، ١٤١٤هـ، ص٨٤) .

وقد اهتم الرسل عليهم الصلاة والسلام بالصلاة : فهذا إبراهيم عليه السلام يدعو ربه أن يكون ممن يقيم الصلاة، قال تعالى : ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ (إبراهيم، ٤٠) ، وهذا إسماعيل عليه السلام يقول عنه ربه عز وجل : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ (مريم، ٥٤-٥٥) .

وهي وصية الله تعالى إلى نبيه عيسى بن مريم عليه السلام . قال تعالى : ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (مريم، ٣١)، وقد أمر الله بها نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم . كما قال تعالى : ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ

الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت، ٤٥) .

يقول القرضاوي : " تلك هي مكانة الصلاة في الإسلام ولهذه المكانة كانت أول عبادة فرضت على المسلمين . فقد فرضت في مكة قبل الهجرة بنحو ثلاث سنوات، وكانت طريقة فريضتها دليلاً آخر على عناية الله بها، إذ فرضت العبادات كلها في الأرض، وفرضت الصلاة وحدها في السماء ليلة الإسراء والمعراج، بخطاب مباشر من رب العالمين إلى خاتم المرسلين" . (العبادة في الإسلام، ١٤٠٥هـ،ص٢٢٤) ، لذلك توعد الله من تركها أو تهاون في أدائها بوادٍ في جهنم، كما قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (مريم، ٥٩)، وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون، ٤-٥). يقول الجزائري : " هذا وعيد شديد لهم إذ الويل وادٍ في جهنم يسيل من صديد أهل النار وقيوحهم، وهو أشد العذاب إذ كانوا يغمسون فيه، أو يطعمون ويشربون منه . ومعنى ﴿عن صلاتهم ساهون﴾ أنهم غافلون عنها لا يذكرونها، فكثيراً ما تفوتهم ويخرج وقتها، وأغلب حالهم أنهم لا يصلونها إلا عند قرب خروج وقتها". (أيسر التفاسير،١٤١٩هـ،جـ٥،ص٦٢٠).

٨ ـ صفة إيتاء الزكاة :

قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة، ٧١) .

قال الطبري في تفسير ﴿ ويؤتون الزكاة ﴾ : " ويعطون الزكاة المفروضة أهلها " . (جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٤، ص١٣٥) .

وقال القرطبي : " ﴿ ويؤتون الزكاة ﴾ : " الزكاة هنا المفروضة " . (الجامع لأحكام القرآن، ١٤١٨هـ، جـ٨، ص١٨٦) .

وقال قطب : ﴿ ويؤتون الزكاة ﴾ الفريضة التي تربط بين الجماعة المسلمة، وتحقق الصورة المادية والروحية للولاية والتضامن " . (في ظلال القرآن، ١٤٠٦هـ،جـ٣، ص١٦٧٥).

وقال الجزائري : ﴿ ويؤتون الزكاة ﴾ : أي يخرجون زكاة أموالهم الصامتة كالدراهم والدنانير والمعشرات، والناطقة كالأنعام : الإبل والبقر والغنم " . (أيسر التفاسير، ١٤١٩هـ، جـ٢، ص٣٩٥) .

والزكاة عنصر تكافلي فعّال، ومؤثر اجتماعي قوي، بها تتآلف القلوب، ومنها تنبثق معاني المحبة والوفاء، وتنطلق آيات المودة والصفاء، فهي تقريب للقلوب، وتجميع للنفوس، بها تزداد الروابط بين أفراد المجتمع متانة وتقوى الأواصر بين الناس، وتعتلي المكانة، هي صفة يتصف بها كل مسلم، ويتحلى بها كل مؤمن هدفه إرضاء ربه والامتثال لأوامره، يزداد بها المجتمع تماسكاً وقربى، وترابطاً وحباً، بفعلها يعتلي المسلم أعلى مراتب المجد ويتصف بصفة التقوى . قال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف ، ١٥٦) . وقوله

﴿ الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (البقرة، ١ -٣) .

ولقد وعد الله مؤديها بالرحمة حيث قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (النور، ٥٦) . وقال تعالى : ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف، ١٥٦) .

ولقد ذكرت الزكاة في القرآن الكريم في أكثر من ثلاثين موضعاً، وكانت في معظم المواضع قد ذكرت ملازمة للصلاة، فهذا أكبر دليل على أهميتها وأعظم برهان على علو مكانتها .

يقول الهاشمي : " ذلك أن الزكاة فريضة مالية محددة، لا يسع المسلم الصادق أن يتهاون في إخراجها كاملة كما بينتها الشريعة . وما يتلكأ في إخراجها مسلم إلا وفي تدينه غبش، وفي نفسه كزازة، وفي خلقه التواء . وحسبنا أن نعلم أن حابسها يقاتل ويهدر دمه، حتى يؤديها كاملة، كما بينتها أحكام الدين، وما تزال قولة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في أهل الردة تتردد في سمع الزمان معلنة عظمة هذا الدين في ربطه بين الدين والدنيا " ولأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة " . وإنه لقسم من أبي بكر يوحي بعمق فهمه بطبيعة هذا الدين المتكامل، وللعلاقة الوثقى بين الصلاة والزكاة في إقامة صرحه إذ رأى آيات القرآن الكريم تترى متضافرة متآزرة متعاقبة تقرن بين الصلاة والزكاة " . (شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، ١٤١٤هـ، ص٢٣-٢٤) .

والزكاة نظام اجتماعي لا يذل الفقير، ولا يجعل الغني مستعلياً على غيره . يقول أبو زهرة : " والزكاة تعاون اجتماعي يجعل للفقير حقاً معلوماً في أموال الغني، فهي تكليف اجتماعي خالص، ومصرفها اجتماعي خالص، ونظامها في الجمع والتوزيع لا يذل الفقير، ولا يجعل الغني يشعر بعزته فوقه، ولذا قال الفقهاء بالإجماع : إن ولي الأمر هو الذي يجمعها وهو الذي يوزعها على مصارفها" . (تنظيم الإسلام للمجتمع، ١٣٨٥هـ،ص ٢٠).

ولقد توعد الله عز وجل مانع الزكاة بالعذاب الشديد يوم القيامة وقد عده الله من المشركين حيث قال تعالى:﴿ ..... وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (فصلت، ٦-٧) . وقال عز وجل:﴿ ..... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (التوبة، ٣٤-٣٥).

قال الطبري : " ومعنى الكنز : هو كل مال وجبت فيه الزكاة، فلم تؤدّ زكاته . قالوا: وعنى بقوله : " ولا ينفقونها في سبيل الله ": ولا يؤدون زكاتها ". (جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٤، ص١٠٣) .

وقال السعدي : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ﴾ أي : يمسكونها، ﴿ ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾ أي : طرق الخير الموصلة إلى الله، وهذا هو الكنز المحرم، أن يمسكها عن النفقة الواجبة، كأن يمنع منها الزكاة أو النفقات الواجبة للزوجات، أو الأقارب، أو النفقة في سبيل الله إذا وجبت. ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾، ثم فسر بقوله : ﴿ يوم يحمى عليها ﴾ أي: على أموالهم، ﴿ في نار جهنم ﴾ فيحمى كل دينار أو درهم على حدته . ﴿ فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ﴾ في يوم القيامة كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ويقال لهم توبيخاً ولوماً : ﴿ هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ فما ظلمكم ولكنكم ظلمتم أنفسكم وعذبتموها بهذا الكنز " . (تفسير كلام المنان، ١٤١٩هـ، ص٢٩٦).

٩ - صفة الصيام

قال تعالى : ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة، ١١٢) .

قال الطبري في تفسير ﴿ السائحون ﴾ : " وأما قوله : ﴿ السائحون ﴾ فإنهم الصائمون". (جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٤، ص١٦٤) .

وقال القرطبي : " السائحون : الصائمون ؛ عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما . ومنه قوله تعالى : ﴿ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ﴾ (التحريم، ٥). وقال سفيان بن عيينة : إنما قيل للصائم سائح لأنه يترك اللذات كلها من المطعم والمشرب والمنكح . وقال أبو طالب :

وبالسائحين لا يذوقون قطرة لربهم والذاكرات العوامل

وقال آخر :

براً يصلي ليله ونهاره يظل كثير الذكر لله سائحاً "

(الجامع لأحكام القرآن، ١٤١٨هـ، جـ٨، ص٢٤٥).

وقال ابن كثير : " ومن أفضل الأعمال الصيام وهو ترك الملاذ من الطعام والشراب والجماع، وهو المراد بالسياحة ههنا، ولهذا قال : ﴿ السائحون ﴾ كما وصف أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في قوله تعالى ﴿ سائحات ﴾ أي صائمات " . (تفسير القرآن العظيم، ١٤١٤هـ، جـ٢، ص٥١٦) .

وقال الشوكاني : " والسائحون : قيل : هم الصائمون، وإليه ذهب جمهور المفسرين، ومنه قوله تعالى : ﴿ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ﴾ (التحريم، ٥)، وإنما قيل للصائم سائح، لأنه يترك اللذات كما يتركها السائح في الأرض ... قال الزجاج : ومذهب الحسن أن السائحين ها هنا الذين يصومون الفرض، وقيل إنهم الذين يديمون الصيام" . (فتح القدير، ١٣٨٣هـ، جـ٢،ص٤٠٨).

إن من أعظم الفرص التي يسرها الله عز وجل لعباده وأجزل أجرها صيام شهر رمضان، هذا الشهر الذي خصه الله على سائر الشهور بالتشريف والتكريم، وأنزل فيه القرآن الكريم، قال تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة، ١٨٥) . وجعله أحد أركان الإسلام . فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان". (مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٩هـ، حديث رقم ١١٣،ص٢٩) . شهر كتب الله على المؤمنين صيامه كما كتبه على الأمم السابقة، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة، ١٨٣) ، شهر تزين فيه الجنان وتغلق فيه أبواب النيران وتصفد الشياطين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين" (مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٩هـ، حديث رقم ٢٤٩٥،ص٤٣٩)، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر، ١، ٢، ٣).

مزايا الصيام :

ومن مزايا الصيام أنه سبب لمغفرة ما تقدم من الذنوب كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه " . (البخاري، صحيح البخاري، ١٤١٩هـ، حديث رقم ٣٨،ص٩)، و (مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٩هـ، حديث رقم ١٧٨١،ص٣٠٨) .

ومن مزاياه أيضاً ما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم : " كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل : إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان : فرحة عند فطره، وفرحة

عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك" . (مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٩هـ، حديث رقم ٢٧٠٧، ص٤٦٩).

إن الصوم وسيلة لتربية الروح لأنه عبادة لله من جملة العبادات المشروعة . قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات، ٥٦-٥٨) .

والعبادة لله غذاء الروح . فكما أن الجسم غذاؤه الطعام والشراب وإشباع حاجاته وغرائزه، فإن الروح غذاؤها عبادة الله تعالى بجميع أنواع العبادات التي يجد المؤمن فيها سكينته وطمأنينته وراحته، لأنه يتقرب إلى الله تعالى بما افترض وشرع، وهو رب يستحق العبادة، وهي حق لله تعالى وواجب على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، فكيف وقد رتب على ذلك جزاءً عظيماً وأجراً كبيراً، فهو المنعم المتفضل الكريم .

يقول قطب وهو يتحدث عن أثر العبادة في تربية الروح : " ﴿ لعلكم تتقون ﴾ إنها التقوى لله غاية الصيام، التقوى التي تنشأ من الطاعة، الطاعة التي تتطوع بالامتناع عن شهوات النفس وشهوات الجسد، في حين تملك ألا تمتنع ولا تطيع . والصيام حين يؤدى على أصوله ولا يكون مجرد امتناع عن الطعام والشراب .. حين يكون صيام النفس من الداخل لا صيام الأحشاء .. حين يتوجه به الإنسان إلى الله .. حين يحس أن كل خاطرة في نفسه وكل احساس في شعوره وكل لفتة وكل نظرة وكل خالجة وكل سر : ينبغي أن تكون – في هذا الشهر خاصة – نظيفة متطهرة تصلح للصيام والتبتل، والتوجه الكامل إلى الله.. حينئذ تملأ التقوى القلب، تنطلق الروح إلى آفاق عالية من النور المشرق الوضئ " . (منهج التربية الإسلامية، ١٤٠٣هـ، جـ١، ص٦٥) .

والصوم وسيلة للوصول إلى التقوى : قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة، ١٨٣) .

والتقوى : قوة في القلب، وعزيمة في الإرادة، تحمل المؤمن على التزام الطاعات واجتناب الذنوب.

ومن الوسائل والطرق المؤدية إلى ملكة التقوى : الصوم، فقد قال تعالى : ﴿ لعلكم تتقون ﴾ فإن المسلم يدع طعامه وشرابه وشهوته لله تعالى . ومع نهاية الشهر المبارك توزع الجوائز وهي مغفرة الله ورضوانه والعتق من نيرانه، فهو يوم عيد وفرح وبهجة وسرور، فما سمي العيد إلا لكثرة ما يعود الله فيه بالأجر الوفير على عباده .

والصوم وسيلة لتزكية النفس : فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، وقد فطرت النفس على استعدادها للخير واستعدادها للشر، وذلك نتيجة لخلق الإنسان من قبضة من طين ونفخة من روح، وقد فطر الله الإنسان على فطرة سوية هي فطرة التوحيد، التي قال النبي صلى الله عليه وسلم عنها : " كل مولود يولد على الفطرة .. " . (البخاري، صحيح البخاري، ١٤١٩هـ، حديث رقم ١٣٨٥،ص٢٢٢) .

يقول الميداني : " إن من استطاع بإرادته أن يكف نفسه عن شهوات بطنه وفرجه المباحة في غير الصوم والتي يمارسه في العادة، ويصبر على كف نفسه عنها خلال أيام شهر كامل ؛ استطاع أن يكف نفسه بعد ذلك فيصبر عن الشهوات المحرمة، ويصبر على المصائب، ويصبر على الطاعات التي فيها تكليف للأنفس، لأنه قد تدّرب بالصيام المشروع في رمضان على فضيلة خلق الصبر " . (الصيام ورمضان في السنة والقرآن، ١٤٠٧هـ ، ص١٥٧).

فالصوم يجعل الإنسان رحيم القلب، زكي النفس، ويقوي فيه محبة الطاعة وبغض المعصية، ويجعله عوناً لاخوانه المحتاجين من الفقراء والمساكين . يقول الصابوني : " إن الصوم يربي في الإنسان، ملكة الحب والعطف والحنان، ويجعل منه إنساناً رقيق القلب، طيب النفس، ويحرك فيه كوامن الإيمان، فليس الصيام حرماناً للإنسان عن الطعام والشراب، بل هو تفجير للطاقة الروحية في نفس الإنسان، ليشعر بشعور إخوانه، ويحس

باحساسهم، فيمد إليهم يد المساعدة والعون، ويمسح دموع البائسين، ويزيل أحزان المنكوبين، بما تجود به نفسه الخيرة الكريمة، التي هذبها شهر الصيام، ولقد قيل ليوسف الصديق عليه السلام : لم تجوع وأنت على خزائن الأرض ؟ فقال : أخشى إن أنا شبعت أن أنسى الجائع " . (روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن، ١٤١١هـ، جـ١، ص٢٠٣) .

والصوم وسيلة لتقوية الجسم لأنه علاج ووقاية من كثير من الأمراض الجسدية، التي لا ينفع فيها إلا الحمية الكاملة، والانقطاع عن الطعام والشراب فترة من الزمن، " ومن فوائده الصحية أنه يطهر الأمعاء ويصلح المعدة، وينظف البدن من الفضلات والرواسب، ويخفف من وطأة السمن وثقل البطن بالشحم" . (الجزائري، منهاج المسلم، ١٤١٩هـ، ص ٣٨٥-٣٨٦) .

١٠ـ صفة الجهاد في سبيل الله

قال تعالى : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. (التوبة، ١٩-٢٢) .

قال قطب في تفسير هذه الآيات : " ما يجوز أن يسوى الذين كانوا يعمرون الكعبة ويسقون الحجيج في الجاهلية، وعقيدتهم ليست خالصة لله، ولا نصيب لهم من عمل أو جهاد، لا يجوز أن يسوى هؤلاء – لمجرد عمارتهم للبيت وخدمتهم للحجيج – بالذين آمنوا إيماناً صحيحاً وجاهدوا في سبيل الله وإعلاء كلمته : ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ؟ ﴾ .. " لا يستوون عند الله " .

وميزان الله هو الميزان وتقديره هو التقدير . ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ .

المشركون الذين لا يدينون دين الحق، ولا يخلصون عقيدتهم من الشرك، ولو كانوا يعمرون البيت ويسقون الحجيج .

وينتهي هذا المعنى بتقرير فضل المؤمنين المهاجرين المجاهدين، وما ينتظرهم من رحمة ورضوان، ومن نعيم مقيم وأجر عظيم :

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ .

وأفعل التفضيل هنا في قوله : ﴿ أعظم درجة عند الله ﴾ ليس على وجهه، فهو لا يعني أن للآخرين درجة أقل، إنما هو التفضيل المطلق . فالآخرون ﴿ حبطت أعمالهم وفي

النار هم خالدون﴾ فلا مفاضلة بينهم وبين المؤمنين المهاجرين المجاهدين في درجة ولا في نعيم". (في ظلال القرآن، ١٤٠٦هـ، جـ٣، ص١٦١٤) .

وقال عقيلان في تفسير الآيات: " هل تجعلون أهل الأحساب المتوارثة الذين ورثوا بعض الأمور الشريفة عن آبائهم كالعباس إذ ورث السقاية، وشيبة إذ ورث السدانة، هل تعتبرون هؤلاء كمن سبق إلى الإيمان والإسلام، وجاهد في سبيل الله بماله ونفسه كعلي رضي الله عنه ؟ وهو استفهام إنكاري بليغ، معناه : لا يجوز لكم ولا يليق أن تجعلوا أولئك مثل هؤلاء، لأنهم لا يستوون عند الله، ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ وهو يعني الذين يعيرون السابقين المجاهدين، ويرون لأنفسهم الشرف عليهم، ثم يمضي الحق جل جلاله فيعلن أن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، أعظم درجة عند الله من أهل السقاية والرفادة والسدانة، وأولئك هم الفائزون برضوان الله ونعيم الآخرة، ثم يرسل الله إليهم في قرآنه بشارة تحي القلوب وترفع المعنويات فيقول عن السابقين بالخيرات : ﴿ خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم ﴾ . (من لطائف التفسير، ١٤١٩هـ، جـ١،ص٤٨٢) .

وقال تعالى : ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة، ٨٨-٨٩) .

قال الطبري : " يقول تعالى ذكره : لم يجاهد المنافقون الذين اقتصصت قصصهم المشركين، لكن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والذين صدقوا الله ورسوله معه، هم الذين جاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم، فأنفقوا في جهادهم أموالهم، وأتعبوا في قتالهم أنفسهم وبذلوها . " وأولئك "، يقول : وللرسول والذين آمنوا معه، الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم. " الخيرات "، وهي خيرات الآخرة، وذلك : نساؤها، وجناتها، ونعيمها.

﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾، يقول : وأولئك هم المخلدون في الجنات، الباقون فيها، الفائزون بها .

أعد الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وللذين آمنوا معه " جنات "، وهي البساتين، تجري من تحت أشجارها الأنهار . " خالدين فيها "، يقول : لا بثين فيها، لا يموتون فيها، ولا يظعنون عنها . " ذلك الفوز العظيم "، يقول : ذلك النجاء العظيم، والحظ الجزيل" . (جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٤، ص١٤٧) .

وقال قطب : " ﴿ لكن الرسول والذين آمنوا معه ﴾ .. وهم طراز آخر غير ذلك الطراز.. ﴿ جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ﴾ .. فنهضوا بتكاليف العقيدة، وأدوا واجب الإيمان؛ وعملوا للعزة التي لا تنال بالقعود ﴿ وأولئك لهم الخيرات ﴾ .. خيرات الدنيا والآخرة، في الدنيا لهم العزة ولهم الكرامة ولهم المغنم ولهم الكلمة العالية . وفي الآخرة لهم الجزاء الأوفى، ولهم رضوان الله الكريم ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ .. الفلاح في الدنيا بالعيش الكريم القويم والفلاح في الآخرة بالأجر العظيم : ﴿ أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ .. ﴿ ذلك الفوز العظيم ﴾ ". (في ظلال القرآن، ١٤٠٦هـ،جـ٣، ص١٦٨٥) .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة، ١١١) .

قال الطبري في تفسير هذه الآية : " إن الله ابتاع من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة " . " وعداً عليه حقاً " – يقول : وعدهم الجنة جل ثناؤه، وعداً عليه حقاً أن يوفي لهم به، في كتبه المنزلة : التوراة والإنجيل والقرآن، إذا هم وفوا بما عاهدوا الله، فقاتلوا في سبيله ونصرة دينه أعداءه، فقتلوا وقتلوا . ﴿ ومن أوفى بعهده من الله ﴾ ، يقول جل ثناؤه : ومن أحسن وفاء بما ضمن وشرط من الله . " فاستبشروا " ، يقول ذلك

للمؤمنين : فاستبشروا أيها المؤمنون، الذين صدقوا الله فيما عاهدوا، ببيعكم أنفسكم وأموالكم بالذي بعتموها من ربكم به، فإن ذلك هو الفوز العظيم " . (جامع البيان، ١٤١٥هـ،جـ٤،ص١٦٣) .

وقال السعدي في تفسير الآية أيضاً : " يخبر تعالى خبراً صادقاً، ويعد وعداً حقاً بمبايعة عظيمة، ومعاوضة جسيمة، وهو أنه " اشترى " بنفسه الكريمة ﴿ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾ فهي المثمن والسلعة المبيعة . ﴿ بأن لهم الجنة ﴾ التي فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين من أنواع اللذات، والأفراح، والمسرات، والحور الحسان، والمنازل الأنيقات .

وصفة العقد والمبايعة ، بأن يبذلوا لله نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه، لاعلاء كلمته، وإظهار دينه . ﴿ يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ﴾ ، فهذا العقد والمبايعة، قد صدرت من الله مؤكدة بأنواع التأكيدات .

﴿ وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ﴾ التي هي أشرف الكتب، التي طرقت العالم، وأعلاها، وأكملها، وجاء بها أكمل الرسل، أولو العزم، وكلها اتفقت على هذا الوعد الصادق.

﴿ ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ﴾ أيها المؤمنون القائمون بما وعدكم الله، ﴿ببيعكم الذي بايعتم به ﴾ أي : لتعزموا بذلك، وليبشر بعضكم بعضاً، ويحث بعضكم .

﴿ وذلك هو الفوز العظيم ﴾ الذي لا فوز أكبر منه، ولا أجل، لأنه يتضمن السعادة الأبدية، والنعيم المقيم، والرضا من الله الذي هو أكبر من نعيم الجنات، وإذا أردت أن تعرف مقدار الصفقة، فانظر إلى المشتري من هو ؟ وهو الله جل جلاله، وإلى العوض، وهو أكبر الأعواض وأجلها، جنات النعيم، وإلى الثمن المبذول فيها، وهو : النفس، والمال، الذي هو أحب الأشياء للإنسان . وإلى من جرى على يديه عقد هذا التبايع، وهو أشرف الرسل، وبأي الكتب رقم، في كتب الله الكبار المنزلة على أفضل الخلق " . (تفسير كلام المنان، ١٤١٩هـ، ص ٣١٠).

تعريف الجهاد في اللغة :

والجهاد لغة : " مأخوذ من جهد – يجهد – جهداً، فالمصدر الجهد بالضم أو الفتح وهو الوسع أو الطاقة وقيل : الجُهد (بالضم) هو الوسع والطاقة والجَهد (بالفتح) هو المشقة.

ويستعمل الجَهد (بالفتح) بمعنى الغاية ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ أي غاية ونهاية قسمهم . فالجهد والجهاد في اللغة : بذل أقصى ما يستطيعه الإنسان من طاقة لنيل محبوب أو لدفع مكروه " . (ابن منظور، لسان العرب، ١٤٠٨هـ، جـ٢، ص٣٩٥) .

تعريف الجهاد في الشرع :

والجهاد شرعاً : " بذل الجهد في قتال الكفار ".(ابن حجر، فتح الباري، ١٣٩٠هـ، جـ٦، ص٣). يقول عزام : " واتفق الفقهاء الأربعة أن الجهاد هو القتال والعون فيه " . (عبر وبصائر، ١٤١٠هـ، ص٩) .

والآيات في فضل الجهاد والترغيب فيه وبيان فضل المجاهدين كثيرة جداً، وفيما ذكر سبحانه في الآيات التي سلف ذكرها ما يكفي ويشفي ويحفز الهمم ويحرك النفوس إلى تلك المطالب العالية والمنازل الرفيعة والفوائد الجليلة والعواقب الحميدة . (ابن باز، فضل الجهاد والمجاهدين، ١٤٠٩هـ، ص ٦-٧) .

أما الأحاديث الواردة في فضل الجهاد والمجاهدين والتحذير من تركه والإعراض عنه فهي أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر . فمنها ما رواه سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله، أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها " . (البخاري، صحيح البخاري، ١٤١٩هـ، حديث رقم ٢٨٩٢،ص٤٧٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام ولا صلاة،

حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى " . (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ، حديث رقم ٤٨٦٩،ص٨٤٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من مكلوم يكلم في الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى، اللون لون دم والريح ريح مسك " . (البخاري، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم ٥٥٣٣،ص٩٨٤) .

وعن أبي عيسى جابر الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما اغبرتّا قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار " . (البخاري، صحيح البخاري، ١٤١٩هـ،حديث رقم ٢٨١١،ص٤٦٦) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من مات ولم يغز، ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق " . (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ، حديث رقم ٤٩٣١،ص٨٥٤) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم " . (أبو داود، السنن،١٤٢٠هـ، حديث رقم ٣٤٦٢،ص٥٠١) . وقال ابن حجر: " رجاله ثقات" . (بلوغ المرام، ١٤١٧هـ، ص٢٤٥) .

والجهاد قد يكون فرض كفاية، وقد يكون فرض عين . يقول ابن باز: " .. وهو فرض كفاية على المسلمين إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين، وقد يكون في بعض الأحيان من الفرائض العينية التي لا يجوز للمسلم التخلف عنها إلا بعذر شرعي كما لو استنفره الامام أو حصر بلده العدو أو كان حاضراً بين الصفين " . (فضل الجهاد والمجاهدين، ١٤٠٩هـ، ص٣-٤) .

مراتب الجهاد :

وقد ذكر ابن القيم أن الجهاد على أربع مراتب : جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين، ثم فصّل القول فقال : " فالجهاد بالنفس أربع مراتب :

١) أن يجاهدها على تعلم الهدى، ودين الحق الذي لا فلاح لها، ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين .

٢) أن يجاهدها على العمل بما علمه وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها .

٣) أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات ؛ ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله .

٤) أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانياً حتى يعرف الحق، ويعمل به، فمن علم، وعلّم وعمل فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السماوات .

وأما جهاد الشيطان فمرتبتان :

١) إحداهما : جهاده على دفع ما يلقى العبد من قبل الشيطان من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان .

٢) الثانية : جهاد على دفع ما يلقى إليه من الإرادات والشهوات والأوهام والشبهات .

فالجهاد الأول يكون بعده اليقين، والثاني بعده الصبر. قال تعالى:﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة، ٢٤). وأما جهاد الكفار والمنافقين فعلى مراتب : بالقلب واللسان والمال والنفس .. وجهاد الكفار أخص باليد وجهاد المنافقين أخص باللسان " . (زاد المعاد، ١٤١٠هـ،جـ٣، ص١٠-١١) .

والجهاد في سبيل الله شرف عظيم ومنزلة رفيعة . يقول اللحيدان : " والجهاد في سبيل الله فيه من الحكم والأسرار الشيء الذي قد يعجز عن إدراكه العقل البشري . ولم يرغب فيه نبي هذه الأمة إلا لما فيه من النفع والفائدة التي تعود على المجاهدين .. وقد رغب الصحابة والأئمة من بعدهم في فريضة الجهاد وعلته أنه لا قيام للحق إلا بالدعوة والجهاد" . (الجهاد في الإسلام، ١٤٠٧هـ، ص٦٦) .

١١ – صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة، ٧١) .

قال القرطبي في تفسير ﴿ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ : " يأمرون بالمعروف" أي بعبادة الله تعالى وتوحيده، وكل ما أتبع ذلك . " وينهون عن المنكر " عن عبادة الأوثان وكل ما أتبع ذلك" . (الجامع لأحكام القرآن، ١٤١٨هـ، جـ٨،ص١٨٦) .

وقال الشوكاني : " يأمرون بالمعروف " أي بما هو معروف في الشرع غير منكر، ومن ذلك توحيد الله سبحانه وترك عبادة غيره " " وينهون عن المنكر " أي عما هو منكر في الدين غير معروف " . (فتح القدير، ١٣٨٣هـ، جـ٢، ص ٣٨١) .

وقال السعدي : " يأمرون بالمعروف " : وهو اسم جامع لكل ما عرف حسنه من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، ، " وينهون عن المنكر " وهو : كل ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة، والأعمال الخبيثة والأخلاق الرذيلة " . (تفسير كلام المنان، ١٤١٩هـ، ص٣٠٣) .

وقال الجزائري : " يأمرون بالمعروف " وهو ما عرفه الشرع حقاً وخيراً من الإيمان وصالح الأعمال، " وينهون عن المنكر " وهو ما عرفه الشرع باطلاً ضاراً فاسداً من الشرك وسائر الجرائم، فالمؤمنون والمؤمنات على عكس المنافقين والمنافقات " . (أيسر التفاسير، ١٤١٩هـ، جـ٢، ص٢٩٦) .

وقال تعالى : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة، ١١٢).

قال الطبري في تفسير" الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ":" يعني أنهم يأمرون الناس بالحق في أديانهم، واتباع الرشد والهدى والعمل، وينهونهم عن المنكر،

وذلك نـهيهم الناس عن كل فعل وقول نهى الله عباده عنه".(جامع البيان،١٤١٥هـ،جـ٤، ص١٦٤).

وقال أبو السعود : " الآمرون بالمعروف " بالطاعة وبالإيمان ، " والناهون عن المنكر " عن الشرك والمعاصي والعطف فيه للدلالة على أن المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة" . (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، د.ت، جـ٣، ص١٠٧) .

وقال الشوكاني : " الآمرون بالمعروف " القائمون بأمر الناس بما هو معروف في الشريعة . " والناهون عن المنكر " القائمون بالإنكار على من فعل منكراً : أي شيئاً ينكره الشرع " . (فتح القدير، ١٣٨٣هـ، جـ٢، ص٤٠٨) .

وقال السعدي : " الآمرون بالمعروف " ويدخل فيه جميع الواجبات والمستحبات، "والناهون عن المنكر" وهي جميع ما نهى الله ورسوله عنه " . (تفسير كلام المنان، ١٤١٩هـ، ص٣١١).

ولقد جعل الله تبارك وتعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص صفات صفيه من خلقه صلوات الله وسلامه عليه حيث قال : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ....﴾ (الأعراف، ١٥٧) ، فقد عدّ هذا الوصف العملي من أول أوصافه .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو مدار رسالة الرسل التي بعثوا من أجلها، فهم يدعون إلى كل خير ويحذرون من كل شر، فهو زبدة الرسالة ومدار البعثة .

ولقد وصف الله عباده المؤمنين بقوله : ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج، ٤١) .

وحينما ذكر الله عز وجل المؤمنين الصادقين من أهل الكتاب وهم الذين تابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم (بعد أن ذكر المنحرفين منهم) قال : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران- ١١٣-١١٤).

ولم يقف الأمر عند هذا فحسب بل كان هذا الوصف هو مناط خيرية هذه الأمة التي هي خير الأمم حيث قال : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ .... ﴾ (آل عمران، ١١٠) . " فوصف الأمة بما وصف به رسولها صلوات الله وسلامه عليه " . (ابن تيمية، مجموع الفتاوى، د.ت، جـ٢٨، ص١٢٢-١٢٥).

" وذلك لأن صلاح المعاش والمعاد إنما يكون بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك لا يتم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس" . (المصدر السابق، جـ٢٨، ص٣٠٦-٣٠٧) .

وإنّ مما يحفز الهمم إلى القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويستشرف الأعناق والأنظار إليه أن صاحبه يكون له من الأجر مثل أجر الأوائل من هذه الأمة رضوان الله عليهم أجمعين، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن من أمتي قوماً يعطون مثل أجور أولهم ينكرون المنكر " . (ابن حنبل، المسند،د.ت، جـ٤، ص٦٢) . وأورده الألباني في (السلسلة الصحيحة، ١٤١٥هـ، حديث رقم ١٧٠٠، ص٢٧٥)، (وصحيح الجامع، ١٤٠٨هـ،جـ١، حديث رقم ٢٢٢٤، ص٤٤٢) .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان كما بين ذلك رسول الهدى صلى الله عليه وسلم بقوله : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" . (مسلم،١٤١٩هـ، صحيح مسلم، حديث رقم ١٧٧،ص٤٢). يقول القرطبي: " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله النبيين أجمعين " . (الجامع لأحكام القرآن، ١٤١٨هـ، جـ٤، ص٤٧).

ويقول الغزالي عن خطورة إهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : " ولو طوي بساطه، وأهمل علمه وعمله، لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمّت الفترة، وفشت الضلالة وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد " . (إحياء علوم الدين، ١٤١٩هـ، جـ٢،ص٤٠٣) .

ولقد جعل الله تعالى حماية العقيدة، وصيانة الفضيلة، وعز الأمة والفلاح للمؤمنين منوطاً بالقيام بهذا الأمر العظيم . قال تعالى : ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران، ١٠٤) .

يقول السبت : " وقد يظن من لا علم له بحقيقة ما بعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يكفيه أن يؤمن بالله وحده ويتقرب إليه ببعض الطاعات دون أن يشتغل بأمر غيره بالمعروف أو نهيه عن المنكر ! وهذا غلط بين، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعد من أعظم شرائع الإيمان، كما أنه يعد من الأسس والدعائم الهامة لتحقيق الهداية وتحصيلها " . (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ١٤١٥هـ، ص٦١) .

١٢ – صفة الحمد والشكر

قال تعالى : ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة، ١١٢) .

قال الطبري : " الحامدون الذين يحمدون الله على كل ما امتحنهم به من خير أو شر". (جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٤، ص١٦٤) .

وقال القرطبي : " الحامدون أي الراضون بقضائه المصرفون نعمته في طاعته، الذين يحمدون الله على كل حال" . (الجامع لأحكام القرآن، ١٤١٨هـ، جـ٨،ص٢٤٥).

وقال ابن كثير : " من أخص الأقوال الحمد، فلهذا قال : الحامدون " . (تفسير القرآن العظيم، ١٤١٤هـ، جـ٢، ص٥١٦) .

وقال السعدي : " الحامدون : لله في السراء والضراء، واليسر والعسر، المعترفون بما لله عليهم من النعم الظاهرة والباطنة، المثنون على الله بذكرها وبذكره في آناء الليل، وآناء النهار". (تفسير كلام المنّان ، ١٤١٩هـ، ص٣١٠-٣١١) .

الحمد في اللغة :

قال الجوهري : " الحَمْدُ نقيض الذم ... والتَّحْميد أبلغ من الحَمْد . والحَمْد أعم من الشكر " . (الصحاح، ١٤١٨هـ، جـ١، ص٤٠٠) .

وقال ابن منظور : " الحمد : نقيض الذم ؛ ويقال : حَمِدْتُه على فعله، ومنه المَحْمَدة خلاف المذمّة . وفي التنزيل العزيز : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة، ١) ... فحمدُ الله الثناء عليه ويكون شكراً لنعمه التي شملت الكل، والحمد أعم من الشكر " . (لسان العرب، ١٤٠٨هـ، جـ٣، ص٣١٤) .

وقال أنيس : " (حَمِدَه) : حَمْدًا : أثنى عليه ... (والحَمْدُ) : الثناء بالجميل " . (المعجم الوسيط، ١٣٩٢هـ، جـ١، ص١٩٦) .

ولقد أنعم الله سبحانه وتعالى على خلقه بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى . كما قال تعالى: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (ابراهيم، ٣٤) .

وحمد الله سبحانه وتعالى وشكره على نعمه من أفضل الطاعات بل هو نصف الإيمان، كما أن نصفه الآخر هو الصبر. يقول ابن القيم : " الشكر نصف الإيمان، وقد أمر الله به ونهى عن ضده، وأثنى على أهله ووصف به خواص خلقه، وجعله غاية خلقه وأمره، ووعد أهله بأحسن جزائه، وجعله سبباً للمزيد من فضله، وحارساً وحافظاً لنعمته، وأخبر أن أهله هم المنتفعون بآياته، واشتق لهم اسماً من أسمائه، فإنه سبحانه هو الشكور وهو يوصل الشاكر إلى مشكوره، بل يعيد الشاكر مشكوراً، وهو غاية الرب من عبده وأهله هم القليل من عباده". (مدارج السالكين، د.ت، جـ٢، ص٢٥٢) .

والحمد والشكر صفة للأنبياء عليهم أفضل الصلاة والتسليم، فهو صفة لابراهيم عليه السلام : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (النحل، ١٢٠- ١٢١) . وهو صفة لداود عليه السلام . قال تعالى : ﴿.... اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ، ١٣) . كما وصف عباده بصفة الشكر كما في الآية السابقة .

والحمد لا يكون في السراء فقط، ولكنه في السراء والضراء، واليسر والعسر. يقول قطب : " الحامدون .. الذين تنطوي قلوبهم على الاعتراف للمنعم بالنعمة ؛ وتلهج ألسنتهم بحمد الله في السراء والضراء . في السراء للشكر على ظاهر النعمة، وفي الضراء للشعور بما في الابتلاء من الرحمة . وليس الحمد هو الحمد في السراء وحدها، ولكنه الحمد في الضراء حين يدرك القلب المؤمن أن الله الرحيم العادل ما كان ليبتلي المؤمن إلا لخير يعلمه، مهما خفي على العباد إدراكه " . (في ظلال القرآن، ١٤٠٦هـ، جـ٣، ص١٧١٩) .

وإن من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده نعمة الإسلام التي أخرجهم بها من الظلمات إلى النور، ونعمة الأمن في الأوطان، والصحة في الأبدان، ونعمة المال والأولاد وغير ذلك من النعم، وكل هذه النعم تستحق من العبد الحمد لله تعالى عليها، وحمد الله سبحانه وتعالى على نعمه يكون بالقلب، وذلك بأن يعترف المسلم بأن الله هو الذي أعطاه

إياها وهو القادر على منعها، وسلبها منه متى شاء وكيف شاء . وكذلك باللسان بحيث يكثر المسلم من حمد الله تعالى وشكره وذكره والتحدث بنعمه . كما يكون الحمد كذلك بباقي الجوارح، حيث يصرف المسلم هذه النعم كما يحب الله سبحانه وتعالى . يقول الغزالي : " اعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة، فإنهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم، ولا يتصور شكر النعمة إلا بعد معرفتها، ثم إنهم إن عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول الحمد لله، والشكر لله، ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله عز وجل " . (احياء علوم الدين، ١٤١٩هـ، جـ٤، ص١٧٣).

إن العلم نعمة أنعم الله بها على عبده، وإن شكره يكون بالعمل به فيما يعود على نفسه ومجتمعه والناس أجمعين بالخير والبركة، ومن شكره أن يعلمه من جهله وخاصة من رزقه الله علماً في الدين، وكذا سائر النعم الأخرى .

يقول الجزائري : " الشكر يكون بالاعتراف بالنعمة وحمد المنعم عليها وصرفها فيما أذن أن تصرف فيه، وذلك كنعمة العلم والمال والبدن، فشكر نعمة العلم العمل به، وتعليمه للناس. وشكر نعمة المال أن يصرف في طاعة الله لا في معصيته . وشكر نعمة البدن أن يستمر في عبادة الله وفعل الصالحات والمسابقة في الخيرات " . (نداءات الرحمن لأهل الإيمان، ١٤١٥هـ، ص١٤) .

إن حمد الله تعالى وشكره يكون في إتباع أوامره واجتناب نواهيه والإكثار من الأعمال الصالحة . وهذا ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله شكراً لله الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . فعن مِسْعَر عن زياد، قال سمعت المغيرة رضي الله عنه يقول : " إنه كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم أو ليصلي حتى ترمَ قدماه أو ساقاه : فيقال له، فيقول : أفلا أكون عبداً شكوراً " . (البخاري، صحيح البخاري، ١٤١٩هـ، حديث رقم ١١٣٠،ص١٨١) .

ومن الشكر لله سبحانه وتعالى شكر خلقه حيث إن الإنسان اجتماعي بطبعه لا يعيش وحده ولا يستغني عن غيره، فهو يحسن إلى غيره، ويحسن غيره إليه ؛ لذلك أمر الله سبحانه وتعالى برد الإحسان إلى كل محسن . فقال عز وجل : ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ﴾ (الرحمن، ٦٠) ، وإن من أكثر الناس إحساناً إلى الفرد بعد الله تعالى الوالدين فهما السبيل إلى وجوده بعد الله وهما اللذان قاما على تربيته والمحافظة عليه في البرد والحر لذلك أمر الله بشكرهما بعد شكره بل قرن شكره بشكرهما، كما في قوله تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان، ١٤) .

يقول مبيض : " وشكر الوالدين ليس بالحمد والثناء عليهما فحسب ؛ بل باحترامهما وتقديرهما والتأدب معهما وعدم التقدم عليهما، ومخاطبتهما بلين الكلام وأحسنه، وبمساعدتهما دون طلب منهما، وبرهما وإهدائهما وإن كانوا ليسوا بحاجة، لأن الهدية عنوان المحبة والوفاء والتكريم، وبالدعاء لهما وصلة أصدقائهما وأحبابهما" . (أخلاق المسلم، ١٤١١هـ، ص١٨٢) .

ومن حمد الله وشكره أن يشكر الطالب معلمه فهو الذي يتعب من أجل تعليمه وتثقيفه. كما ينبغي لكل مسلم أن يشكر كل من قام بالإحسان إليه وتقديم المساعدة له، لأن شكر هؤلاء شكر لله سبحانه وتعالى، وذلك لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا يشكر الله من لا يشكر الناس " . (البخاري، الأدب المفرد، ١٤٠٩هـ، حديث رقم ٢١٨ ،ص٨٥) .

١٣ ـ صفة الصبر

قال تعالى : ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة، ١١٨-١١٩) .

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وضاقت عليهم أنفسهم " أي ضاقت صدورهم بالهمّ والوحشة، وبما لقوه من الصحابة من الجفوة " . (الجامع لأحكام القرآن، ١٤١٨هـ، جـ٨،ص٢٦١) .

وقال ابن كثير : " ولما ذكر تعالى ما فرج به عن هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب من هجر المسلمين إياهم نحواً من خمسين ليلة بأيامها، وضاقت عليهم أنفسهم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، أي من سعتها فسدت عليهم المسالك والمذاهب فلا يهتدون ما يصنعون، فصبروا لأمر الله واستكانوا لأمر الله وثبتوا حتى فرّج الله عنهم بسبب صدقهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في تخلفهم " . (تفسير القرآن العظيم، ١٤١٤هـ، جـ٢،ص٥٢٥).

تعريف الصبر في اللغة :

يعرف الصبر لغة بأنه : حبس النفس عن الجزع، وقد صبر فلان عند المصيبة يصبر صبراً، وصبرته أنا : حبسته . قال الله تعالى ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ (الكهف، ٢٨) . (الجوهري، الصحاح، ١٤١٨هـ، جـ١، ص٥٧٥) .

تعريف الصبر في الشرع :

يعرف الصبر شرعاً بأنه : حبس النفس على ما أمرت به من مكابدة الطاعات والصبر على البلاء، وأنواع الضرر في غير معصية، والصبر من أعظم الأصول التي يعتمدها الزهاد، وسالكو طريق الآخرة، وهو باب من أبواب كتب الرقائق . (النووي، تهذيب الأسماء واللغات، د.ت، جـ٢، ص١٧٢) .

وقد حث الله تعالى المؤمنين على الصبر فقال عز وجل : ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال، ٤٦)، وبين عليه الصلاة والسلام أنه ضياء، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحانه الله والحمد لله تملآن، أو تملأ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه، فمعتقها أو موبقها". (مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٩هـ، حديث رقم ٥٣٤،ص ١١٤) .

والصبر خصلة محمودة، وسجية مرغوبة، وخلق فريد، جميل العواقب، حميد الآثار، جم الفوائد وكريم العوائد، يعطي المسلم فرصة يفكر فيها بما ينفعه، ويتروى في أمره فلا يقدم إلا على ما هو محقق النفع، وصالح الجني ومأمون النتيجة .

والصبر عون للمسلم على تحمل ما يشق عليه من تكاليف شرعية، والقيام بها طاعة لله بنفس مطمئنة رضية إن كانت أوامر، وحجز النفس وقهرها عن ارتكابها إن كانت نواهي. والصبر عليها واحتسابها عند الله إن كانت أقداراً مؤلمة، قال تعالى : ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة،٤٥). وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة، ١٥٣) .

والله جل جلاله مع كل عبد مطيع صبور، بنصره ومعونته وحفظه وتأييده، ومن كان الله معه لم يخش من الأهوال وإن كانت أعظم من الجبال . قال الله تعالى : ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة، ٢٤٩).

والصابرون على المصائب النازلة بهم من كرب أو بلاء أو مكروه، المسترجعون إلى الله، المقرون بأنهم عبيده وتحت قبضته وتصرفه يفعل بهم ما يشاء ويحكم ما يريد، لهم من الثواب والجزاء بشارة طيبة من غفور رحيم : ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة، ١٥٧) .

والصبر خصلة من خصال البر، وشعبة من شعب الإيمان، أثنى الله جل وعلا على الصابرين على الفقر والحاجة والمرض والأسقام وعند منازلة الأقران ومقارعة الأبطال والتحام المعارك واحتدام القتال بينهم وبين العدو اللدود والمحارب العنيد للإسلام وأهله. قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة، ١٧٧).

يقول الخزيم: " وفي الصبر سلامة من شر الأشرار، ووقاية من كيد الفجار، ونصر مؤزر على الأعداء مهما قويت شوكتهم، واستفحل أمرهم، فبالتدرع به والتمسك بحبال التقوى، والتوكل على الباري جل وعلا، يكتسح الشر، ويحمق الكيد، ويزال الضرر. قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران، ١٢٠) ". (الصبر، ١٤١٨هـ، ص٢٣-٢٤).

أقسام الصبر:

وأقسام الصبر ستة، كل قسم فيها محمود. يقول الماوردي: " واعلم أن الصبر على ستة أقسام وهو في كل قسم محمود. فأول أقسامه وأولاها: الصبر على امتثال ما أمر الله تعالى به، والانتهاء عما نهى الله عنه لأن به تخلص الطاعة، وبخلوص الطاعة يصح الدين، وتؤدى الفروض ويستحق الثواب. كما قال في محكم الكتاب ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر، ١٠). والقسم الثاني: الصبر على ما تقتضيه أوقاته من رزية قد أجهده الحزن عليها أو حادثة قد أكده الهم بها، فإن الصبر عليها يعقبه الراحة منها، ويكسبه المثوبة عنها، فإن صبر وإلا احتمل هماً لازماً، وصبر كارهاً آثماً. والقسم الثالث: الصبر على ما فات إدراكه من رغبة مرجوة، وأعوز نيله من مسرة مأمولة، فإن الصبر عنها يعقب السلو منها. والقسم الرابع: فيما يخشى حدوثه، من رهبة يخافها أو يحذر حلوله من نكبة يخشاها، فلا يتعجل هم ما لم يأت فإن أكثر الهموم كاذبة، وإن الأغلب

من الخوف مدفوع . والقسم الخامس : الصبر فيما يتوقعه من رغبة يرجوها وينتظر من نعمة يأملها . والقسم السادس : الصبر على ما نزل من مكروه أو حل من أمر مخوف، فبالصبر في هذا تتفتح وجوه الآراء، وتستدفع مكايد الأعداء، فإن من قل صبره عذب رأيه واشتد جزعه، فصار صريع همومه وفريسة غمومه " . (أدب الدنيا والدين، ١٣٧٥هـ، ص٢٧٨-٢٨٠) .

ولقد أوصى الله سبحانه نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالصبر في أكثر من عشرين موضعاً من القرآن الكريم عندما تعرض لأذى قريش وتحمل مالا يتحمله أحد، فقال تعالى : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ (الأحقاف، ٣٥) . وقال تعالى : ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ (ق، ٣٩). وقال تعالى : ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (المزمل، ١٠).

وحثه جل وعلا على التعبير على ما ينال من قومه وذكره بأنه لا يستطيع الصبر إلا بإعانة الله وتوفيقه له وحوله وقوته . قال تعالى : ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل، ١٢٧) .

يقول مبيض : " والابتلاء سنة الكون، فالإنسان تنازعه الدوافع والرغبات، وتعترضه العقبات والصدمات، ويدفعه شعوره بالاستقامة على منهج الله إلى بذل الجهد للتغلب عل كل العقبات والمصائب، ليكسب ثواب الله، ويسعد برضاه، وأمام هذا الجهد الذي يبذله المسلم للتغلب على النزعات والأهواء والعقبات لابد من الصبر في هذا كله، لابد من الصبر في الطاعة والمعصية، وفي المحن والمنح، وفي الدعوة إلى الله وتحمل الأذى في سبيلها وفي الصبر على استبطاء النصر وتخاذل أصحاب الحق " . (أخلاق المسلم وكيف نربي أبناءنا عليها، ١٤١١هـ، ص١٩١-١٩٢) .

١٤ – صفـــة الصدق :

قال تعالى : ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة، ١١٨-١١٩) .

قال الطبري في تفسير الآيتين : " يقول تعالى ذكره : " لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار " – " وعلى الثلاثة الذين خلفوا "، وهؤلاء الثلاثة الذين وصفهم الله في هذه الآية بما وصفهم به فيما قيل، وهم الآخرون الذين قال جل ثناؤه ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة،١٠٦)، فتاب عليهم عز ذكره، وتفضل عليهم. (وهم : كعب بن مالك الشاعر، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة، وكلهم من الأنصار) .

فتأويل الكلام إذاً : ولقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفهم الله عن التوبة، فأرجأهم عمّن تاب عليه ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ ، يقول : بسعتها، غمّاً وندماً على تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ ، بما نالهم من الوجد والكرب بذلك، ﴿وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ﴾، يقول : وأيقنوا بقلوبهم أن لا شيء لهم يلجأون إليه مما نزل بهم من أمر الله من البلاء، بتخلفهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينجيهم من كربه، ولا مما يحذرون من عذاب الله، إلا الله، ثم رزقهم الإنابة إلى طاعته والانتهاء إلى أمره ونهيه . ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، يقول : إن الله هو الوهاب لعباده الإنابة إلى طاعته، الموفق من أحب توفيقه منهم لما يرضيه عنه . ﴿الرَّحِيمُ﴾، بهم ، أن يعاقبهم بعد التوبة، أو يخذل من أراد منهم التوبة والإنابة ولا يتوب عليه .

ثم يقول تعالى ذكره : للمؤمنين، معرفهم سبيل النجاة من عقابه، والخلاص من أليم عذابه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسوله . ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾، وراقبوه، بأداء فرائضه،

وتجنب حدوده، ﴿ وكُونُوا﴾ في الدنيا، من أهل ولاية الله وطاعته، تكونوا في الآخرة ﴿مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في الجنة . يعني : مع من صدق الله الإيمان به، فحقق قوله بفعله، ولم يكن من أهل النفاق فيه، الذين يكذب قيلهم فعلهم . وإنما معنى الكلام : وكونوا مع الصادقين في الآخرة باتقاء الله في الدنيا، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ (النساء، ٧٠) .

وإنما قلنا : ذلك معنى الكلام، لأن كون المنافق مع المؤمنين غير نافعه بأي وجوه الكون كان معهم، إن لم يكن عاملاً عملهم . وإذا عمل عملهم فهو منهم، وإذا كان منهم، كان وجه الكلام أن يقال : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، ولتوجيه الكلام إلى ما وجهنا من تأويله، فسر ذلك من فسره من أهل التأويل بأن قال : معناه : وكونوا مع أبي بكر وعمر، أو مع النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين، رحمة الله عليهم . (الطبري، جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٤، ص١٦٨-١٦٩-١٧٠) .

وقال الجزائري : " ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ومعنى خلفوا أرجئوا في البت في توبتهم إذ تقدم قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ فقد تخلفت توبتهم خمسين يوماً ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ فصبروا على شدة ألم النفس من جراء المقاطعة التي أعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم انتظاراً لحكم الله لأنهم تخلفوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ولم يكن لهم عذر، فلذا لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم تقدم المخلفون فاعتذروا فقبل منهم رسول الله وتاب الله على المؤمنين منهم ولم يتقدم هؤلاء الثلاثة ليعتذروا خوفاً من الكذب فآثروا جانب الصدق فأذاقهم الله ألم المقاطعة ثم تاب عليهم وجعلهم مثلاً للصدق فدعا المؤمنين أن يكونوا معهم فقال " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين " أي اتقوا الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه وكونوا مع الصادقين في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم تكونوا مع الصادقين في الآخرة مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما

وسائر النبيين والصديقين والشهداء والصالحين". (أيسر التفاسير، ١٤١٩هـ، جـ٢، ص٤٣٤-٤٣٥) .

إن الصدق صفة حميدة، ومن مكارم الأخلاق الإسلامية التي أمر الله بها وحث على الاتصاف بها كما تقدم .

والصدق من أهم الصفات التي امتدح الله بها أنبياءه عليهم السلام . فقد امتدح الله إبراهيم عليه السلام بذلك . فقال عز وجل : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (مريم، ٤١) . ووصف به إسماعيل عليه السلام فقال : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (مريم، ٥٤) . وامتدح به يوسف عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف، ٤٦) . وقد كان الصدق من أهم الصفات الحميدة التي كان يتصف بها نبينا محمد عليه الصلاة والسلام حتى وهو قبل النبوة . فعن عائشة رضي الله عنها أن خديجة رضي الله عنها . قالت للنبي صلى الله عليه وسلم حينما أتاه جبريل عليه السلام : "أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً، والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق " . (مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٩هـ،حديث رقم ٤٠٣، ص٨٠) .

وقد شهد له بهذه الصفة الحميدة الأعداء قبل الأصدقاء . قال الله تعالى : ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام، ٣٣) . وقد ذكر القرطبي في تفسيره : " إن الرسول مر بأبي جهل وأصحابه . فقالوا : يا محمد والله ما نكذبك . وإنك عندنا لصادق . ولكن نكذب ما جئت به " . (الجامع لأحكام القرآن، ١٤١٨هـ، جـ٦، ص٣٨١) .

والصدق من أهم صفات عباد الرحمن . قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ (المعارج، ٢٦) . ولذلك إذا رأيت الرجل يصدق ويتصف بذلك فهو من عباد الرحمن الذين

آمنوا به . وإذا رأيت الرجل يكذب فاعلم أن في قلبه خصلة من خصال المنافقين الذين في قلوبهم مرض .

يقول ابن تيمية : " إن المظهرين للإسلام ينقسمون إلى مؤمن ومنافق، والفارق بين المؤمن والمنافق هو الصدق . فإن أساس النفاق الذي يبنى عليه هو الكذب، ولهذا إذا ذكر الله حقيقة الإيمان نعته بالصدق . كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات، ١٥) .

أما المنافقون فوصفهم سبحانه بالكذب في آيات متعددة . كقوله تعالى : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (البقرة، ١٠) . (مجموع الفتاوى، د.ت، جـ١٠، ص١٢-١٣) .

هذا ولم يرخص الله لأحد في الكذب إلا في ثلاثة مواضع لما في ذلك من مصلحة ظاهرة وهذه المواضع هي : كذب الزوج على زوجته من أجل إرضائها . والكذب في الحرب على العدو . والكذب من أجل الإصلاح بين الناس . فعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : " ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، ويقول خيراً وينمي خيراً" . قال ابن شهاب : " ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث : الحرب، والاصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها " . (مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٩هـ، حديث رقم ٦٦٣٣، ص١١٣٧) .

١٥ ـ صفة التعاون

قال تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة، ٧١) .

قال الطبري في تفسير قوله تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: "وأما المؤمنون والمؤمنات وهم المصدقون بالله ورسوله وآيات كتابه، فإن صفتهم : أن بعضهم أنصار بعض وأعوانهم " . (جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٤، ص١٣٥) .

وقال القرطبي : ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي قلوبهم متحدة في التوادّ والتحاب والتعاطف . وقال في المنافقين ﴿بعضهم من بعض﴾ لأن قلوبهم مختلفة ولكن يضم بعضهم إلى بعض في الحكم " . (الجامع لأحكام القرآن، ١٤١٨هـ، جـ٨، ص١٨٦) .

وقال قطب : " ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ .. إن طبيعة المؤمن هي طبيعة الأمة المؤمنة . طبيعة الوحدة وطبيعة التكافل، وطبيعة التضامن، ولكنه التضامن في تحقيق الخير ودفع الشر" . (في ظلال القرآن، ١٤٠٦هـ، جـ٣، ص١٦٧٥).

وقال الجزائري : " ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي المؤمنون بالله ورسوله ووعده ووعيده والمؤمنات بذلك يوالي بعضهم بعضاً محبة ونصرة وتعاوناً وتأييداً " . (أيسر التفاسير، ١٤١٩هـ، جـ٢، ص٣٩٦) .

التعاون لغة :

والتعاون في اللغة من العون، والعون هو الظهير على الأمر، ويجمع على أعوان . وتقول العرب : إذا جاءت السنة جاء معها أعواناً، ويعنون بالسنة الجدب وبالأعوان الجراد والذئاب والأمراض . والرجل المعوان من كان كثير العون وحسن المعونة .

وسمي الإناء ماعوناً لما فيه من عون الجار والمحتاج، كما جاء في التنزيل : ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (الماعون، ٧) . (ابن منظور، لسان العرب، ١٤٠٨هـ، جـ٩،ص٤٨٤).

وقد خلق الله تعالى الإنسان مدنياً بطبعه، فركبه على صورة لا تستقيم حياته، ولا يدوم بقاؤه، إلا بمعاونة غيره له من بني جنسه . فقد سخر الله الناس بعضهم لبعض في الغذاء والكساء والتصنيع والحماية بمالا يستطيع أحد منهم أن يستقل بنفسه البتة .

وقد بين القرآن الكريم فضل التعاون وعظم الأجر والنفع لمن أخذ به . قال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة،٢) . وقال تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ (طه، ٢٥-٣٥). وقال تعالى : ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ (القصص، ٣٤-٣٥) .

ولقد كان لأهل العلم وقفات جميلة عند هذه الآيات وقرروا فيما قرروا أن التعاون ركن من أركان الهداية الاجتماعية فالله سبحانه يوجب على الناس إيجاباً دينياً أن يعين بعضهم بعضاً في كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس أفراداً وأقواماً في دينهم ودنياهم وكل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم . (رضا، المنار، د.ت، جـ٦، ص١٣١) .

أما أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل التعاون فهي كثيرة . منها : عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، ثم شبك بين أصابعه " . (البخاري، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم ٦٠٢٦،ص١٠٥٣) . وعن العثمان بن بشير رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " . (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ، حديث رقم ٦٥٨٦،ص١١٣١) . وعن القاسم بن محمد

قال: سمعت عمتي تقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من ولي منكم عملاً فأراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً إن نسي ذكّره وإن ذكر أعانه ".(النسائي، السنن، ١٤٢٠هـ، حديث رقم ٤٢٠٩، ص٥٨٧).

وقد قسم الماوردي الناس باعتبار ما يقدمونه من معاونة وما يحققونه من معاني الأخوة والتعاون إلى أقسام أربعة :

الأول : من يعين ويستعين .

الثاني : من لا يعين ولا يستعين .

الثالث : من يستعين ولا يعين .

الرابع : من يعين ولا يستعين .

ثم قال :" فأما المعين والمستعين فهو معاوض منصف، يؤدي ما عليه ويستوفي ماله، فهو كالمقرض يسعف عند الحاجة ويسترد عند الاستغناء، وهو مشكور في معونته ومعذور في استعانته، فهذا أعدل الإخوان .

وأما من لا يعين ولا يستعين فهو متروك، قد منع خيره وقمع شره، فهو لا صديق يرجى ولا عدو يخشى، وإذا كان الأمر كذلك فهو كالصورة المتمثلة، يروقك حسنها ويخونك نفعها، فلا هو مذموم لقمع شره ولا هو مشكور لمنع خيره، وإن كان باللوم أجدر.

وأما من يستعين ولا يعين فهو لئيم كلٌّ ومعان مستذل، قد قطع عنه الرغبة وبسط فيه الرهبة، فلا خيره يرجى ولا شره يؤمن، وحسبك مهانة من رجل مستثقل عند إقلاله، ويستقل عند استقلاله، فليس لمثله في الإخاء حظ، ولا في الوداد نصيب .

وأما من يعين ولا يستعين فهو كريم الطبع، مشكور الصنع، وقد حاز فضيلتي الابتداء والاكتفاء، فلا يرى ثقيلاً في نائبة، ولا يقعد عن نهضة في معونة، فهذا أشرف الإخوان نفساً، وأكرمهم طبعاً، فينبغي لمن أوجد له الزمان مثله – وقل أن يكون له مثل لأنه البر الكريم والسدر اليتيم – أن يثنى عليه خنصره ويعض عليه بناجذه، ويكون به أشد ضناً منه بنفائس أمواله، وسنى ذخائره ؛ لأن نفع الإخوان عام، ونفع المال خاص، ومن كان أعم

نفعاً فهو بالادخار أحق، ثم لا ينبغي أن يزهد فيه لخلق أو خلقين ينكرهما منه إذا رُضيَ سائر أخلاقه، وجُمدَ أكثر شيمه ؛ لأن اليسير محفو والكمال معوز" . (أدب الدنيا والدين، ١٣٧٥هـ، ص٢١١-٢١٣) .

وقد علّق ابن حميد على كلام الماوردي بقوله : " هذا تقسيم من الماوردي رحمه الله أشبه بالحصر العقلي . وهو تقسيم جميل لتصوير النفوس وأحوال الناس والشخوص . ولكن واقع الناس، وما قضت به سنة الله في هذه الحياة، من بناء الدنيا واستقامة المعاش على المشاركة والمعاونة واتخاذ الناس بعضهم بعضاً سخرياً يشوش على ما قرره الماوردي، فلا يتصور في الواقع من أحد أن يحقق مبتغاه إلا بتعاضد أطراف من الناس . هذا من جانب . ومن جانب آخر، فإن البذل من طرف واحد – على نحو ما ذكر الماوردي – لا يسمى إلا إحساناً ومنّة ونعمة، وهذا ليس من باب التعاون في شيء إلا من حيث الأثر والفائدة للمحْسَن إليه والمُنْعَم عليه .

كما أن من يستعين ولا يعين قد رضي لنفسه أن يكون عالة على غيره، وجعل حياته مبنية على السؤال والطلب والتطلع إلى ما في أيدي الناس .

وأما من لا يعين ولا يستعين فتصور وجوده في بني الإنسان بعيد، فالإنسان لا يستغني عن أخيه الإنسان، كما قضى الله عز وجل في سننه " . (التعاون، ١٤١٩هـ، ص٢٢-٢٣).

الفصل الثالث

صفات المنافقين في سورة التوبة

- مدخل إلى الفصل .

١ - صفة الكفر .

٢ - صفة سوء الأدب مع الله تعالى ورسوله ﷺ .

٣ - صفة الرياء والسمعة .

٤ - صفة نكث العهد .

٥ - صفة الأيمان الكاذبة .

٦ - صفة أذية المؤمنين .

٧ - صفة الحسد .

٨ - صفة البخل .

٩ - صفة الطمع .

١٠ - صفة الجبن .

مدخل إلى الفصل ..

خطورة النفاق

مفهوم النفاق :

النفاق لغـة :

النَّفَقُ سرَبٌ في الأرض، مشتق إلى موضع آخر، والنَّفْقة والنَّافِقاء، جُحْر الضب واليربوع، وقيل : النُّفقة والنافقاء موضع يرققه اليربوع من جحره ، فإذا أتِي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج، ونَفِقَ اليربوع ونَفق " بالفتح " وانتفق، ونَفَّق : خرج منه . ونَفَّق اليربوع نفيقاً ونافق أي دخل في نافقائه، ومنه اشتقاق المنافق في الدين، والنِّفاق بالكسر، فعل المنافق، والنفاق الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من وجه آخر . (ابن منظور، لسان العرب، ١٤٠٨هـ، جـ١٤، ص٢٤٤) .

والنفاق شرعـاً :

" إظهار الخير وإسرار الشر، وهو أنواع : اعتقادي، وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي وهو من أكبر الذنوب : قال ابن جريج : المنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه " . (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٤١٤هـ، جـ١، ص٤٨) .

أنواع النفاق :

النفاق : نفاقان : نفاق دون نفاق، أو نفاق مخرج من الملة، ونفاق لا يخرج من الملة . (ابن القيم، مدارج السالكين، د.ت، جـ١، ص٣٧٦) .

أولاً : النفاق الأكبر ويسمى النفاق الاعتقادي :

وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أنهم في الدرك الأسفل من النار " . (ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ١٤١٢هـ، جـ٢،ص٤٨١).

وذكر ابن تيمية بعض صور النفاق الأكبر فقال : " فمن النفاق ما هو أكبر يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، كنفاق عبد الله بن أبي وغيره، بأن يظهر : تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم، أو جحود بعض ما جاء به، أو بغضه، أو عدم اعتقاد وجوب طاعته، أو المسرة بانخفاض دينه، أو المساءة بظهور دينه، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله، وهذا القدر كان موجوداً في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما زال بعده، بل هو بعده أكثر منه على عهده صلى الله عليه وسلم ... " . (مجموع الفتاوى، د.ت، جـ٢٨، ص٤٣٤) .

وقال ابن عبد الوهاب : " ... فأما النفاق الاعتقادي فهو ستة أنواع :

تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم، أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، أو بغض الرسول صلى الله عليه وسلم، أو بغض ما جاء به الرسول، أو المسرة بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية بانتصار دين الرسول صلى الله عليه وسلم، فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار" . (مجموعة التوحيد، د. ت ، ص٧) .

فيتحصل مما ذكره هذان الإمامان أنواع أو صفات للنفاق الأكبر وهي :

١ - تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم .

٢ - تكذيب بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

٣ - بغض الرسول صلى الله عليه وسلم .

٤ - بغض بعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

٥ - المسرة بانخفاض دين الرسول صلى الله عليه وسلم .

٦ - الكراهية لانتصار دين الرسول صلى الله عليه وسلم .

٧ - عدم اعتقاد وجوب طاعته فيما أمر به .

٨ - عدم اعتقاد وجوب تصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أمر به .

وغير ذلك مما دل القرآن الكريم أو السنة المطهرة على أنه من النفاق الأكبر المخرج من ملة الإسلام . (الوهيبي، نواقض الإيمان، ١٤١٢هـ، جـ٢، ص١٦٠) .

ثانياً: النفاق الأصغر ويسمى نفاق العمل :

وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة ويبطن ما يخالف ذلك، وهو خمسة أنواع :

١ - أن يحدث بحديث لمن يصدقه به وهو كاذب له .

٢ - إذا وعد أخلف، وهو على نوعين :

(أ) أن يعد ومن نيته أن لا يفي بوعده وهذا أشر الخلف، ولو قال : أفعل كذا إن شاء الله تعالى ومن نيته أن لا يفعل كان كاذباً وخلفاً قاله : الأوزاعي .

(ب) أن يعد ومن نيته أن يفي ثم يبدو له، فيخلف من غير عذر له في الخلف .

٣ - إذا خاصم فجر، ويعني بالفجور أن يخرج عن الحق عمداً حتى يصير الحق باطلاً، والباطل حقاً، وهذا مما يدعو إليه الكذب .

٤ - إذا عاهد غدر ولم يف بالعهد، والغدر حرام في كل عهد بين المسلمين وغيرهم، ولو كان المعاهد كافراً .

٥ - الخيانة في الأمانة، فإذا أؤتمن المسلم أمانة، فالواجب عليه أن يؤديها .

وحاصل الأمر أن النفاق الأصغر كله يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية، واختلاف القلب واللسان، واختلاف الدخول والخروج ؛ ولهذا قالت طائفة من السلف : خشوع النفاق: أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع . (ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ١٤١٢هـ، جـ٢، ص٤٩٠) .

وهذا النفاق لا يخرج من الملة فهو نفاق دون نفاق ؛ لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر" . (البخاري، صحيح

البخاري، ١٤١٩هـ،حديث رقم ٣٤، ص٩)؛ ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان " . (البخاري، صحيح البخاري، ١٤١٩هـ، حديث رقم ٦٠٩٥،ص١٠٦٣) .

وللنفاق آثار خطيرة، وأضرار مهلكة، منها ما يأتي :

١ - النفاق الأكبر يسبب الخوف والرعب في القلوب، قال الله عز وجل : ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ (التوبة، ٦٤) .

٢ - النفاق الأكبر يوجب لعنة الله تعالى، قال الله عز وجل : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ (التوبة، ٦٨) .

٣ - النفاق الأكبر يخرج صاحبه من الإسلام، لأنه إسرار الكفر وإظهار الخير، بل هو أشد من الكفر الظاهر، قال تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (النساء، ١٤٥) .

٤ - النفاق الأكبر لا يغفره الله إذا مات عليه صاحبه، لأنه أشد من الكفر الظاهر الذي قال الله تعالى في أصحابه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (النساء، ١٦٨-١٦٩) .

٥ - النفاق الأكبر يوجب لصاحبه النار ويحرِّم عليه الجنة، قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (النساء، ١٤٠) .

٦ - النفاق الأكبر يخلد صاحبه في النار فلا يخرج منها أبداً ؛ لقول الله عز وجل : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (التوبة، ٦٨) .

٧ - النفاق الأكبر يعاقب صاحبه بنسيان الله تعالى له، قال الله تعالى : ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة، ٦٧) .

٨ - النفاق الأكبر يحبط جميع الأعمال، قال الله عز وجل : ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (التوبة، ٥٣-٥٤) .

٩ - النفاق الأكبر يحرم صاحبه النور يوم القيامة، قال الله عز وجل : ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (الحديد، ١٣) .

١٠- النفاق الأكبر يحرم العبد دعاء المؤمنين والصلاة عليه عند موته، قال الله عز وجل : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (التوبة، ٨٤) .

١١- النفاق الأكبر يسبب عذاب الدنيا والآخرة، قال الله تعالى : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (التوبة، ٥٥) .

١٢- النفاق الأكبر إذا أظهره صاحبه وأعلنه كان مرتداً عن الإسلام فيكون حلال الدم والمال وتطبق عليه أحكام المرتد، إلا أن قبول توبته عند الحاكم فيها خلاف في الظاهر ؛ لأن المنافقين يظهرون الإسلام دائماً . (ابن تيمية، مجموع الفتاوى، د.ت، جـ٢٨، ص٣٣٤) . أما إذا أخفى المنافق نفاقه وكفره ؛ فإنه معصوم الدم والمال بما أظهر من الإيمان واليه يتولى السرائر . (الحميدي، المنافقون في القرآن، ١٤٠٩هـ،ص٤٥٠).

١٣- النفاق الأكبر إذا أظهر صاحبه كفره يوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين فلا يوالونه ولو كان أقرب قريب، وأما إذا لم يظهر كفره فيعامل بالظاهر والله يتولى السرائر.

١٤- النفاق الأصغر، وهو النفاق العملي، ينقص الإيمان ويضعفه، ويكون صاحبه على خطر من عذاب الله تعالى .

١٥- النفاق الأصغر صاحبه على خطر ؛ لئلا يجره إلى النفاق الأكبر . (القحطاني، نور الإيمان وظلمات النفاق، ١٤٢٠هـ، ص٨٥-٩٠) .

وقد ذكر ابن تيمية أن العفو عن المنافقين نُسِخَ بعد نزول سورة التوبة فقال : " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعفو عن المنافقين الذين لا يشك في نفاقهم، حتى قال: " لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر له لزدت " (البخاري، صحيح البخاري، ١٤١٩هـ، حديث رقم ٤٦٧١، ص ٨٠٢) ، حتى نهاه الله عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم، وأمره بالإغلاظ عليهم، فكثير مما كان يحتمله من المنافقين من الكلام وما يعاملهم من الصفح والعفو والاستغفار كان قبل نزول براءة لما قيل له ﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾ (الأحزاب،٤٨) لاحتياجه إذ ذاك إلى استعطافهم وخشية نفور العرب عنه إذا قتل منهم أحداً، وقد صرح عليه الصلاة والسلام بذلك فقال : " لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه " . (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ، حديث رقم ٦٥٨٣،ص١١٣٠) .

ثم قال : فلما أنزل الله براءة، ونهاه عن الصلاة على المنافقين والقيام على قبورهم، وأمره أن يجاهد الكفار والمنافقين ويغلظ عليهم، نسخ جميع ما كان المنافقون يعاملون به من العفو، كما نسخ ما كان الكفار يعاملون به من الكف عمن سالم، ولم يبق إلا إقامة الحدود وإعلاء كلمة الله في حق كل إنسان " . (الصارم المسلول، ١٤١٧هـ، جـ٢، ص٤٤٠-٤٤١) .

وأمْر الله عز وجل المؤمنين بجهاد المنافقين يدل على خطورة النفاق على المجتمع الإسلامي؛ فالنفاق إفساد في الأرض من جميع النواحي لأن المنافقين لا يتحلون بالإيمان الذي يمنع صاحبه من الوقوع في الجرائم والاستهانة بمكارم الأخلاق، فإذا شاع هذا السلوك المنحرف في المجتمع اختل نظامه وأصبح المنكر معروفاً والمعروف فيه منكراً . قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التوبة، ٧٣) .

والمنافقون في كل أمة وفي كل عصر هم من جملة المفسدين في الأرض بل هم أعظم المفسدين، وافسادهم من النوع الذي يحتاج علاجه إلى مقاومة قوية وجهاد متواصل . يقول الحميدي : " وجهاد المنافقين يتحقق في أمور :

١ - التظاهر بمعرفة حقيقتهم والخبرة بمكرهم وألاعيبهم ومصارحتهم بمعرفة حقيقية معتقدهم حتى لا يستمروا في محاولة المكر والخداع .

٢ - عدم قبول اعتذاراتهم الكاذبة واظهار عيوبها حتى يبطل مفعول هذا السلاح الذي اتخذوه وقاية لأنفسهم، وفي هذا يقول سبحانه مرشداً نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ (التوبة،٦٦) .

٣ - أن ينزع المؤمنون ثقتهم بهم وأن لا يسندوا إليهم شيئاً من أمورهم لعدم توفر الكفاءة فيهم، فالكفاءة في أي عمل لا بد فيها من توفر أمرين هامين هما الأمانة والخبرة الفنية، وقد ذكرهما الله سبحانه في قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف، ٥٥)، وفي قوله حكاية عن إحدى ابنتي صاحب مدين ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص، ٢٦) . والمنافقون لا تتوفر فيهم الأمانة لانعدام الوازع الديني عندهم فإذا استلموا مراكز قيادية في دولة الإسلام أفسدوا في الأرض . ولم يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أسند إلى المنافقين الذين في عصره شيئاً من أمور الدولة رغم توفر الخبرة الفنية في بعضهم .

٤ - إهانتهم واحتقارهم ومحاولة إذلالهم وإن كانوا من الوجهاء لدى عامة الناس أو من المبرزين في علوم الحياة الدنيا فإن البراعة في علوم هذه الحياة مع خواء الروح والفكر في علم الآخرة أمر مذموم في الإسلام كما قال تعالى : ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم، ٧) .

وقد نهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن تسويد المنافقين وتشريفهم . فعن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن يك سيداً فقد أسخطتم ربكم عز وجل " . (أبو داود، السنن، ١٤٢٠هـ، حديث رقم ٤٩٧٧،ص ٧٠١)

وذلك لأن في رفع شأنهم إعلاء للكفر وإهانة للإسلام، ولأن في تواضع المؤمن للمنافق إضعافاً لإيمانه واذلالاً لنفسه التي أعزها الله بالإسلام، ومن طلب الدنيا بالتذلل للمنافقين فقد وقع في إثم عظيم وخسر خسراناً مبيناً لأنه باع آخرته بدنياه وفضل الأدنى على الأعلى " . (المنافقون في القرآن الكريم، ١٤٠٩هـ، ص٤٥٢-٤٥٣) .

هذا وقد أولت سورة التوبة صفات المنافقين أهمية كبيرة، حيث يتضح ذلك من خلال الإجابة على السؤال التالي :

- **ما صفات المنافقين في سورة التوبة ؟**

وللإجابة على هذا السؤال ؛ فإن الباحث استعرض ما كتبه المفسرون عن صفات المنافقين في سورة التوبة، وفي الصفحات التالية بيان ذلك، سائلاً المولى عز وجل الصواب والهداية إلى سبيل الرشاد .

١. صفة الكفر

قال تعالى : ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (التوبة، ٥٤) .

قال ابن كثير : " لا يتقبل منهم " لأنهم كفروا بالله ورسوله " أي والأعمال إنما تصح بالإيمان ... " . (تفسير القرآن العظيم، ١٤١٤هـ،جـ٢، ص٤٧٨) .

وقال السعدي : " والأعمال كلها شرط قبولها الإيمان، فهؤلاء لا إيمان لهم ولا عمل صالح ... " . (تفسير كلام المنان، ١٤١٩هـ، ص٣٠٠) .

وقال تعالى : ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة، ٨٠) .

قال الطبري في تفسير قوله تعالى ﴿ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله﴾ يقول جل ثناؤه: هذا الفعل من الله بهم، وهو ترك عفوه لهم عن ذنوبهم، من أجل أنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله " . (جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٤، ص١٤٣) .

وقال الجزائري : " ﴿ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله﴾، وهذه العلة كافية في عدم المغفرة لهم لأنها الكفر والكافر مخلد في النار " . (أيسر التفاسير، ١٤١٩هـ، جـ٢، ص٤٠٣).

وقال تعالى : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (التوبة، ٨٤) .

قال الطبري في تفسير الآية : " يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولا تصل يا محمد على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك أبداً . ﴿ولا تقم على قبره﴾ يقول : ولا تتول دفنه وتقبيره .

﴿إنهم كفروا بالله﴾ يقول : إنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله - وماتوا وهم خارجون عن الإسلام، مفارقون أمر الله ونهيه .

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت حين صلى النبي صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي". (جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٤، ص١٤٥) .

وقال السعدي في تفسير قوله تعالى : ﴿إنهم كفروا بالله ورسوله﴾ : " ومن كان كافراً ومات على ذلك، فما تمنعه شفاعة الشافعين ، وفي ذلك عبرة لغيرهم وزجر ونكال لهم، وهكذا كل من عُلم منه الكفر والنفاق فإنه لا يصلى عليه . (تفسير كلام المنان، ١٤١٩هـ، ص٣٠٥) .

والكفر لغة :

يعرف الكفر بأنه : " نقيض الإيمان، وكَفَرَ نعمة الله يكفرها كفوراً وكفراناً وكفر بها: جحدها وسترها " . (ابن منظور، لسان العرب، ١٤٠٨هـ، جـ١٢،ص١١٨) .

والكفر شرعاً :

يعرف الكفر شرعاً بأنه: " هو ضد الإيمان، والكفر عدم الإيمان بالله ورسله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب، أو إعراض، أو حسد، أو كيد، واتباع بقية الأهواء الصادة عن اتباع السنّة . وإن كان المكذب أعظم كفراً، وكذلك الجاحد المكذب حسداً مع استيقان صدق الرسل " . (ابن تيمية، مجموع الفتاوى، د.ت، جـ١٢،ص٣٣٥).

وقد ذكر ابن القيم أن الكفر نوعان : كفر أكبر، وكفر أصغر .

فالكفر الأكبر : هو الموجب للخلود في النار .

والكفر الأصغر : موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود . كما في قوله صلى الله عليه وسلم : " اثنتان في الناس، هما بهم كفر : الطعن في النسب، والنياحة على الميت " . (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ، حديث رقم ٢٢٧،ص٤٩) . وقوله صلى الله عليه وسلم: " من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً : فقد كفر بما أنزل على محمد" . (الترمذي، السنن،١٤٢٠هـ، حديث رقم١٣٥،ص٣٧). وقوله صلى الله عليه وسلم : " من أتى كاهناً فصدقه بما يقول أو أتى امرأته حائضاً أو أتى امرأته في دبرها فقد برىء مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم " . (أبو داود، السنن،١٤٢٠هـ، حديث رقم٣٩٠٤،ص٥٥٥). وقوله صلى الله عليه وسلم : " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض". (البخاري، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم ٤٤٠٥،ص٧٤٧) .

أنواع الكفر الأكبر :

وأما الكفر الأكبر فخمسة أنواع : كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق .

١ - فأمّا كفر التكذيب : فهو اعتقاد كذب الرسل، وهذا القسم قليل في الكفار . فإن الله تعالى أيد رسله، وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة – وأزال به المعذرة، قال الله تعالى عن فرعون وقومه : ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل، ١٤) . وقال لرسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام، ٣٣) .

٢ - وأما كفر الإباء والاستكبار : فنحو كفر إبليس – فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار. وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار . ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول . وأنه جاء بالحق من عند الله، ولم ينقد له إباء واستكباراً وهو الغالب على كفر أعداء الرسل، كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه : ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ (المؤمنون، ٤٧) . وقوله ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ (الشمس، ١١) وهو كفر اليهود كما قال تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ (البقرة، ٨٩) . وهو كفر أبي طالب فإنه صدق (رسول الله) ولم يشك في صدقه، ولكن أخذته الحمية، وتعظيم آبائه أن يرغب عن ملتهم، ويشهد عليهم بالكفر .

٣ - وأما كفر الإعراض : فهو أن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدقه ولا يكذبه. ولا يواليه ولا يعاديه ، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة . (وهو كفر الملحدين اليوم من المتسمين بأسماء مختلفة : بالعلمانية، والشيوعية، والماسونية . المقلدين للافرنج من اليهود والنصارى، المنحلين عن كل خلق وفضيلة، زاعمين بجاهليتهم وسفههم : أن هذا هو سبيل الرقي والمدنية)* .

---

٤ ما بين القوسين من كلام (سيد، الذنوب، ١٤١١هـ، ص٢١) .

٤ - وأما كفر الشك : فإنه لا يجزم بصدقه ولا بكذبه، بل يشك في أمره . وهذا لا يستمر شكه إلا إذا ألزم نفسه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم جملة .

٥ - كفر النفاق : فهو أن يظهر بلسانه الإيمان، وينطوي بقلبه على التكذيب . فهذا هو النفاق الأكبر . (ابن القيم، مدارج السالكين، د.ت، جـ١،ص ٣٦٤-٣٦٧).

وأما الحكم بغير ما أنزل الله ففيه تفصيل . يقول ابن القيم : " الصحيح : أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين : الأصغر والأكبر، بحسب حال الحاكم . فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة، وعدل عنه عصياناً، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة . فهذا كفر أصغر . وإن اعتقد أنه غير واجب وأنه مخيّر فيه . مع تيقنه أنه حكم الله . فهذا كفر أكبر . وإن جهله وأخطأه : فهذا مخطئ، له حكم المخطئين ". (المصدر السابق، ص٣٦٥).

الآثار السلبية للكفر على حياة الفرد والمجتمع :

والكفر له آثار خطيرة، وأضرار جسيمة، منها ما يأتي :

١ - شر الدنيا والآخرة من أضرار الكفر وآثاره .

٢ - الكفر يسبب لصاحبه الضلال، قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء، ١٦٧) .

٣ - الكفر الأكبر لا يغفره الله لمن مات عليه، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (النساء، ١٦٨-١٦٩).

٤ - الكفر أعظم أسباب الخزي والعار، قال الله عز وجل : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ (التوبة، ٢) .

٥ - يوجب الله لصاحبه النار، قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ (فاطر، ٣٦).

٦ - يحبط جميع الأعمال، قال الله عز وجل: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (الفرقان، ٢٣). وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة، ٥). وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (النور، ٣٩). وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (ابراهيم، ١٨).

٧ - يوجب الخلود في النار، قال الله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة، ١٦٧).

٨ - يسبب الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ (الأحزاب، ٦٤).

٩ - أعظم أسباب غضب الله وأليم عقابه قال الله عز وجل: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل، ١٠٦).

١٠- الكفر يجعل صاحبه أضيق الناس صدراً، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام، ١٢٥).

١١- الكفر يطبع على القلب، قال الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء، ١٥٥).

١٢- الكفر الأكبر يبيح الدم والمال عن طريق الجهاد أو عن طريق ولاة أمر المسلمين.

١٣- الكفر الأكبر يوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين، ولا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته ولو كان أقرب قريب .

١٤- الكفر الأصغر ينقص الإيمان ويضعفه، ويكون صاحبه على خطر عظيم من غضب الله تعالى وعقابه إذا لم يتب، وهو من جنس المعاصي الكبيرة. (القحطاني، نور الإسلام وظلمات الكفر، ١٤٢٠هـ، ص ٦٦-٧٠) .

٢ ـ صفة سوء الأدب مع الله تعالى ورسول الله صلى الله عليه وسلم

قال تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (التوبة، ٥٨) .

قال القرطبي في تفسير الآية : " وصف الله قوماً من المنافقين بأنهم عابوا النبي صلى الله عليه وسلم في تفريق الصدقات، وزعموا أنهم فقراء ليعطيهم" .

قال أبو سعيد الخدري : بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم ؛ فقال يا رسول الله ! اعدل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ قد خبت وخسرت إن لم أعدل" فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله ! ائذن لي فيه أضرب عنقه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، ويقرؤون القرآن، لا يجوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية.. ". (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ، حديث رقم ٢٤٥٦، ص٤٣١) . (الجامع لأحكام القرآن، ١٤١٨هـ، جـ٨، ص١٥٠ـ١٥١) .

وقال تعالى : ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة، ٦١) .

قال الطبري في تفسير الآية : " يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء المنافقين جماعة يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه . " ويقولون هو أذن " سامعة، يسمع من كل أحد ما يقال، فيقبله ويصدقه .

وأما قوله : " يؤمن بالله " فإنه يقول : يصدق بالله وحده لا شريك له . وقوله : "ويؤمن للمؤمنين " يقولون : ويصدّق المؤمنين، لا الكافرين ولا المنافقين .

وهذا تكذيب من الله للمنافقين الذين قالوا : " محمد أذن ! " يقول جل ثناؤه : إنما محمد صلى الله عليه وسلم مستمع خير، يصدّق بالله وبما جاء من عنده، ويصدق المؤمنين، لا أهل النفاق والكفر بالله .

وأما قوله : " ورحمة للذين آمنوا منكم " فمعناه : وهو رحمة للذين آمنوا منكم . وجعله الله رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه، وصدّق بما جاء به من عند ربه، لأن الله استنقذهم به من الضلالة، وأورثهم باتباعه جناته .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾ . يقول تعالى ذكره : لهؤلاء المنافقين الذين يعيبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون : " هو أذن " وأمثالهم من مكذبيه، والقائلين فيه الهجر والباطل، عذاب من الله موجع لهم في نار جهنم . (جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٤، ص١٢٨) .

وقال الجزائري :" من هداية الآية :

١ - حرمة أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي وجه من الوجوه .

٢ - توعد الله تعالى من يؤذي رسوله بالعذاب الأليم دليل على كفر من يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم " . (أيسر التفاسير، ١٤١٩هـ،جـ٢، ص٣٨٩) .

وقال تعالى : ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة، ٦٢-٦٣) .

قال قتادة في قوله تعالى : ﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم﴾ الآية ." ذكر لنا أن رجلاً من المنافقين قال : والله إن هؤلاء لخيارنا وأشرافنا وإن كان ما يقول محمد حقاً، لهم شر من الحمير. قال : فسمعها رجل من المسلمين فقال : والله ما يقول محمد لحق ولأنت أشر من الحمار، قال : فسعى بها الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فأرسل إلى الرجل فدعاه فقال " ما حملك على الذي قلت ؟ " فجعل يلتعن ويحلف بالله ما قال ذلك، وجعل الرجل المسلم يقول : اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب، فأنزل الله الآية . وقوله تعالى : ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله﴾ الآية، أي ألم يتحققوا ويعلموا أنه من حاد الله عز وجل أي شاقه وحاربه وخالفه، وكان في حد والله ورسوله في حد ﴿فأن له نار جهنم

خالداً فيها ﴾ أي مهاناً معذباً " ذلك الخزي العظيم " أي وهذا هو الذل العظيم والشقاء الكبير". (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٤١٤هـ،جـ٢، ص٤٨٣) .

وقال تعالى : ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ . (التوبة، ٦٤) .

قال مجاهد : يقولون بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يفشي علينا سرنا هذا، وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (المجادلة، ٨) . وقال في هذه الآية : ﴿قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون﴾ أي إن الله سينزل على رسوله ما يفضحكم به ويبين له أمركم، كقوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ (محمد، ٢٩-٣٠)، ولهذا قال قتادة : كانت تسمى الفاضحة فاضحة المنافقين" . (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٤١٤هـ، جـ٢، ص٤٨٣) .

وقال تعالى : ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (التوبة، ٦٦) .

قال الطبري في تفسير الآيتين : " يقول تعالى جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما قالوا من الباطل والكذب ليقولن لك : إنما قلنا ذلك لعباً وكنا نخوض في حديث لعباً وهزواً ! يقول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزئون ؟ .

ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء الذين وصفت لك صفتهم : " لا تعتذروا" بالباطل فتقولوا : " كنا نخوض ونلعب . " قد كفرتم " يقول : قد جحدتم الحق بقولكم ما قلتم في رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به . " بعد إيمانكم " يقول : بعد تصديقكم به وإقراركم به . " إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة "

وذكر أنه عني : بـ " الطائفة " في هذا الموضع رجل واحد . واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك . فقال بعضهم : معناه : " إن نعف عن طائفة منكم " بإنكار ما أنكر عليكم من قبل الكفر "نعذب طائفة" بكفره واستهزائه بآيات الله ورسوله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك . إن تتب طائفة منكم فيعفو الله عنها يعذب الله طائفة منكم بترك التوبة .

وأما قوله : " إنهم كانوا مجرمين " فإن معناه : نعذب طائفة منهم باكتساب الجرم، وهو الكفر بالله، وطعنهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم " . (جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٤، ص١٣٠-١٣١) .

وقال الجزائري : " من هداية الآيتين :

١ - كفر من استهزأ بالله أو آياته أو رسوله .

٢ - لا يقبل اعتذار من كفر بأي وجه وإنما التوبة أو السيف فيقتل كفراً .

٣ - مصداق ما أخبر به تعالى من أنه سيعذب طائفة فقد هلك عشرة بداء الدبيلة "خرّاج يخرج من الظهر وينفذ ألمه إلى الصدر فيهلك صاحبه حتماً" . (أيسر التفاسير، ١٤١٩هـ، جـ٢، ص٣٩١) .

وقال تعالى : ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (التوبة، ٧٤) .

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿وهمّوا بما لم ينالوا﴾ يعني المنافقين من قتل النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة في غزوة تبوك، وكانوا اثني عشر رجلاً . قال حذيفة : سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عدّهم كلهم . فقلت : ألا تبعث إليهم فتقتلهم ؟ فقال : " اللهم ارمهم بالدبيلة " قيل : يا رسول الله وما الدبيلة ؟ قال : " شهاب من جهنم يجعله على نياط فؤاد أحدهم حتى تزهق نفسه * " . فكان كذلك . (البيهقي، الدلائل،د.ت، جـ٥، ص٢٦٠-٢٦١) . (الجامع لأحكام القرآن، ١٤١٨هـ، جـ٨، ص١٨٩).

---

* والحديث خرّجه مسلم بمعناه انظر (صحيح مسلم،١٤١٩هـ،حديث رقم ٧٠٣٥،ص١٢١٢) .

لقد قرر الله سبحانه وتعالى أن المخلوقات جميعاً مكلفة وغير مكلفة خاضعة للخالق عز وجل ومنقادة له، سواء رضيت أم كرهت : قال تعالى : ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (آل عمران، ٨٣) . وقال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (الرعد، ١٥) . وقال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ* وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (النحل، ٤٨، ٤٩). وقال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ (الحج، ١٨) .

وخضوع كل ما خلق الله عز وجل لله سبحانه وتعالى، وانقياد كل شيء له سبحانه، إنما هو تعبير صادق عن احتياجها الدائم إلى من يمسك عليها حياتها ويمدها بالأسباب والذي يملك ذلك هو خالقها وحده جل جلاله .

فجميع المخلوقات التي خلقها الله سبحانه وتعالى تؤدي رسالتها المنوطة بها، وتستجيب لمشيئة الله عز وجل وارادته في خلقها ونظامها وكذلك الإنسان المؤمن يستجيب لمشيئة الله جل جلاله، ويسجد لله طواعية واختياراً، يسجد حقيقة لله، فيضع جبهته على الأرض وفي مصاف الأقدام خضوعاً وخشوعاً لعظمة خالقه جل وعلا، واعترافاً بفضله سبحانه، وطلباً لمرضاته ورحماته .

يقول الجزائري : " إن شكر المسلم ربه على نعمه، وحياءه منه تعالى عند الميل إلى معصيته، وصدق الإنابة إليه، والتوكل عليه ورجاء رحمته، والخوف من نقمته وحسن الظن به في إنجاز وعده، وإنفاذ وعيده فيمن شاء من عباده ؛ هو أدبه مع الله، وبقدر تمسكه به ومحافظته عليه تعلو درجته، ويرتفع مقامه وتسمو مكانته، وتعظم كرامته

فيصبح من أهل ولاية الله ورعايته، ومحط رحمته ومنزل نعمته . وهذا أقصى ما يطلبه المسلم ويتمناه طول الحياة" . (منهاج المسلم، ١٤١٩هـ، ص١٠٧) .

وكما يشعر المسلم في قرارة نفسه بوجوب الأدب الكامل مع الله عز وجل فإنه يشعر أيضاً بوجوب الأدب الكامل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لأن الله تعالى قد أوجب له الأدب عليه الصلاة والسلام على كل مؤمن ومؤمنة وذلك بصريح كلامه عز وجل إذ قال : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (الحجرات، ١) . وقال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات، ٢) . وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ (النور، ٦٢) . وقال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المجادلة، ١٢) .

وفرض الله على المؤمنين طاعته، وأوجب محبته، فقال : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران، ٣١). ومن وجبت طاعته وحرمت مخالفته لزم التأدب معه في جميع الأحوال.

والله عز وجل قد حكّمه فجعله إماماً وحكماً قال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء، ٦٥). وقال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب، ٢١) .

يقول الجزائري : " يكون الأدب معه صلى الله عليه وسلم :

١ - بطاعته، واقتفاء أثره، وترسم خطاه في جميع مسالك الدنيا والدين .

٢ - أن لا يقدم على حبه وتوقيره وتعظيمه حب مخلوق أو توقيره أو تعظيمه كائناً من كان.

٣ - موالاة من كان يوالي، ومعاداة من كان يعادي، والرضا بما كان يرضى به، والغضب لما كان يغضب له .

٤ - إجلال اسمه وتوقيره عند ذكره، والصلاة والسلام عليه، واستعظامه وتقدير شمائله وفضائله .

٥ - تصديقه في كل ما أخبر به من أمر الدين والدنيا وشأن الغيب في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

٦ - إحياء سننه وإظهار شريعته، وإبلاغ دعوته، وإنفاذ وصاياه .

٧ - خفض الصوت عند قبره، وفي مسجده لمن أكرمه الله بزيارته، وشرّفه بالوقوف على قبره صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

٨ - حب الصالحين، وموالاتهم بحبه، وبغض الفاسقين ومعاداتهم ببغضه" . (منهاج المسلم، ١٤١٩هـ، ص١١٤-١١٥) .

٣ - صفة الرياء والسمعة

قال تعالى : ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (التوبة، ٥٤)

قال الشوكاني : " بين سبحانه السبب المانع من قبول نفقاتهم فقال " وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله " أي كفرهم بالله وبرسوله جعل المانع من القبول ثلاثة أمور : الأول الكفر، الثاني أنهم لا يصلّون في حال من الأحوال إلا في حال الكسل والتثاقل، لأنهم لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً، فصلاتهم ليست إلا رياء للناس وتظهراً بالإسلام الذي يبطنون خلافه، والثالث أنهم لا ينفقون أموالهم إلا وهم كارهون، ولا ينفقونها طوعاً لأنهم يعدون إنفاقها وضعاً لها في مضيعة لعدم إيمانهم بما وعد الله ورسوله " . (فتح القدير، ١٣٨٣هـ، جـ٢، ص٣٦٩).

وقال حوى : " وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا " أي وما منعهم قبول نفقاتهم إلا ما يأتي " أنهم كفروا بالله وبرسوله أي كفرهم " ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى " جمع كسلان . فكفرهم أولاً وكسلهم عن الصلاة ثانياً، ورياؤهم بالنفقة ثالثاً " ولا ينفقون إلا وهم كارهون " هذه الأسباب الثلاثة منعتهم قبول صدقتهم " . (الأساس في التفسير، ١٤١٤هـ، جـ٤، ٢٣٠٣) .

والرياء لغة :

قال ابن منظور :" راءيت الرجل مُراءاة ورياء : أريته أني على خلاف ما أنا عليه . وفي التنزيل : بطراً ورئاء الناس، وفيه : الذين هم يراؤون ؛ يعني المنافقين أي إذا صلّى المؤمنون صلوا معهم يراؤونهم أنهم على ما هم عليه . وفلان مراءٍ وقوم مراؤون، والاسم الرياء . يقال: فعل ذلك رياء وسمعة " . (لسان العرب، ١٤٠٨هـ، جـ٥، ص٨٨) .

الرياء شرعاً :

وقد عرف العلماء الرياء بتعريفات قريبة من المعنى اللغوي، ومدار تعريفاتهم على شيء واحد وهو : أن يقوم العبد بالعبادة التي يتقرب بها لله لا يريد الله عز وجل، بل يريد عرضاً دنيوياً .

قال القرطبي : " حقيقة الرياء طلب ما في الدنيا بالعبادة، وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس " . (الجامع لأحكام القرآن، ١٤١٨هـ، جـ٢٠، ص١٩٥) .

وقال ابن حجر : " هو إظهار العبادة لقصد رؤية الناس، فيحمدوا صاحبها " . (فتح الباري، ١٣٩٠هـ، جـ١١، ص١٣٦) .

وقال الصنعاني : " الرياء أن يفعل الطاعة، ويترك المعصية، مع ملاحظة غير الله، أو يخبر بها، أو يحب أن يطلع عليها لمقصد دنيوي، من مال أو نحوه " . (سبل السلام، د.ت، جـ٤، ص١٨٤) .

الرياء والسمعة :

عنون البخاري في صحيحه بهذا العنوان : " باب الرياء والسمعة " ، وذكر فيه قوله صلى الله عليه وسلم : " من سمّع سمّع الله به، ومن يرائي يرائي الله به " . (البخاري، صحيح البخاري، ١٤١٩هـ، حديث رقم ٦٤٩٩،ص١١٢٦) .

والفرق بين الرياء والسمعة أن الرياء هو العمل لرؤية الناس، والسمعة العمل لأجل سماعهم، فالرياء يتعلق بحاسة البصر، والسمعة بحاسة السمع، قال ابن حجر : "والمراد بالسمعة نحو ما في الرياء، لكنها تتعلق بحاسة السمع، والرياء بحاسة البصر " . (فتح الباري، ١٣٩٠هـ، جـ١١، ص٣٣٦) .

فالتسميع على هذا لا يكون إلا في الأمور التي تسمع كقراءة القرآن وذكر الله تعالى، ونحو ذلك .

إلا أن ابن عبد السلام يرى أن المراد بالتسميع هو أن يحدّث المرء غيره بما يفعله من الطاعات التي لم يطلع عليها المتحدث، أما الرياء فهي الطاعة التي يظهرها الفاعل كي يراها الناس . (قواعد الأحكام، ١٣٨٨هـ، جـ١، ص١٤٧) .

وعلى ذلك فالرياء لا يدخل في العبادات القلبية كالخوف والرجاء بخلاف التسميع، لأن العبد قد يحدّث عما يكنه قلبه يريد بذلك ثناء الناس . يقول ابن عبد السلام: " أعمال القلوب مصونة من الرياء، إذ لا رياء إلا بأفعال ظاهرة ترى أو تسمع، والتسميع عام لأعمال القلوب والجوارح، وقد عدّ الصوم من الأعمال التي لا تظهر إلا بالتسميع " . (قواعد الأحكام، ١٣٨٨هـ،جـ١، ص١٤٨) .

أنواع التسميع :

وقسم ابن عبد السلام التسميع إلى قسمين :

الأول : تسميع الصادقين، وهو أن يعمل الطاعة خالصة لله، ثم يظهرها ويسمّع الناس بها، ليعظموه، ويوقروه، وينفعوه، ولا يؤذوه .

قال : وهذا محرم، وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : " من سمّع سمّع الله به، ومن يدائي يدائي الله به " . (البخاري، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم٦٤٩٩،ص١١٢٦)، وهذا تسميع الصادقين .

الثاني : تسميع الكاذبين وهو أن يقول : صلّيت ولم يصلّ، وزكيت ولم يزك، وصمت ولم يصم، وحججت ولم يحج، وغزوت ولم يغز . فهذا أشد ذنباً من الأول، لأنه زاد على إثم التسميع إثم الكذب، فأتى بذلك معصيتين قبيحتين . وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : " المتشبع بما لم يُعط كلابس ثوبي زور " . (البخاري، صحيح البخاري، ١٤١٩هـ، حديث رقم ٥٢١٩،ص٩٣٣) .

وقد يجمع العبد بين هذين الأمرين القبيحين : الرياء والتسميع، يقول ابن عبد السلام في ذلك : " لو راءى بعبادات، ثم سمّع موهماً لاخلاصهما، فإنه يأثم بالتسميع والرياء

جميعاً، وإثم هذا أشد من الكاذب الذي لم يفعل ما سمّع به، لأن هذا أثم بريائه وتسميعه وكذبه ثلاثة آثام". (قواعد الأحكام، ١٣٨٨هـ،جـ١، ص١٤٨).

وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة ترهبنا ترهيباً عظيماً من أن نقصد بالعبادة – التي شرعها الله لنتقرب إليه – العباد، وعدّ ذلك من عظائم الذنوب، بل عده شركاً، وذلك لأن هذا المرائي لم يقصد الله وحده دون سواه بعمله، والاخلاص يقتضي أن يريد العابد الله وحده لا شريك له .

والمرائي جعل العبادات مطية لتحصيل أغراضه، فقد استعمل العبادة فيما لم تشرع لأجله، وهذا تلاعب بالشريعة ووضع للأمور في غير مواضعها.

ومن النصوص القرآنية التي تتوعد المرائين :

١ – قوله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (الماعون، ٤-٧) .

٢ - وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (البقرة، ٢٦٤) . فالمتصدق الذي يمنّ بصدقته على المتصدَّق عليه أو يؤذيه عمله باطل، مثله مثل الذي ينفق رياء .

٣ - وقال تعالى : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (هود، ١٥) . فالذي يريد بعمله ثواب الدنيا يعطاه إذا شاء الله تعالى، ومصيره في الآخرة العذاب الشديد، لأنه حدّد قصده إلى الدنيا، فالآية كما يقول القرطبي : " عامة في كل من ينوي بعمله غير الله، كان معه أصل إيمانه أو لم يكن، وهذا قول مجاهد، وميمون بن مهران، وإليه ذهب معاوية . (الجامع لأحكام القرآن، ١٤١٨هـ، جـ٩،ص١٦) .

أما الأحاديث النبوية فهي كثيرة منها :

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه

معي غيري تركته وشركه " . (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ، حديث رقم ٧٤٧٥،ص١٢٩٢) .

٢ - قال صلى الله عليه وسلم : " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر " قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : " الرياء، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء" . (أحمد، المسند،د.ت، جـ٥، ص٤٢٨-٤٢٩) .

وهناك مزلق خطير يجب الحذر منه وهو ترك الطاعات خوفاً من الرياء . يقول فريد: " من الناس من يترك العمل خوفاً من أن يكون مرائياً به، وذلك غلط وموافقه للشيطان وجد إلى البطالة وترك للخير، فما دام الباعث على العمل صحيحاً وهو في ذاته موافق للشرع الحنيف فلا يترك العمل لوجود خاطر الرياء، بل على العبد أن يجاهد خاطر الرياء ويلزم قلبه الحياء من الله وأن يستبدل بحمده حمد المخلوقين" . (البحر الرائق في الزهد والرقائق، ١٤١١هـ، ص١٤٦).

٤ ـ صفة نكث العهد

قال تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (التوبة، ٧٥-٧٦-٧٧) .

قال ابن كثير : " يقول تعالى ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه لئن أغناه من فضله ليصدقن من ماله وليكونن من الصالحين، فما وفى بما قال ولا صدق فيما ادعى، فأعقبهم هذا الصنيع نفاقاً سكن في قلوبهم إلى يوم يلقون الله عز وجل يوم القيامة عياذاً بالله من ذاك". (تفسير القرآن العظيم، ١٤١٤هـ،جـ٢،ص٤٩٢) .

وقال السعدي : " .. فليحذر المؤمن هذا الوصف الشنيع، أن يعاهد ربه، إن حصل مقصوده الفلاني، ليفعلن كذا وكذا، ثم لا يفي بذلك، فإنه ربما عاقبه الله بالنفاق كما عاقب هؤلاء " . (تفسير كلام المنان، ١٤١٩هـ، ص٣٠٤) .

ولقد أمرنا الله بالوفاء بالعهد في كتابه العزيز فقال : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (النحل، ٩١) . وقال تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ...﴾ (الإسراء، ٣٤) .

وحث عليه النبي صلى الله عليه وسلم . فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أخبرني أبو سفيان أن هرقل قال له : " سألتك ماذا يأمركم ؟ فزعمت أنه يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة . قال : وهذه صفة نبي " . (البخاري، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم ٢٦٨١،ص٤٣٧) . وقد امتدح الله سبحانه وتعالى أنبياءه بهذه الصفة الحميدة . فقال عز وجل عن سيدنا إبراهيم عليه السلام : ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (النجم، ٣٧) . وقال عن إسماعيل عليه السلام : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (مريم، ٥٤) . كما امتدح بها أولياءه وجعلها صفة من صفاتهم . فقال عز وجل : ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ

هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾ (الرعد، ١٩-٢٠).وقال تعالى : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب، ٢٣) .

وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم عدم الوفاء بالعهد صفة وخصلة من صفات وخصال المنافقين. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "آية المنافق ثلاث، إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان" . (البخاري، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم ٦٠٩٥،ص١٠٦٣) . وعن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر" . (البخاري، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم ٣٤،ص٩). ولقد ورد في القرآن أكثر من ستين آية تحث على العهد والوفاء به وتحذر من نقضه وتبين عقوبة وصفة ناقصة بأساليب مختلفة .

يقول العمر : " عرضت قضية العهد والميثاق في القرآن الكريم بعدة أساليب كلها تشد النفس وتوقظ الحس وتحيي القلوب الميتة . فأكثر الآيات عرضت بأسلوب خبري فيه الوعد والوعيد والترغيب والترهيب، نجد الإجمال والبيان، والإيجاز والتفصيل والإطناب . وهناك آيات جاءت بالأسلوب الطلبي فهذا أمر وذاك نهي، ومرة بصيغة الاستفهام الإنكاري، وأخرى بأسلوب الاستفهام التوبيخي" . (العهد والميثاق في القرآن الكريم، ١٤١٣هـ، ص٢٣٢) .

أقسام العهد :

والمتتبع لآيات العهد والميثاق التي وردت في القرآن الكريم يجد العهد ينقسم إلى عدة أقسام : عهد عام أخذه الله على ذرية آدم بأن لا يعبدوا غيره . كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا

صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (يس، ٦٠-٦١). وقوله تعالى : ﴿... اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (البقرة، ٤٠) .

يقول مصري : " ووفاء الإنسان بهذا العهد أساس كرامته في الدنيا وسعادته في الآخرة. ولا يكون الوفاء بهذا العهد الهام إلا بذكر الله تعالى وطاعته على الدوام في كل أمر ونهي . وطاعة الله تعالى إنما تكون بامتثال أوامره واجتناب نواهيه عز وجل والعلم اليقيني المراد من خلقه لنا، وتسخير كل شيء من أجلنا براً وبحراً وجواً إنما تفضل علينا بذلك كله لنعبده ولا نشرك معه في العبادة أحداً" . (الوفاء بالعهد في القرآن الكريم، ١٤٠٧هـ، ص٨٣) .

وعهد خاص أخذه الله تعالى على النبيين، كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران، ٨١) . وقال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (الأحزاب، ٧) . وقد ذكر المفسرون أقوالاً حول العهد والميثاق الذي أخذه الله على النبيين عليهم أفضل الصلاة والسلام . فقد ذكر الطبري بعد أن ذكر أمثال العلماء حول العهد والميثاق الذي أخذه الله على النبيين عليهم السلام . قال : "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب من قال : معنى ذلك : الخبر عن أخذ الله الميثاق من أنبيائه بتصديق بعضهم بعضاً . وأخذ الأنبياء على أممها وأتباعها الميثاق بنحو الذي أخذ عليها ربها من تصديق أنبياء الله ورسوله بما جاءتها به.

لأن الأنبياء عليهم السلام بذلك أرسلت إلى أممها ولم يدع أحد ممن صدق المرسلين أن نبياً أرسل إلى أمة بتكذيب أحد أنبياء الله عز وجل " . (جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٣، ص٣٣٢-٣٣٣) .

وحيث أن الأنبياء عليهم السلام كلهم من عند الله تعالى من أولهم إلى آخرهم فلا بد أن يصدق أحدهم الأخر، وأن يوصى قومه من بعده بالإيمان بهم . وهذا ما بشر به عيسى عليه السلام قومه في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (الصف، ٦) .

يقول ابن كثير : " أن علياً بن أبي طالب وابن عمه ابن العباس رضي الله عنهما قالا: ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه ". (تفسير القرآن العظيم، ١٤١٤هـ، جـ١، ص٣٥٧) .

وعهود أخذها الله سبحانه وتعالى على بعض الأمم مثل بني إسرائيل . كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (البقرة، ٨٣) . وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (المائدة، ١٢) . ومثل النصارى كما في قوله تعالى : ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة، ١٤) .

وقد أبرم النبي محمد صلى الله عليه وسلم العديد من العقود والعهود مع الأنصار ومع اليهود ومع بعض القبائل التي كانت تسكن الجزيرة العربية، ولكن المقام لا يسمح

بذكرها، وهذه العقود والعهود مذكورة في كتب السير مثل السيرة النبوية لابن هشام وغيرها .

وهناك عهود يوجبها المرء على نفسه خلال تعامله مع غيره . فيجب عليه الوفاء بما ألزم نفسه به لأن الوفاء بالعهد صفة من صفات المؤمنين، والغدر ونقض العهد صفة من صفات المنافقين . يقول الغزالي : " فإذا أبرم المسلم عقداً فيجب أن يحترمه، وإذا أعطى عهداً فيجب أن يلتزمه، ومن الإيمان أن يكون المرء عند كلمته التي قالها ينتهي إليها كما ينتهي الماء عند شطآنه ، فيعرف بين الناس بأن كلمته موثق غليظ، لا خوف من نقضها ولا مطمع في اصطيادها" . (خلق المسلم، ١٤٠٦هـ، ص٨٧) .

٥ ـ صفة الأيمان الكاذبة

قال تعالى : ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة، ٤٢) .

قال الجزائري في تفسير الآية : " يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم لو كان أولئك المتخلفون عن الجهاد من المنافقين وضعفة الإيمان قد دعوتهم إلى عرض قريب أي غنيمة حاضرة أو إلى سفر قاصد معتدل لاتبعوك وخرجوا معك، ولكن دعوتهم إلى تبوك وفي زمن الحر فبعدت عليهم الشقة فانتحلوا الأعذار إليك وتخلفوا . وقوله تعالى ﴿وسيحلفون بالله﴾ أي لكم قائلين : لو استطعنا أي الخروج لخرجنا معكم . قال تعالى : ﴿يهلكون أنفسهم﴾ حيث يجلبون لها سخط الله وعقابه (بسبب كذبهم ونفاقهم وأيمانهم الكاذبة " ﴿والله يعلم إنهم لكاذبون﴾ في كل ما اعتذروا به " . (أيسر التفاسير، ١٤١٩هـ، جـ٢، ص٣٧٢) .

وقال تعالى : ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة، ٦٢) .

قال حوى : " أهل النفاق ﴿يحلفون بالله لكم﴾ يا مسلمون ﴿ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين﴾ إن كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق، ولكنهم يجهلون ـ جهل عمى وعمه ـ عظمة الله ومقام رسوله؛ فيحرصون على إرضاء المسلمين بالأيمان الكاذبة خداعاً لهم" . (الأساس في التفسير، ١٤١٤هـ، جـ٤، ص٢٣١٢) .

وقال تعالى : ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (التوبة، ٧٤) .

قال الطبري في تفسير قوله تعالى : ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ إن الله تعالى أخبر عن المنافقين أنهم يحلفون بالله كذباً على كلمة كفر تكلموا بها، أنهم لم يقولوها . (جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٤، ص١٣٩) .

وقال تعالى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة، ٩٥-٩٦) .

قال الجزائري في تفسير الآيتين : " يخبر تعالى رسوله والمؤمنين فيقول سيحلف لكم هؤلاء المخلفون إذا رجعتم إليهم إلى المدينة من أجل أن تعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم أي لا تؤاخذوهم ولا تلتفتوا إليهم إنهم رجْس أي نَجَس، ومأواهم جهنم جزاء لهم بما كانوا يكسبونه من الكفر والنفاق والمعاصي . وقوله تعالى ﴿يحلفون لكم﴾ معتذرين بأنواع من المعاذير لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فلن ينفعهم رضاكم شيئاً لأنهم فاسقون والله لا يرضى عن القوم الفاسقين وما دام لا يرضى عنهم فهو ساخط عليهم، ومن سخط الله عليه أهلكه وعذبه فلذا رضاكم عنهم وعدمه سواء" . (أيسر التفاسير، ١٤١٩هـ، جـ٢،ص٤١٥- ٤١٦) .

وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة، ١٠٧) .

قال الطبري في تفسير قوله تعالى : ﴿وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى﴾ يقول جل ثناؤه: " وليحلفن بانوه : ﴿إن أردنا إلا الحسنى﴾ ببنائناه، إلا الرفق بالمسلمين، والمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعلة ومن عجز عن المصير إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه، وتلك هي الفعلة الحسنة . ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ في حلفهم ذلك، وقيلهم: (مابنيناه إلا ونحن نريد الحسنى !) ولكنهم بنوه يريدون ببنائه السوآى،

ضراراً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكفراً بالله، وتفريقاً بين المؤمنين، وإرصاداً لأبي عامر الفاسق" . (جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٤، ص١٦٠) .

لقد أوضحت الآيات السابقة أن الأيمان الكاذبة مطايا المنافقين، يحاولون أن يستروا بها نفاقهم، ويسخرونها لمآربهم الفاسدة، وأغراضهم الخبيثة، ولقد فضحتهم سورة التوبة وكانت لهم بالمرصاد وبينت كذبهم، وأوضحت السورة أن المنافقين يحاولون ستر كذبهم بالأيمان، وهذا عمل محرم . يقول الذهبي : " من الكبائر : اليمين الغموس : وهي التي يتعمد الكذب فيها سميت غموساً لأنها تغمس الحالف في الإثم وقيل تغمسه في النار " . (الكبائر، ١٤٠٨هـ، ص١١) .

وقد بينت نصوص القرآن والسنة أنه لا يُحلف إلا بالله، ومن حلف بغيره فقد أشرك، كما أنه يتعين على من حلف بالله أن يكون صادقاً . قال تعالى : ﴿ ... وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ (المائدة،٨٩) . "أي عن الحلف بالله كاذباً، وعن كثرة الأيمان، واحفظوها إذا حلفتم عن الحنث فيها، إلا إذا كان الحنث خيراً، فتمام الحفظ : أن يفعل الخير، ولا يكون يمينه عرضة لذلك الخير ". (تفسير كلام المنان، ١٤١٩هـ، ص٢٠٥) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "الحلف منفقة للسلعة ممحقة للربح" . (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ حديث رقم ٤١٢٥،ص٧٠٣).

يقول القرعاوي في شرح الحديث : " يخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن حلف البائع على السلعة كاذباً قد يروجها ويؤدي إلى بيعها والربح فيها لكنه سبب لزوال بركة كسبها وعدم نمائه فيأتيه النقص من أبواب أخرى وربما ذهب رأس المال والربح معاً فإن ما عند الله لا ينال بمعصيته والدنيا وإن تزخرفت للعاصي مؤقتاً فإن نهايتها إلى الزوال والعقاب في الآخرة " (الجديد في شرح كتاب التوحيد، ١٣٩٩هـ،ص٣٢٣) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجئ قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته" . (البخاري، صحيح البخاري، ١٤١٩هـ، حديث رقم ٣٦٥١،ص٦١٢) .

يقول القرعاوي في شرح الحديث : " يخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن خير هذه الأمة وأفضلها هم أولئك القرون الأربعة الأولى وأن باب الشر ينفتح بعدهم وقد وقع كثير مما أخبر به صلى الله عليه وسلم فكثر الالحاد والزندقة، وغلب أمر الدنيا واتبع الناس الهوى واستخفوا بأمر الله فسهل عليهم أمر اليمين والشهادة، فتسارعوا إليهما قبل أن يطلب منهم " . (الجديد في شرح كتاب التوحيد، ١٣٩٩هـ، ص٣٢٧) .

إنه يتعين على المؤمن أن يعظّم الخالق عز وجل فلا يحلف إلا بالله ولا يكذب في حلفه. يقول السعدي : " أصل اليمين إنما شرعت تأكيداً للأمر المحلوف عليه، وتعظيماً للخالق، ولهذا وجب أن لا يُحلف بالله إلا صادقاً . ومن تمام هذا التعظيم أن يحترم اسمه العظيم عن كثرة الحلف بالكذب، وكثرة الحلف تنافي التعظيم الذي هو روح التوحيد . (القول السديد في مقاصد التوحيد، ١٤١٦هـ، ص١٨٢) .

وقد أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم الوعيد الشديد في الآخرة لمن يحلف بالله كاذباً من أجل أن ينفق سلعته . فعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم " . قال: فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات -قال أبو ذر : خابوا وخسروا منْ هم يا رسول الله ؟ قال: " المسبل إزاره، والمنّان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب " . (مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٩هـ، حديث رقم ٢٩٣،ص٥٩) .

٦ ـ صفة أذية المؤمنين

قال تعالى : ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (التوبة، ٤٧-٤٨) .

قال الجزائري في تفسير الآيتين : " ما زال السياق الكريم في فضح نوايا المنافقين وكشف الستار عنهم فقال تعالى ﴿لو خرجوا فيكم﴾ أيها الرسول والمؤمنون أي إلى غزوة تبوك ﴿ما زادوكم إلا خبالاً﴾ أي ضرراً وفساداً وبلبلة لأفكار المؤمنين بما ينفثونه من سموم القول للتخذيل والتفشيل، ﴿ولأوضعوا﴾ أي أسرعوا ركائبهم ﴿خلالكم﴾ أي بين صفوفكم بكلمات التخذيل والتثبيط ﴿يبغونكم﴾ بذلك ﴿الفتنة﴾ وهي تفريق جمعكم وإثارة العداوة بينكم بما يحسنه المنافقون في كل زمان ومكان من خبيث القول وفاسده وقوله تعالى ﴿وفيكم سماعون لهم﴾ أي وبينكم أيها المؤمنون ضعاف الإيمان يسمعون منكم وينقلون لهم أخبار أسراركم كما أن منكم من يسمع لهم ويطيعهم ولذا وغيره كره الله انبعاثهم وثبطهم فقعدوا مع القاعدين من النساء والأطفال والعجز والمرضى، وقوله تعالى ﴿والله عليم بالظالمين﴾ الذين يعملون على إبطال دينه وهزيمة أوليائه . فلذا صرفهم عن الخروج معكم إلى قتال أعدائكم من الروم والعرب المنتصرة بالشام . وقوله تعالى في الآية الثانية ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل﴾ بل من يوم هاجرت إلى المدينة ووجد بها الإسلام وهم يثيرون الفتن بين أصحابك للإيقاع بهم، وفي أحد رجع أبن أبي بثلث الجيش وهمّ بنو سلمة وبنو حارثة بالرجوع عن القتال لولا أن الله سلم ﴿وقلبوا لك الأمور﴾ وصرفوها في وجوه شتى بقصد القضاء على دعوتك فظاهروا المشركين واليهود في مواطن كثيرة وكان هذا دأبهم ﴿حتى جاء القضاء﴾ بفتح مكة ﴿وظهر أمر الله﴾ بدخول أكثر العرب في دين الله ﴿وهم كارهون﴾ لذلك بل أسفون حزنون، ولذا فلا تأسفوا على عدم خروجهم معكم، ولا تحفلوا به أو تهتموا له، فإن الله رحمة بكم

ونصراً صرفهم عن الخروج معكم فاحمدوا الله وأثنوا عليه بما هو أهله، ولله الحمد والمنة" . (أيسر التفاسير، ١٤١٩هـ،جـ٢،ص٣٧٥-٣٧٦) .

وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة، ١٠٧) .

قال السعدي في تفسير الآية : " كان أناس من المنافقين من أهل قباء، اتخذوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء، يريدون به المضارة والمشاقة، بين المؤمنين، ويعدونه لمن يرجونه، من المحاربين لله ولرسوله، يكون لهم حصناً عند الاحتياج إليه، فبين تعالى خزيهم، وأظهر سرهم فقال : ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً﴾ أي : مضارة للمؤمنين ولمسجدهم، الذي يجتمعون فيه ﴿وكفراً﴾ أي : مقصدهم فيه الكفر، إذا قصد غيرهم الإيمان.

﴿وتفريقاً بين المؤمنين﴾ أي ليتشعبوا ويتفرقوا ويختلفوا ، ﴿وإرصاداً﴾ أي : إعداداً ﴿لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ أي : إعانة للمحاربين لله ورسوله، الذين تقدم حرابهم، واشتدت عداوتهم، وذلك كأبي عامر الراهب، الذي كان من أهل المدينة، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم وهاجر إلى المدينة، كفر به، وكان متعبداً في الجاهلية، فذهب إلى المشركين، يستعين بهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما لم يدرك مطلوبه عندهم ذهب إلى قيصر، بزعمه أنه ينصره، فهلك اللعين في الطريق، وكان على وعد ومماألأة، هو والمنافقون . فكان مما أعدوه له مسجد الضرار، فنزل الوحي بذلك، فبعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم من يهدمه، ويحرقه، فهُدم وحُرق، وصار بعد ذلك مزبلة . قال تعالى بعدما بين مقاصدهم الفاسدة في ذلك المسجد ﴿وليحلفن إن أردنا﴾ في بنائه إياه ﴿إلا الحسنى﴾ أي : الاحسان إلى الضعيف، والعاجز الضرير . ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ . فشهادة الله عليهم أصدق من حلفهم " . (تفسير كلام المنان، ١٤١٩هـ،ص٣٠٩) .

يقول الصابوني في تعليقه على الحديث : " .. فليس ضياع المال والمتاع بالشيء المخيف، ولا بالأمر الخطير، ولكن الإفلاس الحقيقي هو أمور تضيع في الدين، وفي الأعمال الصالحة، وفي الحسنات التي تقرّب العبد من ربه وتجعله سعيداً في آخرته ودنياه هذا هو الشيء الخطير .. فكم من أناس ملكوا الدنيا، وكدسوا الثروات الضخمة، وعاشوا في الحياة مترفين، ولكنهم كانوا تعساء لأنهم مفلسون، قد ذهبت حسناتهم، وتلاشت خيراتهم، وذهبت إلى أولئك المظلومين الذين اعتُدي عليهم ... أليس هذا مما يدعو إلى الحسرة والإشفاق، أن يجمع الإنسان الحسنات ثم يأتي يوم القيامة وقد ذهبت لخصومه ولم يبق له منها إلا سيئات خصومه الذين ظلمهم في الدنيا فتطرح عليهم ثم تكون نهايته صقر " . (من كنوز السنة، ١٤٠٩هـ،ص١٦٢) .

ولذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه " . (البخاري، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم ٢٤٤٦،ص٣٩٥) .

ونحن خير أمة أخرجت للناس ننتصر للمظلوم، قال عليه الصلاة والسلام : " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قالوا : يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً ؟ قال : تأخذ فوق يديه ". (البخاري، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم ٢٤٤٤،ص٣٩٤)

ونأخذ على يد الظالم، لأن ترك الظالم بدون عقاب إيذان بوقوع العقاب، قال عليه الصلاة والسلام : " إن الناس إذا رأوا ظالماً فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه ". (الترمذي، السنن،١٤٢٠هـ، حديث رقم ٢١٦٨،ص٤٩٨) .

وعلينا أن نحذر أشد الحذر من دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب . قال عليه الصلاة والسلام : " اتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب " . (البخاري، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم ٢٤٤٨،ص٣٩٥).

ومما ذكره الراغب الأصبهاني : " أن معاوية رضي الله عنه قال : إني لأستحي أن أظلم من لا أجد له ناصراً عليّ إلا الله " .

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عامل له : إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فاذكر قدرة الله عليك .

وقيل : الظلم أدعى شيء إلى تغيير نعمة، وتعجيل نقمة " . (محاضرات الأدباء، د.ت، جـ١، ص٢١٦) .

فلنحذر من ظلم الناس وأذيتهم فإن عاقبة ذلك وخيمة، فالحاكم هو الله المطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ولا يعزب عنه شيء .

٧ - صفـــة الحسد

قال تعالى : ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ (التوبة، ٥٠) .

قال الطبري في تفسير الآية : " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يا محمد إن يصبك سرور بفتح الله عليك أرض الروم في غزاتك هذه، يسوء الجدّ بن قيس ونظراؤه وأشياعهم من المنافقين، وإن تصبك مصيبة بفلول جيشك فيها، يقول الجد ونظراؤه: ﴿ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا ﴾ أي قد أخذنا حذرنا بتخلفنا عن محمد، وترك اتباعه إلى عدوه. " من قبل " يقول : من قبل أن تصيبه هذه المصيبة. ﴿ وَيَتَوَلَّوا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴾ يقول: ويرتدوا عن محمد وهم فرحون بما أصاب محمداً وأصحابه من المصيبة، بفلول أصحابه وانهزامهم عنه وقتل من قتل منهم . (جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٤، ص١١٩) .

وقال قطب : " إنهم لا يريدون بالرسول خيراً ولا بالمسلمين ؛ وإنهم ليسوؤهم أن يجد الرسول والمسلمون خيراً: ﴿ إن تصبك حسنة تسؤهم " .. وإنهم ليفرحون لما يحل بالمسلمين من مصائب وما ينزل بهم من مشقة : ﴿وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ ﴾.. واحتطنا ألا نصاب مع المسلمين بشرّ، وتخلفنا عن الكفاح والغزو ! ﴿ وَيَتَوَلَّوا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ .. بالنجاة وبما أصاب المسلمين من بلاء " . (في ظلال القرآن، ١٤٠٦هـ، جـ٣، ص١٦٦٤) .

والحسد لغة :

قال أنيس : " (حَسَدَه) – حَسَدًا : تمنى أن تتحول إليه نعمته، أو أن يُسْلَبَها . ويقال: حسده النعمة وحسده عليها . وتقول العرب : حسدني الله إذا كنت أحسدك : عاقبني الله على حسدي إياك . (المعجم الوسيط، ١٣٩٢هـ، جـ١، ص١٧٢) .

والحسد قسمان : أولهما أن يتمنى المرء زوال النعمة من مال أو علم أو جاه أو سلطان عن غيره لتحصل له ، وثانيهما وهو شرهما ، أن يتمنى زوال النعمة عن غيره ولو لم تحصل له ولم يظفر بها .

وليس من الحسد المذموم الاغتباط وهو تمني حصول نعمة مثل نعمة غيره من علم أو مال أو صلاح حال بدون تمني زوالها عن غيره، لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : " لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ؛ ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها " . (البخاري، صحيح البخاري، ١٤١٩هـ، حديث رقم ٧٣،ص١٧) . والمراد بالحكمة هنا القرآن والسنة.

والحسد بقسميه محرم تحريماً قطعياً، فلا يحل لأحد أن يحسد أحداً، قال تعالى : ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النساء، ٥٤) . وقال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ (البقرة، ١٠٩) . وقال تعالى : ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق،٥). (الجزائري، منهاج المسلم، ١٤١٩هـ، ص٢٣٩-٢٤٠).

وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء هي الحالقة ، لا أقول : تحلق الشعر ولكن تحلق الدين " . (الترمذي، السنن، ١٤٢٠هـ،حديث رقم٢٥١٠،ص٥٧٠). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، و كونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام ". (البخاري، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم ٦٠٦٥،ص١٠٥٩) . وصح عنه صلى الله عليه وسلم قوله : "إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، أو قال العشب" . (أبو داود، السنن،١٤٢٠هـ، حديث رقم ٤٩٠٣،ص٦٩١) .

والحسد خطره عظيم، وضرره جسيم . يقول الجاحظ : " الحسد داء ينهك الجسد، ويفسد الود، علاجه عسر، وصاحبه ضجر .. منه تتولد العداوة، وهو سبب كل قطيعة، ومنتج كل وحشة، ومفرق كل جماعة، وقاطع كل رحم بين الأقرباء، ومحدث التفرق بين

القرناء وملقح الشر بين الخلطاء، يكمن في الصدر كمون النار في الحجر " . (رسائل الجاحظ، ١٣٩٩هـ، جـ٣، ص٤-٥) .

والمسلم لا يحسد ولا يكون الحسد خلقاً له ولا وصفاً فيه ما دام يحب الخير للجميع ويؤثر على نفسه فيه إذ الحسد منافٍ للخلقين الكريمين : حب الخير، والإيثار فيه .

يقول الجزائري : " والمسلم إن خطر له خاطر الحسد بحكم بشريته وعدم عصمته قاومه، بدفعه من نفسه، وكراهيته له حتى لا يصير هماً أو عزيمة له فيقول بموجبه أو يعمل فيهلك، وإن أعجبه الشيء قال : ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، وبذلك لا يؤثر فيه ويسلم " . (منهاج المسلم، ١٤١٩هـ، ص٢٤٠) .

٨ ـ صفة البخل

قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة، ٦٧).

قال أبو السعود في تفسير قوله تعالى : ﴿ويقبضون أيديهم﴾ : " أي عن المبرات والإنفاق في سبيل الله فإن قبض اليد كناية عن الشح " . (إرشاد العقل السليم، د.ت، جـ٣، ص٨٠).

وقال السعدي في تفسير قوله تعالى ﴿ ويقبضون أيديهم ﴾ " : أي عن الصدقة، وطرق الإحسان، فوصفهم بالبخل " . (تفسير كلام المنان، ١٤١٩هـ، ص٣٠٣) .

وقال تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (التوبة، ٧٥-٧٦) .

قال قطب في تفسير الآيتين : " من المنافقين من عاهد الله لئن أنعم الله عليه ورزقه، ليبذلن الصدقة، وليصلحن العمل . ولكن هذا العهد إنما كان في وقت فقره وعسرته. في وقت الرجاء والطمع فلما أن استجاب الله له ورزقه من فضله نسى عهده، وتنكر لوعده، وأدركه الشح والبخل، وتولى معرضاً عن الوفاء بما عاهد " . (في ظلال القرآن، ١٤٠٦هـ، جـ٣، ص١٦٧٩) .

وقال الجزائري : " من هداية الآيتين :

١ – وجوب الوفاء بالعهود وخاصة عهود الله تعالى .

٢ – ذم البخل وأهله " . (أيسر التفاسير، ١٤١٩هـ، جـ٢، ص٤٠٢).

تعريف البخل لغة :

قال ابن منظور : البُخْل والبَخَل : لغتان .. والبَخْل والبُخول : ضد الكرم، وقد بَخِل يبْخَل بُخْلاً وبَخَلاً، فهو باخل : ذو بُخْل، والجمع بُخَّال، وبخيل والجمع بُخَلاء " . (لسان العرب، ١٤٠٨هـ، جـ١، ص٣٣٢) .

تعريف البخل اصطلاحاً والفرق بينه وبين الشح :

يقول ابن عمرو : " الشح أشد من البخل لأن الشحيح هو الذي يشح على ما في يد غيره حتى يأخذه، ويشح بما في يده فيحبسه، والبخيل هو الذي يبخل بما في يده " . (الغزالي، إحياء علوم الدين، ١٤١٩هـ، جـ٣، ص٣٣٢) .

والبخل متفرع عن حب الدنيا وتعظيمها والتعلق بها وهو من المهلكات لصاحبه، يبعده عن الله تعالى وجنته ويقربه من شقاء الدنيا وعذاب الله في الآخرة، والبخيل مكروه عند الناس مذموم بينهم، وهذا المرض خطير إذا تمكن من القلب يحمله إلى سفك الدماء واستحلال الحرام، كما يؤدي بصاحبه إلى الهلاك الدنيوي والأخروي، وقد حذرنا الله منه في آيات كثيرة منها : قوله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (آل عمران، ١٨٠)، وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (النساء، ٣٧)، وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الحديد، ٢٤)، وقال تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ (الليل، ٨-١١) .

الأحاديث النبوية التي تنهى عن البخل والشح :

كما حذرنا منه رسول الهدى صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة منها :

قوله صلى الله عليه وسلم في حديث جابر رضي الله عنه : " اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم " . (مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٩هـ، حديث رقم ٦٥٧٦،ص ١١٢٩)، وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : " مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد قد اضطرت أيديهما إلى ثديهما وتراقيهما،

فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تغشى أناملـه وتعفو أثره، وجعل البخيل كلما همّ بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة بمكانـها " . (البخاري، صحيح البخاري، ١٤١٩هـ، حديث رقم ٥٧٩٧، ص١٠٢٣). وقولـه صلى الله عليه وسلم في حديث أبي سعيد رضي الله عنه : " خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل، وسوء الخلق " . (الترمذي، السنن، ١٤٢٠هـ، حديث رقم ١٩٦٢،ص٤٥٥)، وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : " اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر" . (البخاري، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم ٦٣٦٥،ص١١٠٦)، وعن عمر رضي الله عنه قال : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسماً فقلت : لغير هؤلاء كان أحق به منهم ؟ فقال : " إنهم خيروني بين أن يسألوني بالفحش أو يبخلوني، فلست بباخل " . (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ، حديث رقم٢٤٢٨،ص٤٢٤) .

وقد ذكر الغزالي :" أن البخل سببه حب المال . ولحب المال سببان : أحدهما حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال، مع طول الأمل، فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لا يبخل بماله .. والسبب الثاني : أن يحب عين المال ؛ فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته، وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة، ولا تسمح نفسه بإخراج الزكاة، ولا بمداواة نفسه عند المعرض، بل صار محباً للدنانير، عاشقاً لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها، فيكنزها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموته فتضيع أو يأخذها أعداؤه، ومع هذا فلا تسمح نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة واحدة، وهذا مرض للقلب عظيم، عسير العلاج لاسيما في كبر السن" .

ثم قال الغزالي : " فهذه أسباب حب المال . وإنما علاج كل علة بمضادة سببها، فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر، وتعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت،

والنظر في موت الأقران، وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم، وتعالج التفات القلب إلى الولد بأن خالقه خلق معه الرزق، وكم من ولد ولم يورث من أبيه مالاً وحاله أحسن ممن ورث ؟ وبأن يعلم أنه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير، وينقلب هو إلى شر، وأن ولده إن كان تقياً صالحاً فالله كافيه، وإن كان فاسقاً فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته إليه .

ويعالج أيضاً قلبه بكثرة التأمل في الأخبار في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم .

ومن الأدوية النافعة : كثرة التأمل في أحوال البخلاء ونفور الطبع عنهم واستقباحهم له، فإنه ما من بخيل إلا ويستقبح البخل من غيره، ويستثقل كل بخيل من أصحابه، فيعلم أنه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه .

ويعالج أيضاً قلبه بأن يتفكر في مقاصد المال، وأنه لماذا خُلق ؟ ولا يحفظ من المال إلا بقدر حاجته إليه، والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بذله " . (احياء علوم الدين، ١٤١٩هـ، جـ٣، ص٣٤٠-٣٤١) .

والإنسان ليس من حقه أن يبخل بشيء يقع تحت يده . يقول الميداني : " قبل أن يحذر الإسلام من الشح والبخل، ويذم الأشحاء والبخلاء، أبان حقيقة من شأنها أن تشعر الإنسان بأنه ليس من حقه مطلقاً أن يبخل بشيء يقع تحت يده . هذه الحقيقة هي أن أي شيء يملكه الإنسان في الصورة وفي عرف الناس،هو في حقيقته ملك لله، والإنسان موظف على إدارته، ومستخلف فيه. قال تعالى:﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾(الحديد، ٥-٧).

ففي هذا النص القرآني بيان من وجهين :

الأول : أن جميع ما في السماوات والأرض مملوك لله تعالى، وأنه داخل تحت سلطان ملكه.

الثاني : أن ما تحت أيدي الناس من أموال هي لله تعالى، ولكن الله تعالى قد جعلهم مستخلفين فيها، ليمنحهم في تصرفاتهم، وليختبر كيف تكون طاعتهم لأوامره ونواهيه، ولذلك قال تعالى : ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ أي ليس لكم في ملك كامل ثابت، ولكن لكم فيه استخلاف مؤقت، وهذا الاستخلاف عرضة للتبديل والتغيير من شخص لآخر، ومن أمة لأخرى، ثم يكون الميراث الحقيقي لمن له الملك الحقيقي، وهو الله تعالى مالك كل شيء، ولذلك قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ (مريم، ٤٠)" . (الأخلاق الإسلامية، ١٤٢٠هـ، جـ٢، ص٤٠٦-٤٠٧) .

٩ ـ صفة الطمع

قال تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ (التوبة، ٥٨-٥٩) .

قال الطبري في تفسير الآيتين : " يقول تعالى ذكره : ومن المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم في هذه الآيات . " من يلمزك في الصدقات " يقول : يعيبك في أمرها، ويطعن عليك فيها . " فإن أعطوا منها رضوا " يقول : ليس بهم في عيبهم إياك فيها، وطعنهم عليك بسببها الدين، ولكن الغضب لأنفسهم، فإن أنت أعطيتهم منها ما يرضيهم رضوا عنك، وإن أنت لم تعطهم منها سخطوا عليك وعابوك .

ولو أن هؤلاء الذين يلمزونك يا محمد في الصدقات، رضوا ما أعطاهم الله ورسوله من عطاء، وقسمَ لهم من قسم، " وقالوا حسبنا الله " يقول : وقالوا كافينا الله " سيؤتينا الله من فضله ورسوله " يقول : سيعطينا الله من فضل خزائنه ورسوله من الصدقة وغيرها. " إنا إلى الله راغبون " يقول :وقالوا : إنا إلى الله نرغب في أن يوسِّع علينا من فضله، فيغنينا عن الصدقة وغيرها من صلات الناس والحاجة إليهم" . (جامع البيان، ١٤١٥هـ، جـ٤، ص١٢٢-١٢٣) .

تعريف الطمع لغة :

قال أنيس : " (طَمِعَ) فيه، وبه ـ طَمَعاً، وطَمَاعًا، وطَمَاعِيَة : اشتهاه ورغب فيه. وحَرَصَ عليه . (طَمُعَ) ـ طَمَعَاً، وطَمَاعِيَة : صار كثير الطمع " . (المعجم الوسيط، ١٣٩٢هـ، جـ٢، ص٥٦٦) .

تعريف الطمع اصطلاحاً :

قال محمد : " الطمع ضد القناعة وهو عدم الرضا بالقسم وكثرة التمني واشتهاء ما في أيدي الناس" . (العلاج الرباني، ١٤١٣هـ، ص٧٣) .

إن الغنى غنى النفس، وغنى النفس قناعة، وأكثر السعادة والراحة في القناعة، والشقاء في كثرة الطلب، وكثرة الطلب طمع، والذل والهوان في الطمع .

وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة . فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب " . (البخاري، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم ٦٤٣٦،ص١١١٧)، وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان : الحرص على المال، والحرص على العمر" . (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ، حديث رقم ٢٤١٢،ص٤٢١).

ولما كانت هذه جبلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على القناعة فقال : " طوبى لمن هُدي للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع": . (الترمذي، السنن،١٤٢٠هـ، حديث رقم ٢٣٤٩،ص٥٣٧)، وقال عليه الصلاة والسلام في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : " قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنّعه الله بما آتاه " . (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ، حديث رقم ٢٤٢٦،ص٤٢٤)، وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس " . (البخاري، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم ٦٤٤٦،ص١١١٩) .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه : أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " يا رسول الله عظني وأوجز فقال : " إذا قمت في صلاتك، فصل صلاة مودع، ولا تكلّم بكلام تعتذر منه، وأجمع اليأس عما في أيدي الناس " . (ابن ماجة، السنن،١٤٢٠هـ، حديث رقم ٤١٧١،ص٦٠٨)، وقال عوف ابن مالك : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال : ألا تبايعون رسول الله ؟ فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ... فبسطنا أيدينا وقلنا ... فعلام نبايعك ؟ قال : على أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً،

والصلوات الخمس، وتطيعوا (وأسر كلمة خفية) ولا تسألوا الناس شيئاً " فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم، فما يسأل أحداً يناوله إياه " . (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ، حديث رقم ٢٤٠٣،ص٤١٩) .

وقد ذكر الغزالي أن علاج الطمع مركب من ثلاثة أركان : الصبر والعلم والعمل، ومجموع ذلك خمسة أمور :

" الأول : الاقتصاد في المعيشة، والرفق في الإنفاق، فمن أراد القناعة فينبغي أن يسد عن نفسه أبواب الخروج ما أمكنه، ويرد نفسه إلى مالا بد منه .

الثاني: إذا تيسر له في المال ما يكفيه، فلا يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل ويعينه على ذلك قصر الأمل، واليقين بأن رزقه لا بد أن يأتيه، وليعلم أن الشيطان يعده الفقر.

الثالث: أن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء، وما في الطمع والحرص من الذل.

الرابع : أن يكثر تأمله في تنعم أراذل الناس والحمقى الأجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل . ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء وإلى سمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم . ويخيّر عقله بين أن يكون على مشابهة أراذل الناس، أو الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله، حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسير .

الخامس : أن يفهم ما في جمع المال من الخطر، وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع ؛ وما في خلو اليد من الأمن والفراغ، ويتم ذلك بأن ينظر أبداً إلى من دونه في الدنيا، وإلى من فوقه في الدين، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا نظر أحدكم إلى من فُضّل عليه في المال والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فُضّل عليه " . (البخاري، صحيح البخاري،١٤١٩هـ، حديث رقم ٦٤٩٠،ص١١٢٥)" .(احياء علوم الدين، ١٤١٩هـ، جـ٣، ص٣١٥-٣١٨) .

١٠ ـ صفة الجبن

قال تعالى : ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ * لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ (التوبة، ٥٦-٥٧) .

قال ابن كثير في تفسير الآيتين : " يخبر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن جزعهم وفزعهم وفرقهم وهلعهم أنهم " يحلفون بالله إنهم لمنكم " يميناً مؤكدة " وما هم منكم " أي في نفس الأمر " ولكنهم قوم يفرقون " أي فهو الذي حملهم على الحلف " لو يجدون ملجأ " أي حصناً يتحصنون به وحرزاً يتحرزون به " أو مغارات " وهي التي في الجبال " أو مدخلاً" وهو السرب في الأرض والنفق قال ذلك في الثلاثة ابن عباس ومجاهد وقتادة " لولوا إليه وهم يجمحون " أي يسرعون في ذهابهم عنكم لأنهم إنما يخالطونكم كرهاً لا محبة وودوا أنهم لا يخالطونكم ولكن للضرورة أحكام ولهذا لا يزالون في هم وحزن وغم لأن الإسلام وأهله لا يزال في عز ونصر ورفعة، فلهذا كلما سر المسلمون ذلك فهم يودون أن لا يخالطوا المؤمنين ولهذا قال " لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلاً لولوا إليه وهم يجمحون " . (تفسير القرآن العظيم، ١٤١٤هـ، جـ٢، ص٤٧٨) .

وقال تعالى : ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة، ٦٢) .

قال قطب في تفسير الآية : " يحلفون بالله لكم ليرضوكم، على طريقة المنافقين في كل زمان، الذين يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون من وراء الظهور، ثم يجبنون عن المواجهة، ويضعفون عن المصارحة، فيتضاءلون ويتخاذلون للناس ليرضوهم .

فماذا يكون الناس ؟ وماذا تبلغ قوتهم ؟ ولكن الذي لا يؤمن بالله عادة ولا يعنو له، يعنو لإنسان مثله ويخشاه ؛ ولقد كان خيراً أن يعنوا لله الذي يتساوى أمامه الجميع، ولا يذل من يخضع له، إنما يذل من يخضع لعباده، ولا يصغر من يخشاه، إنما يصغر من يعرضون عنه فيخشون من دونه من عباد الله" . (في ظلال القرآن، ١٤٠٦هـ، جـ٣، ص١٦٧١) .

تعريف الجبن لغة :

قال ابن منظور : " الجبان من الرجال : الذي يهاب التقدم على كل شيء، ليلاً كان أو نهاراً ... والجمع : جُبَناء .. وتكرر في الحديث ذكر الجُبْن والجَبان، وهو ضد الشجاعة والشجاع، والأنثى جَبان مثل حصان ورزَان وجَبانة، ونساء جبانات " . (لسان العرب، ١٤٠٨هـ، جـ٢، ص١٧١) .

تعريف الجبن إصطلاحاً :

أن يبالغ الإنسان في الخوف أو يهول في الشيء المخوف" . (أمين، الأخلاق، ١٩٧٤م، ص٢٠٦) .

والجبن آفة خطيرة قعدت بكثير من المسلمين عن أداء دورهم وواجبهم في الحياة، الأمر الذي أدى إلى عواقب وخيمة وآثار خطيرة ليس في حياة المسلمين وحدهم، بل في حياة البشرية القرآنية جميعاً .

الآيات القرآنية التي تحذر من الجبن :

وقد حذر الله عز وجل من الجبن في آيات كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الأنفال، ١٦)، وقوله تعالى : ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ (محمد، ٢٠) .

الأحاديث النبوية التي تحذر من الجبن :

كما استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجبن، فعن أنس رضي الله عنه قال : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم، والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ". (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ، حديث رقم ٦٨٧٣،ص١١٧٦) .

ولم يكن عليه الصلاة والسلام جباناً، قال جبير بن مطعم : بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفلة من حنين فعلقه الناس يسألونه، حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه، فوقف النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العضاة نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً " . (البخاري، صحيح البخاري، ١٤١٩هـ، حديث رقم ٢٨٢١، ص٤٦٧) .

وكان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس، فعن أنس رضي الله عنه قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً – وقد سبقهم إلى الصوت – وهو على فرس لأبي طلحة عُرْي في عنقه السيف، وهو يقول : " لم تراعوا، لم تراعوا " ، قال : " وجدناه بحراً، أو إنه لبحر"، قال: وكان فرساً يبطأ" (البخاري، صحيح البخاري، ١٤١٩هـ، حديث رقم ٢٩٠٨، ص٤٨٠) .

ـ أنواع الخوف :

ويجب أن يفرّق الإنسان بين الخوف المحمود والخوف المذموم أو ما يسمى الجبن.

الخوف المحمود :

فالخوف المحمود يعني : أن تخاف من الخالق بصورة تحجزك عن محارم الله، وتحملك على الطاعة، والتوبة النصوح عند المعصية، وتنفيذ حكم الله، وإن خالف هوى النفس، وكذلك القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستمرار الالتزام بمنهج الله حتى الممات، فهذا الخوف دعا إليه الشارع صراحة، وضمناً، بأسلوب مباشر وغير مباشر. قال تعالى : ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران، ١٧٥)، وقال تعالى : ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (النحل، ٥١). وقال تعالى : ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ (المائدة،٣)، وقال تعالى : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾

(الرحمن، ٤٦)، وقال تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات، ٤٠-٤١)، وقال تعالى : ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ (الإنسان، ١٠) .

الخوف المذموم :

وأما الخوف المذموم (الجبن) : فهو أن تخاف من الناس بصورة تقعدك عن أداء الواجب أو التطاول على الحرمات بغير مشقة ولا إكراه، فهذا الخوف مذموم . قال تعالى : ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ (الأحزاب، ٣٧) ، وقال تعالى : ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة، ١٣)، وقال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه، ٤٦) .

وعلى الإنسان أن يعالج جبنه إن كان جباناً ولا يستسلم للأوهام فإن الأوهام مهلكة . يقول أمين : " الشجاعة والجبن ونحوهما من الفضائل والرذائل تعتمد على الوراثة والتربية معاً، فنحن نرث من آبائنا بذور شجاعتهم أو جبنهم، ولكن يجب ألا ننسى أن للتربية أثراً كبيراً فهي إذا كانت صالحة زادت الشجاع شجاعة وقللت من جبن الجبان، وإذا عولج الجبان علاجاً ناجحاً فقد يبرأ من مرضه . وليس للجبن علاج واحد بل ينبغي أن ينظر إلى سببه ثم يتخذ له العلاج اللائق به، شأن جميع الأدواء، فقد يكون سببه الجهل بالشيء فالعلاج إذاً العلم به. كالذي يرى شبحاً في الظلام فينزعج منه وترتعد فرائصه، فإذا علم أنه حجر أو متاع أنس به وزال خوفه . ومن هذا النوع أكثر ما يخيف في الظلام من عفاريت ونحوه .

ويتصل بهذا عدم الإلف فكثيراً ما يكون سبب الجبن، فالإنسان إذا لم ير الشيء ويألفه يجبن أمامه كالطالب لم يتعود الخطابة، فإن هو حاولها تهدج صوته وجف ريقه وارتعشت أطرافه، ومن لم يتعود غشيان المجالس ومخالطة الناس يخاف منهم ويلجئه الجبن إلى حب العزلة، فإن هو اضطر يوماً إلى الاجتماع بهم علاه الخجل واضطربت

حركاته وزاد ارتباكه، وثقل على الناس وثقلوا عليه، وعلاج هذا الإلف التعود، فلا يزال الرجل يتكلف الخطابة حتى يصير خطيباً والجرأة حتى يصير جريئاً .

ومما يفيد في هذا الباب أن يفرض وقوع النتائج التي تكون إن وقع المكروه ثم يهونها على نفسه، فلو تصور أنه خطب فلم يجد وانتقده السامعون ثم صغر هذه النتيجة وهونها تشجع ولم يجبن، ولو قرر الأطباء، أن تعمل له عملية جراحية فقدر الموت واستصغره قابل العملية بثبات وهكذا .

ومن العلاج أن ينظر إلى نتائج كل من الجبن والشجاعة، فإذا ظهر له أن ما يصل إليه من الخير إذا هو تشجع أكبر مما يصل إليه من الجبن استحثه ذلك على الشجاعة " . (الأخلاق، ١٩٧٤م، ص٢١٠-٢١١) .

فعلى الإنسان أن يتذكر سير الأبطال، وأن يكثر من مطالعة تاريخ حياتهم وشجاعتهم، حتى يحس بقوة تدفعه إلى العمل على مثالهم والسير في طريقهم .

الفصل الرابع

التطبيقات التربوية لصفات المؤمنين في سورة التوبة

التطبيقات التربوية لحفظ حدود الله

١ – ينبغي على الفرد أن يراقب الله عز وجل في سره وعلانيته، وأن يستشعر عظمة الله تعالى فلا يعصيه بل يطيعه في كل ما أمر، وأن يحرص على معرفة أمور دينه حتى يحفظ حدود الله تعالى .

٢ - ينبغي على الوالدين أن يكونا قدوة لأولادهما في فعل الأوامر التي أمر بها الإسلام واجتناب النواهي التي نهى عنها الإسلام، كما ينبغي أن يعلما أولادهما أهمية حفظ حدود الله وذلك بتنفيذ ما أمر به الله عز وجل وترك ما نهى عنه وزجر، وأن يراقبا سلوكيات الأولاد ويتعاهدا كل واحد منهم بالتوجيه والنصح والمتابعة وتطبيق مبدأ الثواب والعقاب بالأساليب التربوية التي أرشد إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣ - ينبغي على مديري المدارس والمعلمين في المدارس أن يتقوا الله عز وجل وأن يحفظوا حدوده، وأن يعلموا التلاميذ معنى حفظ حدود الله وثواب من فعل ذلك، كما عليهم أن يعلموا تلاميذهم عقوبة من ضيع حدود الله . كما ينبغي أن تكون المناهج الدراسية متضمنة لموضوعات تحث على حفظ حدود الله تعالى .

٤ - ينبغي على المجتمع أن يحفظ حدود الله تعالى بمعنى : التشريعات التي شرعها الله للعباد من الحلال والحرام، وسميت حدوداً لأنها فصلت وميزت بين ما يجوز وما لايجوز ؛ فيجدر بالعلماء أن يبينوا للناس الحلال والحرام، وما يجوز ومالا يجوز. كما يجدر بوسائل الإعلام والمنتديات الأدبية أن تبين للناس أمور دينهم من خلال المحاضرات والندوات والمواعظ التي يُدعى إليها أهل العلم .

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق حفظ حدود الله

أولاً: تهذيب سلوك الفرد :

مما لاشك فيه أن الفرد المسلم إذا حفظ حدود الله عز وجل وذلك باتباع أوامره واجتناب نواهيه فإن سلوكه يكون مهذباً ؛ فهو لا يكذب ولا يخون ولا يغش ولا يظلم ولاينتهك حرمات الله بل يصدق ويوفي مع الآخرين ويساعد من يحتاج المساعدة من إخوانه المسلمين ويدفع الضر عن المتضررين بما يستطيع، ويكون بسلوكه قدوة للآخرين.

ثانياً : حصول الأمن الاجتماعي :

إن الفرد المسلم في مجتمع يحفظ حدود الله تعالى، يأمن على نفسه وفكره وعرضه وماله في مجتمعه من كل أنواع الأذى أو الخوف، لأن الحياة في الإسلام مصونة فلا يجوز التعرض لها بأي أذى سواء كان تعدياً عليها بالقتل أو الجرح أو الإيذاء المعنوي كالشتم أو السب أو تدنيس الكرامة، أو الطعن في خلقه أو التعرض له بالضرب أو التخويف أو الحبس بدون سبب أو ما إلى ذلك .

ثالثاً: تحقيق المجتمع للعمل المثمر النافع :

لا شك أن المجتمع الحافظ لحدود الله ينطلق أفراده نحو الأعمال المثمرة النافعة، ويحشدون طاقاتهم وإمكاناتهم لبناء مستقبل أمتهم، وتحقيق النصر على الأعداء . يقول الذهبي : " وتستطيع أن تتصور ما يعود على مجتمع أغناه تطبيق حدود الله عن هذه الحشود الحاشدة العلنية والمستورة، بحيث تعود إلى مكانها من الحياة عاملة منتجة، بدل أن تحيا على مقاسمة المجتمع نتاج عرقه وهي لا تزيد فيما تؤديه عن كونها رقيباً يحصي عليه أنفاس الحياة، ولو لم يتعرض لها بشكل مباشر، ولو اصطنع في أداء واجبه كل ضمانات الأمانة وعدم اتهام الأبرياء " . (أثر إقامة الحدود،١٤٠٨هـ،ص١٢٧).

التطبيقات التربوية لطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

١) ينبغي على الفرد أن يكون مطيعاً لله تعالى فيما أمر به سبحانه، ويجتنب ما نهى الله عنه وزجر، وأن يكون مطيعاً لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فيما أمر به عليه الصلاة والسلام بحسب الوسع والطاقة، ويجتنب ما نهى عنه عليه السلام .

٢) ينبغي على الأسرة ممثلة في الوالدين والأولاد أن يتواصوا جميعاً بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأن يذكر بعضهم بعضاً بالطاعة والبعد عن معصية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأن يعين بعضهم بعضاً على عدم الخروج عمّا أمر به سبحانه ورسوله عليه الصلاة والسلام .

٣) ينبغي على المدرسة ممثلة في مديرها ومعلميها أن يطيعوا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وألا يقدموا قول أحد مهما كان على قول الله عز وجل وقول رسوله صلى الله عليه وسلم ، كما ينبغي عليهم أن يبينوا لتلاميذهم الآثار الإيجابية لطاعة الله ورسوله، والآثار السلبية لمعصية الله ورسوله . وأن يستخدموا أسلوب القصص القرآني مع التلاميذ ؛ وذلك بسرد قصص الأمم التي عصت الله عز وجل فذاقت وبال أمرها . وقصص الأمم المطيعة التي تلذذت بطاعة الله وسعدت بتنفيذ أوامره . كما ينبغي أن تكون المناهج الدراسية متضمنة لموضوعات تحث على طاعة الله ورسوله عليه الصلاة والسلام وتحذر من معصيتهما .

٤) ينبغي على المجتمع أن يكون مطيعاً لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. ويجدر بالعلماء وأئمة المساجد والدعاة والوعاظ أن يكثفوا من جهودهم من أجل أن يظل المجتمع ملتزماً بأوامر الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام منتهياً عن نواهيهما. كما ينبغي على وسائل الإعلام أن تؤدي دورها من خلال استضافة العلماء لتبصير الناس على الدوام بأمور دينهم . وينبغي على الأندية الأدبية والرياضية كذلك أن تقيم الندوات والمحاضرات لحث الناس على الطاعات وبيان ثمارها الإيجابية، وتحذير الناس من المعاصي وبيان عواقبها الوخيمة .

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

أولاً : السعادة في الدنيا والآخرة :

إذا أطاع المؤمن ربه عز وجل وأطاع رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه يسعد في الدنيا بحصوله على الهداية . قال تعالى : ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (النور، ٥٤) . وكذلك يسعد في الأخرة بدخول الجنة ومرافقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . قال تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء، ٦٩) . وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (النور، ٥٢) .

ثانياً: ترك العادات الجاهلية والأمور المستقبحة :

فلقد تخلى الصحابة (رضوان الله عليهم أجمعين) عن عاداتهم الجاهلية، وعن كل ما ألفوه وتطبعوا عليه بمجرد دخولهم في الإسلام، لأنهم فهموا معنى الإسلام، وميزوا بين أحكامه وبين ما اعتادوا عليه، وامتازوا بسرعة الاستجابة والطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم دون تردد أو تذمر .

التطبيقات التربوية لطلب العلم

١) ينبغي على الفرد أن يقبل على طلب العلم طالباً مرضاة ربه عز وجل والأجر والثواب لمعرفة أمور دينه ودنياه وليعلم أن طلب العلم فريضة على كل مسلم .

٢) ينبغي على الأسرة أن تهتم بتعليم أبنائها وتحرص على ذلك، وعلى الوالدين أن يستخدما الأساليب المناسبة وأن يبذلا ما في وسعهما للتحقق من ذلك .

٣) ينبغي على المدرسة أن تولى هذا الجانب اهتماماً كبيراً، فهي لم توجد إلا من أجله، فعليها أن تهتم بهذا الجانب في مناهجها التي يفترض أن تتضمن ما يجلب الشخص للعلم وتعلمه وذلك بوضع بعض الآيات والأحاديث وأقوال السلف وآثارهم وأقوال العلماء المسلمين والتي تحبب المتعلم في طلب العلم وتدفعه إلى طلبه واحترام أهله. بالإضافة إلى النشاط الهادف والجذاب. يقول سرحان : " المدرسة هي المؤسسة المتخصصة التي أنشأها المجتمع لتربية وتعليم صغاره نيابة عن الكبار الذين منعتهم مشاغل الحياة وحالت دون تفرغهم للقيام بتربية صغارهم . ذلك بالإضافة إلى تطور الحياة وتعقيدها نتيجة تراكم الخبرة البشرية والتراث الثقافي، قد حال دون إلمام الكبار به والتعرف عليه، مما استلزم وجود المتخصصين في مجالات العلم والمعرفة. إن ذلك هو دور المدرسة بأجهزتها المتخصصة". (في اجتماعات التربية، ١٩٨١م، ص ١٩٥-١٩٦) .

٤) ينبغي على المدرسة أن تختار المعلمين الأكفاء الذين يقومون بتأدية الرسالة خير أداء وعلى أكمل وجه والذين يجمعون صفات المعلم الناجح المخلص من محبة لتلاميذهم وصبر عليهم ورحمة بهم وقدوة لهم والذين يتدرجون بهم في أثناء تعليمهم من السهل إلى الصعب ومن الجزئيات إلى الكليات، ومن المبهم إلى الواضح وأن يكونوا على قدر من الثقافة العقلية والأخلاقية والروحية، جاعلين نصب أعينهم الأمانة التي أوكلت إليهم والرعية التي استرعوها والعلم الذي سيسألون عنه . يقول

الأبراشي في تأكيد الحاجة للمعلم لأنه : " يجلو أفكار الناشئين والشباب ويوقظ مشاعرهم، ويحيي عقولهم، ويرقي إدراكهم، إنه يسلحهم بالحق أمام الباطل، وبالفضيلة ليقتلوا الرذيلة، وبالعلم ليفتكوا بالجهل، إنه يشعل المصباح المنطفئ، ويضيئ الطريق المظلم، وينبت الأرض الموات، ويثمر الشجر العقيم " (روح التربية والتعليم، ١٣٦٩هـ، ص١٦٥) .

٤) ينبغي على المجتمع أن يكون مشجعاً للعلم، مفتخراً بالعلماء محتفلاً بهم، مزيلاً كل عقبة معترضة في طريقهم . فينبغي على الدعاة والخطباء أن يبينوا فضل العلم ومكانة العلماء، وعلى الإعلام دور كبير في إبراز أهمية العلم والدعوة إلى التعليم، وعلى المنتديات الأدبية والمراكز الصيفية والمعسكرات الشبابية .

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق طلب العلم

أولاً: الرفعة والعزة للعلماء :

لقد أعز الله العلماء ورفع مكانتهم وأعلى شأنهم لأنهم أكثر معرفة به وأكثر خشية له. قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر، ٢٨) . فما يخشى الله حق الخشية إلا من عرفه جد المعرفة وتجلت له قدرة الله وعظمته في خلق الكون والحياة وهذا طبع تفرد به العالم عن غيره فما كان جزاؤه عند ربه إلا أن رفع مكانته وأعلى شأنه . قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة، ١١) . والعلم هو السبيل إلى أن يتبوأ الإنسان مكانة عالية في مجتمعه، فيعلو صيته، وتكبر قيمته، ويبقى ذكره سامياً عالياً. يقول العسكري : " فإذا كنت ترغب سمو القدر، ونباهة الذكر، وارتفاع المنزلة بين الخلق، وتلتمس عزاً لا تثلمه الليالي والأيام، ولا تخفيه الدهور والأعوام، وهبة بغير سلطان، وغنى بلا مال، ومنعة بغير سلاح، وعلاء من غير عشيرة، وأعواناً بغير أجر، وجنداً بلا ديوان وفرض، فعليك بالعلم فاطلبه في مظانه تأتك المنافع عفواً وتلق ما يعتمد منها صفواً، واجتهد في تحصيله ليالي قلائل ثم تذوق حلاوة الكرامة مد عمرك، وتمتع بلذة الشرف فيه بقية أيامك واستبق لنفسك الذكر بعد وفاتك " . (الحث على طلب العلم، ١٤٠٦هـ، ص٤٣) .

ثانياً: التحلي بمكارم الأخلاق :

من المعلوم أن من تحلى بالعلم فتغلغل حبه في قلبه وسرى في نفسه، فلا شك في فرضية الأخلاق الحميدة والصفات الحسنة فهو قدوة لغيره يمتثل لأوامر الله حتى لا يأمر بالبر وينسى نفسه، ولا ينهى عن خلق ويأتي مثله فيتخلق بأخلاق العلماء من حكمة وعفة وحياء وصبر وتواضع، وما صبر موسى عليه السلام وتعلمه من العبد الصالح في سورة الكهف إلا دليل على هذه الأخلاق العالية والصفات النبيلة وكذلك ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم ومن سار على نهجهم .

التطبيقات التربوية للعبادة

١) ينبغي على الفرد أن يعبد الله حق عبادته ملتزماً بما جاء في الكتاب والسنة، وأن يحذر من الوقوع في البدع والأهواء والمخالفات الشرعية ؛ فالإسلام أوضح لنا العبادات بالتفصيل ولا مجال للابتداع في دين الله . يقول القرضاوي : " والعبادات الإسلامية – أعني الشعائر التي يتعبد بها لله تعالى – عبادات ربانية . فالوحي الإلهي هو الذي رسم صورها، وحدد أشكالها، وأركانها وشروطها، وعين زمانها فيما يشترط فيه الزمان، ومكانها فيما يشترط فيه المكان . ولم يقبل من أحد من الناس - مهما كان مجتهداً في الدين، ومهما علا كعبه في العلم والتقوى – أن يبتكر صوراً، وهيئات من عنده للتقرب إلى الله تعالى، فإن هذا افتئات على صاحب الحق الأوحد في ذلك، وهو الله تعالى صاحب الخلق والأمر. ومن فعل شيئاً من ذلك فقد شرع في الدين ما لم يأذن به الله، وعد عمله بدعة وضلالة، ورد عليه عمله، كما يرد الصيرفي النقاد العملة الزائفة . فقد جاء الإسلام في مجال العبادة بأصلين كبيرين، لا يتساهل في واحد منها قيد شعرة :

الأول : ألا يعبد إلا الله – فلا عبادة لأحد سواه، ولا لشيء سواه، كائناً ما كان، في الأرض أو في السماء . عاقلاً أو غير عاقل . وهذا ما تقتضيه ربانية الغاية والوجهة.

والثاني : ألا يعبد الله إلا بما شرعه . وما شرعه إنما يعرف بواسطة رسله المبلغين عنه. وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، الذي نسخ شرعه كل شرع قبله، والذي كتب الله له الخلود، وتكفل بحفظه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وما عدا ذلك فهو أهواء وبدع مرفوضة ، وإن دفع إليها حسن النية، وشدة الرغبة في زيادة التقرب إلى الله جل شأنه . ولكن النية الصالحة وحدها لا تعطي العمل صفة القبول ما لم تكن صورته مشروعة بالنص الثابت . فالعمل المقبول له ركنان : أن يكون خالصاً لله، وأن يكون على سنة رسول الله". (الخصائص العامة للإسلام، ١٤٠٩هـ،ص ٤١-٤٢).

٢) ينبغي على الأسرة ممثلة في الوالدين أن يكونا قدوة لأولادهما في تحقيق العبادة الصحيحة، وأن يحثا أولادهما على عبادة الله باخلاص، وأن يقدما الحوافز لمن يجتهد من الأولاد في الصلاة أو الصيام أو أعمال البر أو قراءة القرآن أو نحو ذلك، فإن هذه الحوافز تدفع الأولاد الإجتهاد في عبادة الله تعالى ومحبته .

٣) ينبغي على المدرسة ممثلة في مديرها ومعلميها أن يحققوا العبادة لله تعالى مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقتدي بهم الناس ويقتدي بهم تلاميذهم، كما ينبغي أن يبينوا للطلاب شروط العبادة الصحيحة، ومجالات العبادة، وسيرة السلف الصالح الذين لم يفتروا عن عبادة الله والتقرب منه سبحانه . كما ينبغي أن تكون المناهج الدراسية متضمنة لموضوعات تحث على العبادة .

٤) ينبغي على المجتمع ممثلاً في العلماء والدعاة والخطباء أن يكونوا قدوة للناس في مجال العبادة كما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، وأن يتعاهدوا الناس بالموعظة والتذكير . كما أن وسائل الإعلام لها دور كبير في حث الناس على عبادة الله وحده لا شريك له . وينبغي على الأندية الأدبية والرياضية أن تضطلع بدورها في إقامة المحاضرات والندوات التي تدعو إلى السنة وتحذر من البدعة حتى يعبد الناس ربهم على بصيرة .

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق العبادة

أولاً: إشباع الشعور الفطري بالحاجة إلى العبادة لدى الإنسان :

الإنسان مخلوق من جملة مخلوقات الله، التي خضعت وانقادت واستسلمت طوعاً أو كرهاً، فقد فطرت جميع المخلوقات على الطاعة والانقياد للقوة العليا : ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (آل عمران، ٨٣)، وقال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (النحل،٤٩) ، وقال أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ...﴾ (الحج، ١٨) . فجميع الخلائق تعبد ربها عز وجل، مع أنها غير عاقلة كالبشر، لكنها تعبده بلغتها التي خلقها الله تعالى فيها، قال تعالى : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (الإسراء، ٤٤)، وقال أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (النور، ٤١) ، فإذا كانت جميع المخلوقات عابدة لله أفلا يجدر بالإنسان – هذا المخلوق العاقل – أن يكون أكثر عبادة لله تعالى، وأكثر معرفة به، وتقرباً إليه، خاصة وقد رتب الله تعالى للمؤمن جزاء عظيماً لقاء عمله الصالح وعبادته الخالصة له .

فإن كان الإنسان سوى الفطرة، سليم الفكر، طيب النية، فلا شك أنه يهتدي إلى عبادة ربه الحق، أما إذا شذ في الفطرة والنية، توجه بعبادته إلى غير خالقه، لاشباع شعوره الفطري بالحاجة إلى الخضوع لسلطة عليا.

ثانياً: العبادة الصحيحة المتوازنة تجعل المؤمن يعيش حياة سوية متوازنة :

يعيش المؤمن العابد لله عبادة صحيحة متوازنة بين خوف ورجاء، ويدعو ربه رغبة ورهبة دون أن يطغى جانب على آخر، فلو طغى جانب الخوف أدى به ذلك إلى القنوط من

رحمة الله، والله تعالى يقول : ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف، ٨٧) . وإن تغلب جانب الرجاء تمادى في العصيان، ومنّى نفسه على الله الأماني، وقد جاء في الحديث عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني " (الترمذي، السنن، ١٤٢٠هـ، حديث رقم ٢٤٥٩، ص٥٦٠). ولذا فإنه يلاحظ في كتاب الله تعالى هذا التوازن، وهو يربي المؤمنين عليه، ليبقى المؤمن بين خوف ورجاء . قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ (الحجر، ٤٩-٥٠) ، وقال أيضاً: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (غافر، ٣)، وقال تعالى يصف المؤمنين أصحاب العبادة السوية المتوازنة: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (السجدة، ١٦)، وفي آية أخرى يقول تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء، ٩٠)، ويقول تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (الاسراء، ٥٧) . فالمؤمن في عبادته الصحيحة المتوازنة يعيش حياة سوية متوازنة.

ثالثاً: العبادة تجعل المسلم في سعادة غامرة :

يعيش المؤمن مع عبادة ربه في جو روحاني مفعم بالإيمان، فيشعر بحلاوته التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار" (البخاري، صحيح البخاري، ١٤١٩هـ، حديث رقم ١٦، ص٦) . يقول ابن القيم : " إنه لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها، وفاطرها، فهو إلهها ومعبودها ووليها ومولاها وربها ومدبرها ورازقها ومميتها ومحييها، فمحبته سبحانه نعيم النفوس، وحياة الأرواح، وقوت القلوب، ونور العقول، وقرة العيون، وعمارة

الباطن .. فليس عند القلوب السليمة والأرواح الطيبة والعقول الزكية أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا أسر ولا أنعم من محبته والأنس به والشوق إلى لقائه، والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصل له بذلك أتم من كل نعيم، واللذة التي تناله أعلى من كل لذة" . (إغاثة اللهفان، د.ت، جـ٢، ص١٩٧) .

وبهذا يتبين أن الذي يذوق طعم الإيمان، وتزهو في قلبه مصابيح اليقين، لا ينظر إلى العبادة على أنها مجرد خضوع أو تنفيذ أوامر فحسب ؛ إنه يجد فيها تلذذاً بمناجاة الله وطاعته، والسعي في مرضاته، ويجد فيها سعادة لا تدانيها سعادة أصحاب القصور والأموال، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينتظر فريضة الصلاة انتظار الظمآن إلى شربة الماء العذب، ويقول لبلال رضي الله عنه إذا حان وقتها : " يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها" (أبو داود، السنن، ١٤٢٠هـ، حديث رقم ٤٩٨٥، ص٧٠٢).

ويقول عليه الصلاة والسلام : " .. وجعلت قرة عين في الصلاة " (النسائي، السنن، ١٤٢٠هـ، حديث رقم ٣٣٩٢، ص٤٦٩).

رابعاً: العبادة تربي في المؤمن الوعي الدائم :

ذلك لأن المؤمن يفكر في كل عمل يقوم به، فيزنه بميزان الشرع، بما يرضي الله تعالى، وإلا فستصبح أعماله وبالاً عليه، فجميع أعماله وعلاقاته يجب أن تقاس بمقياس الحلال والحرام، فلا يقدم على عمل قبل أن يفكر فيه، في حكمه وهدفه . وهكذا تربي العبادة إنساناً واعياً يفكر باستمرار . يفكر في ملكوت السماوات والأرض ليناجي ربه ويعبده من خلال هذا التفكير، ويفكر في حياته وسلوكه ومصيره ليربط كل أعماله بهذا المصير، ويقيسها بمقياس الشرع الذي أمر الله أن يتبعه، وهذا الاتباع من أعظم مظاهر العبادة لله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا

سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران، ١٩٠-١٩١) (النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ١٤٠٨هـ، ص٤٤) .

خامساً: العبادة تربي المؤمن على الارتباط الدائم بالجماعة :

فمعظم العبادات الراتبة تقام في جماعة منتظمة ومنظمة ومتحابة، لها هدف واحد وتصورات واحدة، فهم في صلاة الجماعة والجمعة والعيدين يقفون على صعيد واحد، ويتجهون إلى قبلة واحدة، ويتحركون بحركات الإمام حركات منظمة، وفي الصوم يمسكون عن الطعام في وقت واحد، ويتحلقون على موائد الإفطار في وقت واحد، وتزداد النفوس صفاءً ونقاءً وهم يصلّون القيام ويحيون لياليه في تهجد ودعاء، وهكذا الحج ... فالعبادة تربي المؤمن على الارتباط الوثيق بالجماعة المسلمة حيثما كان، ومهما كانت الظروف . (النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ١٤٠٨هـ، ص٤٥) .

التطبيقات التربوية للتوبة

١) ينبغي على الفرد أن يعلم أنه خطاء وأن الله غفور رحيم، يقبل التوبة عن عباده، وأنه كلما أخطأ أو ارتكب ذنباً عاد إلى الله في لحظته واستغفر وأناب وأنه مهما عظم الذنب فإن الله غافره، وخاصة إذا أقبل بقلب صادق، عازماً على عدم العودة، متيقناً من قبول توبته من ربه عز وجل، وعليه أن يطرد اليأس والقنوط من رحمة الله من قلبه .

٢) كما ينبغي على الأسرة أن تربي أبناءها على التوبة والإنابة في كل لحظة، وعلى الوالدين إذا أخطأ أحد أبنائهما واعتذر إليهما أن يقبلا عذره ويعفوا عن زلته لأنه اعترف بذنبه، كما عليهما تربية الأبناء على كرم الله عز وجل وأنه يمحو الخطايا ويزيل العثرات مهما عظمت .

٣) كما ينبغي على المدرسة أن تهتم بهذا الأمر العظيم في مناهجها معرفة بفضل الله سبحانه على عباده ومبينة حقيقة الإنسان، وعلى المعلم أن يهتم به وأن يربي تلاميذه على التعود على التوبة ومدى فرحة الله بها وعليه أن يرغبهم في ذلك ويحذرهم من التمادي في المعاصي .

٤) كما ينبغي على المجتمع الاهتمام بهذا الأمر العظيم ومحاولة إبراز أهميته وتربية الناس عليه، وذلك من خلال المسجد بخطبه ومواعظه والإعلام والأندية الأدبية والرياضية .

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق التوبة

أولاً: إصلاح النفس :

إن الإنسان إذا تاب إلى الله سبحانه وتعالى توبة نصوحاً بدلت حالته من الأسوأ إلى الأفضل، وبذلك تقبل نفسه على فعل الطاعات والأعمال الصالحة وتعرض عن كل عمل سوء. يقول ابن القيم : " التوبة المقبولة الصحيحة لها علامات منها : أن يكون بعد التوبة خيراً مما كان قبلها . ومنها أنه لا يزال الخوف مصاحباً له لا يأمن من مكر الله طرفة عين. ومنها انخلاع قلبه، وتقطعه ندماً وخوفاً" . (التوبة، ١٤١٠هـ، ص١٣) . ويقول الطحان:" إن التوبة التي يقبلها الله تعالى من العبد هي التوبة التي تبدل حال العبد من فساد إلى صلاح، وتغير أموره من اعوجاج إلى استقامة، وأفعاله من انحراف إلى قصد واعتدال" . (زاد الدعاة، ١٤١١هـ، جـ٢، ص١٧).

ثانياً: تكثير الأموال والأولاد :

إن التوبة إلى الله تعالى من أهم أسباب تكثير الأموال والأولاد، كما أن الذنوب والمعاصي من أهم أسباب القحط وعدم نزول الأمطار ومن أهم أسباب نزول العقاب من الله تعالى، ولذلك قال تعالى : ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ (هود، ٣) .

يقول الشوكاني : " أصل الإمتاع : الإطالة . ومنه أمتع الله بك . فمعنى الآية : بطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من سعة الرزق ورغد العيش إلى وقت مقدر عند الله وهو الموت . وقيل القيامة. وقيل دخول الجنة والأول أولى " . (فتح القدير، ١٣٨٣هـ، جـ٢،ص٤٨١). وقوله تعالى : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح، ١٠-١٢) .

ثالثاً: إنها سبب في شفاء كثير من الأمراض:

عندما يصيب الإنسان ذنباً فإنه يبقى في حالة من القلق ولا يعرف الهدوء والراحة إلا إذا تاب وأناب وعاد إلى ربه واستغفر ولقد عاش كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أياماً عصيبة قلقة لا يعرفون طعماً للراحة حتى منَّ الله عليهم بالتوبة فعادوا مثلما كانوا بل أحسن مما كانوا وهذا دليل واضح وبرهان ساطع على ما للتوبة من أثر نفسي فعال وهذا ما أثبته علماء النفس والطب النفسي. يقول النحلاوي: " وقد ثبت لدى علماء النفس والطب النفسي أو الصحة النفسية، أن التوبة تشفي من كثير من الأزمات والأمراض النفسية، لأنها تعين على إعادة تكيف الإنسان مع نفسه، ومع مبادئه ومثله الأعلى، ومع مجتمعه القائم على المثل الأعلى، الذي هو عبادة الله في النظام الإسلامي، ومراقبته، كما أنها تربي المجتمع على التسامح بين أفراده ". (أصول التربية الإسلامية، ١٤٠٣هـ، ص٦٠).

رابعاً: دخول الجنة وتكفير السيئات:

إن المذنب إذا تاب إلى الله توبة نصوحاً فإن الله يبدل سيئاته حسنات ويدخله جنته. كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (مريم، ٦٠)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ (التحريم، ٨).

وحين يعلم المسلم العاصي لربه أن التوبة تمحو الذنوب وتبدل السيئات إلى حسنات فإن ذلك يؤثر في سلوكه ويدفعه إلى تغيير ذلك السلوك الخاطئ إلى الأفضل والأحسن، والعمل بما يرضي ربه حتى يغفر له ذنوبه ومعاصيه التي اقترفتها نفسه الأمارة بالسوء.

التطبيقات التربوية للطهارة

١) ينبغي على الفرد المسلم أن يكون طاهراً ونظيفاً في باطنه وظاهره، حيث يكون طاهراً من المعاصي والذنوب، ونظيفاً في ملبسه ومأكله ومشربه ومسكنه، ويتجنب كل ما يؤذي الناس من الروائح الكريهة من شرب تبغ أو أكل بصل أو ثوم بل كل ما يؤذي المصلين في المسجد، ويحافظ على صحته وذلك بالاهتمام بمظهره وتنظيف مسكنه وشارعه، ويستعمل السواك من أجل إرضاء ربه، والمحافظة على نظافة أسنانه، ويحافظ على المرافق العامة من كل ما يؤدي إلى تلوثها وعدم الاستفادة منها.

٢) كما ينبغي على الأسرة المسلمة أن تحافظ على طهارتها ونظافتها، وتكون قدوة لأولادها في المحافظة على الطهارة والنظافة، حيث يكون الأب قدوة لأولاده في محافظته على نظافة ملابسه وسيارته وعدم رمي المناديل أو الأوراق في الشارع. والأم تكون قدوة لأولادها في محافظتها على نظافة بيتها وأمتعتها وملابسها . والأسرة المسلمة تراقب سلوك أبنائها في محافظتهم على النظافة وغسل اليد قبل الأكل وبعده، ومدى محافظتهم على نظافة أسنانهم . وكذلك تراقب سلوك أولادها عند خروجهم إلى المتنزهات العامة ومدى محافظتهم على نظافتها .

٣) كما ينبغي على المدرسة ممثلة في مناهجها ومعلميها أن تغرس وتنمي الطهارة في نفوس التلاميذ، حيث تكون مناهجها متضمنة موضوعات عن الطهارة وما ورد في الحث عليها من الآيات والأحاديث الصحيحة، والمعلم فيها يكون قدوة لتلاميذه في محافظته على نظافة ملابسه ومظهره بشكل عام، ويحث التلاميذ على الاتصاف بالنظافة بكل الأساليب المتاحة من موعظة وعبرة وقصة وضرب المثل وغير ذلك من أجل إحساس التلاميذ بأهمية النظافة، كي يشعر التلاميذ بأهمية المرافق العامة مثل المساجد والمدارس والمتنزهات والطرق وغير ذلك ومدى الفائدة منها، وكيفية

المحافظة على نظافتها، والمعلم أيضاً يستخدم الإذاعة المدرسية والأنشطة المختلفة في حث التلاميذ على الطهارة والنظافة، وإقامة بعض الندوات والمحاضرات مع بعض العلماء والأطباء لتعريف التلاميذ أهمية وفوائد النظافة الصحية وخطورة الإهمال وأثره الاجتماعي .

٤) كما ينبغي على المجتمع أن يغرس الطهارة في نفوس الناشئة عبر وسائله المختلفة، حيث يقوم أئمة المساجد والدعاة بتوعية الناس بأهمية النظافة، وتحذير الناس من الروائح الكريهة وخاصة عند دخول المساجد، وتقوم وسائل الإعلام بكل أنواعها بتوعية المواطنين بأهمية النظافة وكيفية المحافظة على المرافق العامة . وذلك عبر المقالات والموضوعات والندوات والمحاضرات . والأندية الأدبية والرياضية تغرس الطهارة في نفوس مرتاديها، حيث تكون هذه الأندية قدوة في النظافة في جميع مرافقها العامة والخاصة، وتحث مرتاديها على أهمية الطهارة والنظافة وذلك من خلال الندوات والمحاضرات التي تنعقد فيها .

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الطهارة

أولاً: علو المكانة وزيادة الاحترام :

إن المسلم إذا كان متصفاً بالطهارة والنظافة طيب الرائحة عند الناس وكان محترماً ومقدراً، وكان إذا جلس بين الناس كأنه شامة بينهم، بعكس من لم يحافظ على نظافته فإنه لا يجد احتراماً ولا تقديراً ولا محبة من الآخرين . يقول الكمالي " الإنسان إذا كان نظيف البدن والثياب، يكون أهلاً لحضور كل مجتمع وجديراً بلقاء كل إنسان، ويرى نفسه حرياً بكل كرامة" . (المواعظ السنية، د . ت ، ص٧٨) .

ثانياً: السلامة من الأمراض :

إن المسلم إذا حافظ على نظافة جسمه حيث يغسل يديه قبل الأكل وبعده، ويستحم ولو مرة في الأسبوع، ويحافظ على نظافة مطعمه ومشربه بحيث لا يعرض أمتعته للأتربة والجراثيم ويتمسك بآداب الإسلام عند قضاء حاجته، ويحافظ على نظافة المرافق العامة، فإنه بإذن الله تعالى سوف يسلم من جميع الأمراض ويقضي على انتشارها . يقول الغزالي: " حارب الاسلام المرض ووضع العوائق أمام جراثيمه حتى لا تنتشر، فينتشر معها الضعف والتراخي والتشاؤم وتستنزف فيها قوى البلاد والشعوب، وقد وفر الإسلام أسباب الوقاية بما شرع من قواعد النظافة الدائمة " . (خلق المسلم، ١٤٠٦هـ، ص٢٦٥) .

كما أن المسلم إذا حافظ على السواك فإنه يقضي على كثير من أنواع أمراض اللثة والأسنان . يقول الشهري عن فوائد السواك : " إنه يشد اللثة، ويجلي الأسنان ويحول دون مرضها، ويمنع الحفر، ويطلق اللسان، ويصفي الصوت، ويشهي الطعام، ويعين على الهضم، ويدر البول – كما قال أهل الطب – ويقطع البلغم، وينظف الفم، ويطيب النكهة، ويرضي الرب تبارك وتعالى، ويبطئ بالشيب، ويزكي الفطنة، وينقي الدماغ، ويضاعف الأجر، ويعجب الملائكة، ويسهل النزع، ويذكر بالشهادة عند الموت، وقد توصل العلماء

إلى أن السواك يحتوي على اثنين وعشرين مادة كيميائية طبية ما بين مطهرة وقابضة ومنظفة " . (الآداب النبوية التربوية، ١٤١١هـ، جـ١، ص٧٣) .

ثالثاً: رضا الله ودخول الجنة :

إن الإنسان إذا أطاع ربه فيما أمره به، فإنه يحصل على رضا الله تعالى، ولا شك أن الطهارة والنظافة مما أمر الله بها، فإذا حافظ المسلم على طهارته حصل على رضا ربه ومحبته، ومن رضي الله عنه وأحبه أدخله الجنة . قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة، ٢٢٢).

التطبيقات التربوية للصلاة

١) يجب على الفرد أن يؤدي الصلاة المفروضة عليه في المساجد والجماعات وأن يحافظ على أدائها وأن يحذر من التهاون فيها وأن يكون قدوة لغيره في أدائها وأن يتأدب بآدابها سواءً كان ذلك داخل المسجد أو خارجه فلا يقتصر على أدائها فقط بل تكون له حصناً ومنعة من الفواحش والآثام، فيتزن في تصرفاته كلها لأن الصلاة توجهه إلى ما يحبه الله ويرضاه وتنهاه عن كل ما يكره الله .

٢) كما يجب على الأسرة أن تأمر أبناءها بالصلاة وأن تضربهم على التخلف عنها ولكل سن معينة، كما ينبغي على الأبوين أن يكونا محافظين على الصلاة مهتمين بها مبينين لأبنائهما فضلها وقيمتها وأنها عمود الإسلام وركنه الأساسي ويرغبانهم فيها ويستعملان معهم الثواب والعقاب، والترغيب والترهيب وضرب المثل .

٣) كما ينبغي على المدرسة أن تكون مدرسة إسلامية قدوة في تطبيقها لهذه الشعيرة العظيمة فتمارس الصلاة بصورة جماعية داخل فنائها، وتعاقب من يتخلف عنها، وأن يكون المعلمون مؤدين للصلاة حتى يراهم التلميذ . يقول قطب : " والمفروض في المدرسة الإسلامية أن تمارس شعائر العبادة بصورة جماعية في وقتها، سواء صلاة الظهر إن كانت المدرسة صباحية أو العصر إن كانت مسائية أو المغرب أو العشاء إن كان ليلية بحيث لا يمر الوقت المكتوب لأداء الفريضة والتلاميذ بعيدون عن أدائها أو مبعدون عنها . والمفروض أن يشترك النظار (والناظرات) والمدرسون (والمدرسات) في أداء هذه الفرائض ليكون جو العبادة شاملاً، وليلتقي التلاميذ ومدرسوهم لقاء العقيدة في الله . فذلك أدنى أن يربط بين قلوبهم، وأن يكون تأثيرهم أفعل في نفوس تلاميذهم، وأدنى أن يؤتي المنهج التربوي ثماره المرجوة" . (منهج التربية الإسلامية، ١٤٠٣هـ، جـ٢، ص١٧٥-١٧٦) .

٤) كما ينبغي على المجتمع أن يعمر مساجد الله وأن يهتم بها وأن يكون مجتمعاً اسلامياً مقيماً للصلاة آمراً بفعلها . ناهياً عن تركها يرغب فيها ويرهب من عقاب تركها، كما ينبغي على الدعاة والخطباء أن يبينوا هذا لعامة الناس وعلى الوالي تنفيذ الحكم على تارك الصلاة، كما ينبغي على الإعلام أن يهتم بهذا المبدأ مبيناً أهميته وداعياً إليه ومرغباً فيه، وعلى الأندية الرياضية والمنتديات الأدبية أن تهتم أيضاً بتطبيق هذه الشعيرة من جلب للمحاضرين وعمل المسابقات وإعطاء الجوائز والحوافز على ذلك .

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الصلاة

أولاً: التدريب على الصبر وتحمل المشاق :

قال تعالى : ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (المعارج، ١٩-٢٣) ، إن الإنسان لا يخلو في هذه الحياة من المكدرات التي تعكر صفوه وتقلقه، وربما ينهار أمام تلك المصائب والنكبات خاصة إذا توالت عليه، لذلك أمر الله عباده بأن يلجؤوا إلى الصلاة، فهي التي تهون على المسلم ما أصابه وتمنحه القوة وربط الجأش قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة، ١٥٣) . يقول مبيض : "مما يخفف وقع المصيبة اللجوء إلى الصلاة لأن الإنسان ضعيف ولا بد له من اللجوء إلى أقوى الأقوياء يستمد منه العون، حيث بذل ما يستطيع من جهد، ولم يقو على رد المصيبة، لذا كان اللجوء إلى الصلاة كوسيلة للاتصال بالله تعالى، يرتفع منها المصاب الممتليء بالهموم إلى الله مزيل الهموم ومفرج الكروب، فيرى في هذه الصلاة الأنس والسلوى " (أخلاق المسلم، ١٤١١هـ، ص١٩١) .

ثانياً: انشراح الصدر وذهاب الهم والحزن :

إن الغضب من الشيطان، ولا يطرد الشيطان إلا الذكر، وإن من أفضل أنواع الذكر الصلاة، فإذا أدى المسلم الصلاة ابتعد عنه الشيطان، فانشرح صدره وظهر نور الصلاة في وجهه، وأصبحت الدنيا أمامه واسعة لا نهاية لها ومن ترك الصلاة وتهاون في تأديتها فإنه يصبح ويمسي وهو في ضيق وهم وحزن ويرى الدنيا وكأنها أضيق من ثقب الإبرة، قال تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام، ١٢٥).

وإنك لترى بعض الناس وكأنه يحمل جبال الدنيا على ظهره وحين تتبع سيرته تجده ممن لا يحافظ على الصلاة أو لا يصلي بالكلية، وهذا أكبر دليل على أثر الصلاة وفضلها. يقول ابن عثيمين : " وإذا حزب الإنسان أمر وضاق عليه فإنه يفزع إلى الصلاة، وذلك لأن

القلب يستنير بالصلاة، فيستنير الوجه وينشرح الصدر، ويجد الإنسان الدنيا أمامه سعة لا نهاية لها " . (دروس في الحرم المكي، ١٤١١هـ، ص٤٨) .

ثالثاً: ضبط المسلم لسلوكه وانفعالاته :

لم تكن الصلاة قاصرة على أداء للشعائر وتنسك في المساجد والصوامع بل قول وعمل ويجب أن يطابق القول العمل . يقول القرضاوي: " ليس المقصود بهذه العبادات - فرضها ونفلها – أن تصل المسلم بخالقه لحظات أدائها فقط ثم ينفرط عقده بعد ذلك، ويخلد إلى الأرض ويتبع هواه كلا، فإن مهمة هذه العبادات أن تغرس في ضمير مؤديها روح التقوى لله جل شأنه . أن تمنحه شحنة روحية تذكره بالله كلما نسي، وتقوي عزمه كلما ضعف، وتنير طريقه كلما انطفأت من حوله المصابيح . لا يرضى الإسلام أن يكون المسلم ربانياً في المسجد يركع ويسجد ويتضرع ويتهلل، فإذا خرج من المسجد. انقلب من رباني إلى حيواني أو شيطاني" . (الخصائص العامة للإسلام، ١٤٠٩هـ،ص٢٥-٢٦).

هكذا يجب أن تكون الصلاة، تطبيق في خارج المسجد لما يفعل في داخل المسجد. قال الله تعالى : ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت، ٤٥) .

رابعاً: المساواة بين المسلمين ومحبة بعضهم بعضاً :

إن المسلمين يؤدون هذه الفريضة خمس مرات في اليوم والليلة جماعة في المسجد، يقف الكبير بجانب الصغير، والغني بجانب الفقير، والأمير بجانب الحقير، والشريف بجانب الوضيع . الكل في صف واحد كأنهم بنيان مرصوص يشد بعضهم بعضاً يتعارفون من خلال الصلاة، ويتفقد حاضرهم غائبهم، وغنيهم فقيرهم، وصحيحهم مريضهم، فهل هناك أفضل من الصلاة ؟ يقول القاضي : " مجتمع المصلين مجتمع الحب يتفقد الغائب، ويحمل الحاضر، ويعين المحتاج، ويسلي المصاب، ويفرج كربة المكروب، وينصح المخطئ، ويتكافل بعضه مع بعض، فيحمل أعباء الجماعة ويسهم في مشروعات الخير، مجتمع كله

حب وود وصفاء ووئام – صورة لما ينبغي أن يكون عليه المجتمع المسلم الكبير في جميع نواحيه " . (أضواء على التربية في الإسلام، ١٤٠٠هـ، ص١٦٥) .

خامساً: رياضة لتقوية الجسم :

إن الذهاب إلى المسجد والعود منه مشياً على الأقدام لمن أفضل أنواع الرياضة التي تقوي الجسم، لذلك تجد أن كثيراً من الأطباء ينصحون بمزاولة رياضة المشي على الأقدام لما يعلمون فيها من فوائد جمة على الجسم، كما أن الركوع والسجود والقيام يولد النشاط والحركة. يقول القرضاوي : " الصلاة تغمس في مقيمها الروح الرياضية، وتقوي عضلات بدنه فهي تتطلب اليقظة المبكرة، والنشاط الذي يستقبل اليوم من قبل طلوع الشمس، وهي بكيفيتها المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه بالتمرينات الرياضية الفنية التي يقوم بها الرياضيون المحدثون، لتقوية الجسم ورياضة أعضائه". (العبادة في الإسلام، ١٤٠٥هـ،ص٢٣٠)

التطبيقات التربوية للزكاة

١) ينبغي على الفرد أن يؤدي زكاة ماله وزكاة صومه للمستحقين وأن يعود نفسه على هذا طالباً في ذلك الأجر من الله عز وجل .

٢) كما ينبغي على الأسرة أن تهتم بهذا الركن العظيم وتزرعه في نفوس أبنائها وتربيهم على ذلك، حيث يصطحب الوالد أبناءه ليروا الفقراء وأهل الحاجة، ويتصدق على هؤلاء الفقراء أمام أبنائه .

٣) كما ينبغي على المدرسة أن تبين أهمية هذا الركن العظيم وعظمته وما فيه من خير ومحبة للمسلمين وما فيه من زيادة ونماء للمال وتعويد على العطاء والانفاق وأن هذا هو مبدأ المسلم وذلك أن تضمن ذلك في مناهجها مع ضرب أمثلة لبعض القصص التي تزيد من تعلق التلاميذ بهذا الركن، وقد يكون ذلك بأن تقام جمعيات في المدرسة تسمى جمعيات الزكاة تهتم بشؤون التلاميذ الفقراء في المدرسة، بالإضافة إلى الاستفادة من ذلك من خلال تمثيل عملية الزكاة بين مجموعة من التلاميذ يبين فيها مكانة الزكاة ومدى الحاجة لها .

٤) كما ينبغي على المجتمع التواصي بالحق ومنه إخراج الزكاة وإيصالها إلى مستحقيها والاهتمام بالفقراء والمعوزين وتعميق الصلات بهم كما ينبغي على الإعلام إبراز أهمية هذا الركن ومدى حاجة المسلمين إليه، كما ينبغي على المنتديات الأدبية إبراز هذا الركن وبيان أهميته وآثاره، بالإضافة إلى ما ينبغي على الدعاة والخطباء وأهل العلم في بيان أهمية هذا الركن وحاجة المجتمع إليه .

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الزكاة

أولاً: التكافل الاجتماعي :

انطلاقاً من حرص المسلم على مصلحة أخيه، وعملاً بما أمرت به شريعة السماء من توادٍ وتراحم بين المؤمنين، تسهم الزكاة اسهاماً فعالة ومؤثرة في هذا التكافل العظيم. يقول الربيعة : " نرى أن الإسلام يحرص دائماً على اتاحة الفرص التي تحقق سعادة الفرد، وتجلب له الراحة، وتهيئ له أن يمارس الوظائف التي ألقاها الله على عاتقه، وحمّله إياها وفرضها عليه وذلك بما يهيئه من أسباب لضمان الكفاية المعيشية، وما يشرعه من وسائل لإيجاد تكافل اجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم، يدفع به الفرد عوزه، ويسد به حاجته، ويلبي به متطلبات بدنه، فينتهي إلى الاستعلاء عن ضرورات الجسد، والحفاظ على ما خصه الله به من تكريم والاتجاه إلى تحقيق منهج الله في أرضه" . (صور من سماحة الإسلام، ١٤٠٧هـ، ص٥٣).

والتكافل صفة عظيمة وسمة جميلة بتطبيقها يقف المجتمع صفاً واحداً في وجه كل نكبة وأمام كل مصيبة. يقول حسنين : " فالزكاة ضرورية لإيجاد التكافل الاجتماعي وتحصين المجتمع من الفقر والنكبات، وفرض الزكاة على الإنسان المسلم القادر على أدائها فيه خير له، لأنها تربطه بمجتمعه، وتقيم علاقاته بإخوانه على أساس من الحب والتعاطف، بدلاً من التباغض والتحاسد، كما أن الزكاة تصون وجه الإنسان الفقير من ذل الطلب، وتدفع عنه مرارة الفقر والحرمان". (الإنسان والمال في الإسلام، ١٤٠٧هـ، ص٩٨).

والزكاة ركيزة من ركائز بناء المجتمع الإسلامي ودعامة من دعائمه المتينة إذ يستبق الجميع على المعروف فتتحسن ظروف الفقراء . يقول الوكيل: " وإيتاء الزكاة : عروة وثقى، ودعامة في بناء ا لمجتمع المتكافل، إذ ليس في المجتمع الإسلامي من يعيش لنفسه، أو يستأثر بشيء دون إخوانه، لأن الإسلام علمهم أن المال مال الله، وأن الله جعل

المال في أيديهم لينفقوا منه توكلاً على النحو الذي يأمرهم به الذي استخلفهم فيه، وبهذا الفهم لا يبخل الإنسان، ولا يفتر غني ولا يحقد فقير، ويسارع الجميع في استباق المعروف، فينفق الأغنياء وتتحسن ظروف الفقراء ويتعاطف الناس بعضهم على بعض ويعيشون إخوة متحابين" (قواعد البناء في المجتمع الإسلامي، ١٤٠٧هـ، ص١٥٧-١٥٨).

من هنا حرص الإسلام على فرضها ليحل التكافل فترسى دعائمه، وتنبثق منه المحبة فتحل بين أفراد المجتمع الإسلامي، فيصبح مجتمعاً متماسكاً محباً لبعضه حريصاً كل منهم على مصلحة أخيه .

ثانياً: تنمية الأخلاق الحسنة والأعمال الصالحة :

للزكاة دور فاعل وأثر كبير في تنمية كل خلق حسن، والقضاء على كل خلق قبيح، وهي تسمو بكل عمل صالح يصلح به المجتمع وتحط كل عمل سيء فيه هلاك للمجتمع. فأي خلق أعظم من أن يحرص المسلم على راحة أخيه فيتعهده بما يملك حتى يعيش في هذه الحالة إنساناً مكرماً يتصف بصفات الآخرين ويعيش عيشة المكرمين فهو خلق نبيل، حث عليه الإسلام فانبثقت من إثره حبائل المودة في كل ناحية، وقويت وشائج الإخاء في كل صوب، فظهر الإنسان المسلم محباً لأخيه، وحريصاً عليه في كل وقت وفي أي زمان.

يقول الربيعة: " وفي إخراج الزكاة دليل صادق على ما يعتمل في القلب من مشاعر الأخوة الإنسانية، وما يكمن فيها من الروابط الأخوية التي يثيرها ما ترى عليه أخاه المسلم من وضع متدهور، وحالة سيئة، فتكسب بهذه المشاعر الطيبة وما يصدقها إخراج الزكاة، تكسب بذلك الإخاء والمودة، والأمن والاستقرار وتبعد عن شبح الفوضى والاضطراب الذي يسببه التباغض والتحاسد من جراء منع الزكاة وحرمان المحتاجين من حقوق الله " . (صور من سماحة الإسلام، ١٤٠٧هـ، ص٥٤) .

والزكاة من منطلق حرصها على الإخاء والمودة والترابط بين المسلمين في المجتمع أيضاً تدرب المسلم على صفات عظيمة مثل الكرم والسخاء والجود، والبعد عن دنايا الصفات من شح وبخل، فهي تكون بهذه الصفات قد أوجدت العلاقات الحسنة والروابط المتينة بين أفراد المجتمع المسلم . إذ يشعر كل إنسان بمسؤوليته تجاه الآخرين . يقول نجاتي : " وفريضة الزكاة التي تفرض على المسلم إخراج نصيب معلوم من ماله كل عام لإنفاقه على الفقراء إنما هي تدريب للمسلم على العطف على المحتاجين من الناس، ومد يد العون إليهم ومساعدتهم على سد حاجاتهم الضرورية. إنها تقوي في المسلم الشعور بالمشاركة الوجدانية مع الفقراء والمساكين، وتبث فيه الشعور بالمسؤولية نحوهم، وتدفعه إلى العمل على إسعادهم والترفيه عنهم . إنها تعلم المسلم حب الآخرين، وتخلصه من الأنانية وحب الذات والبخل والطمع . وقدرة الفرد على حب الناس وإسداء الخير إليهم والعمل على إسعادهم يقوي فيه الشعور بالانتماء الاجتماعي، ويشعره بدوره الفعّال المفيد في المجتمع، مما يجعله يشعر بالرضا عن نفسه، وهو أمر له أهمية في صحة الإنسان النفسية" . (القرآن وعلم النفس، ١٤١٤هـ، ص٢٩٥) .

من هنا يدرك كل مسلم كيف كانت الزكاة وسيلة من وسائل تطهير النفس والسمو بها عن الشح والبخل، لذلك فإن تزكية النفس تعتبر أعلى خلق يمكن أن تتخلق بها الإنسانية إذ بصفاء النفس وتزكيتها تهون كل الصعاب وتحل كل المشاكل وتذلل كل العقبات وهذا ما يسعى إليه كل مجتمع وما يصبو إليه كل فرد مسلم . يقول المودودي: " إن الله افترض علينا هذه الزكاة، كما افترض الصلاة والصيام، وهي ركن مهم من أركان الإسلام، لأنها تحلي المسلمين بأوصاف التضحية والإيثار لوجه الله تعالى، وتزيل عن قلوبهم الأثرة وحب الذات وضيق الصدر وعبودية المال وما إليها من الصفات الدنيئة الأخرى . والزكاة تروض المسلم على هذه التضحية وتجعله قابلاً لئلا يثاقل إلى أمواله، ولا يجعل يده مغلولة إلى

عنقه إذا بلغ الأمر مبلغ الجد، واقتضى بذل المال بل ينفقها بكل انشراح وطيب خاطر منه".
(مبادئ الإسلام، د. ت، ص ١٣٩-١٤٠).

فينبغي أن يتحلى بها كل مسلم ويتصف كل مؤمن، حتى تسموالنفس فتتوج بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف .

ثالثاً: جلب النماء والزيادة للمال :

إن من فضل الله سبحانه وتعالى على عباده أنه حين أمر بالزكاة وحث عليها وعلى أدائها وعد بزيادة المال الذي صرف فيها لأن المال مال الله وهو الرزاق، فيرزق المتقي الذي يؤدي الزكاة من حيث لا يعلم . قال تعالى : ﴿... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق، ٢-٣) ، وقال تعالى : ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (البقرة، ٢٧٦)، وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبأ، ٣٩).

ففي هذه الآيات يخبر الله سبحانه بزيادة ونماء المال المقدم في سبيله ومن أجل إرضائه .

ويقول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة، ٦٠).
حيث يعلّق سالم على مصارف الزكاة ويقول: " ففي حكمتها ما يعود على الفرد بالطهارة والنماء، وفي مصارفها ما يعود على الأمة في نطاق المصالح العامة لجميع طبقات المجتمع، فقد ربطت مصارفها بين الغني والفقير : تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، رفعاً لمستواهم، وبين العامل وصاحب المال والعاملين عليها تشغيلاً للأيدي، وربطت بين المؤمنين ومن يرجى إيمانه المؤلفة قلوبهم تكثيراً للأمة . وربطت بين الحر والعبد في المكاتب وفي الرقاب تحريراً للأرقاء. وبين المدين العارم ومجتمعه والغارمين تشجيعاً على

فعل المروءة. وربطت بين السلم والحرب في تجهيز الغزاة وفي سبيل الله تقوية للجيش وصيانة للدعوة ونشرها . وربطت بين المسافر والمقيم وابن السبيل تأميناً للمواصلات وتنشيطاً للحركة . وكل ذلك مرافق حيوية بالنسبة إلى الأمة كما ترى، ولو نظرنا إلى تلك الجهات لوجدناها بنود ميزانية مكتملة لدولة عظيمة في السلم والحرب " . (تعريف عام بعموميات الإسلام، ١٤٠٨هـ، ص ٨٨-٨٩) .

فمن هذه الأمثلة يبدو واضحاً ويظهر جلياً أهمية الزكاة وأثرها في إنماء المال وزيادته، وإذا علم الإنسان وأيقن أن ما ينفقه هو زيادة وبركة ونماء لماله فإنه سيسارع إلى الانفاق على المحتاجين ومد يد العون لهم دون تردد .

التطبيقات التربوية للصوم

١) ينبغي على الفرد أن يحرص على صيام شهر رمضان ملتزماً بآداب الصيام لأن صيام هذا الشهر ركن من أركان الإسلام الخمسة، ومن صامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، كما ينبغي على الفرد أن يحرص قدر استطاعته على الاكثار من صيام التطوع . فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً "(مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٩هـ، حديث رقم٢٧١١،ص٤٧٠).

٢) ينبغي على الأسرة التي تريد أن تربي أولادها تربية إسلامية صيام شهر رمضان، وصيام ما تستطيع من التطوع، فإذا فعلت ذلك كانت قدوة لأولادها في تقربها إلى ربها بإقامة ما أمر الله به، وعلى الأسرة أن تستخدم مع أبنائها أسلوب الترغيب والترهيب في تعويد الأولاد على الصيام، فتقدم لهم الهدايا لمن صام اليوم كاملاً إذا كان صغيراً، وتعاقب من أهمل من الأولاد في الصيام إذا كان كبيراً، كما يتحتم على الأسرة أن تقتدي بأسر الصحابة رضوان الله عليهم ؛ حيث كانت أسر الصحابة تدرب أولادها على الصيام وهم صغار . فعن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت : أرسل النبي صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار : " من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائماً فليصم، قالت : فكنا نصومه بعد، ونصوّم صبياننا، ونجعل اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار" (البخاري، صحيح البخاري، ١٤١٩هـ، حديث رقم١٩٦٠، ص٣١٥). يقول الشنتوت : " يجب تدريب الصغار على الصوم وذلك بترغيبهم فيه، وتقديم الهدايا لهم عند الإفطار قبل السابعة من عمرهم، ثم يؤمرون بالصوم في السابعة، ويضربون من أجله في العاشرة" . (دور البيت في تربية الطفل المسلم، ١٤١٠هـ، ص٩٢) .

٣) ينبغي على المدرسة ممثلة في مناهجها ومعلميها أن تغرس وتنمي في نفوس التلاميذ حب الصيام، حيث تتضمن المناهج المدرسية موضوعات عن الصيام وفضله وآدابه، وكيفية صيام الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم. والمعلم يكون قدوة لتلاميذه في تطبيق الصيام حيث يكون متمسكاً بآداب الصيام، فيحفظ لسانه عن السب والشتم وغير ذلك من الأشياء المنافية للصوم، ويبين للتلاميذ فضل الصيام وآدابه وأن الصوم ليس عن الطعام والشراب فقط بل هناك مفطرات معنوية مثل : الكذب، وشهادة الزور، والغيبة والنميمة، ويشجع التلاميذ على الصيام وخاصة إذا كانوا صغاراً وذلك من أجل تدريبهم على الصيام، ويكون نشيطاً مجداً غير متهاون في عمله وتدريسه .

٤) ينبغي على المجتمع ممثلاً في مؤسساته المختلفة أن يبرز أهمية هذه الشعيرة الإسلامية ويبين فضلها وآدابها، حيث يتطرق أئمة المساجد وخطباؤها إلى هذه الفريضة الإسلامية في خطبهم ويفقهون الناس وخاصة الشباب بأهمية الصيام وفضله وآدابه ومفطراته عن طريق الدروس التي يلقونها كل يوم مثلاً بعد صلاة العصر وفي يوم الجمعة وغير ذلك من المناسبات، ويذكرون الناس بأوقات صيام التطوع مثل صيام يوم عرفة وصيام يوم عاشوراء ويبينون فضلها. كما أن وسائل الإعلام المقروءة منها والمرئية والمسموعة مسؤولة عن توعية الناس وحثهم على الصيام وفضله وآدابه من خلال إقامة المحاضرات والندوات، ودعوة بعض المشايخ لإلقاء بعض الدروس اليومية عن الصيام وفضله وكيفية صيام المسلم يومه وليله . وكذلك الأندية الأدبية والرياضية ينبغي أن تغرس هذه الشعيرة في نفوس مرتاديها بالأساليب التربوية المناسبة .

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الصوم

أولاً: صدق الإيمان بالله تعالى :

إن المسلم إذا صام ترك ما تشتهيه نفسه من مأكل أو مشرب أو نكاح لله تعالى، ولذلك قدم ما يحبه الله تعالى على ما تحبه نفسه وهذا أكبر دليل على صدق إيمانه بربه. يقول ابن عثيمين :" إن الإنسان لا يترك محبوباً له إلا لما هو أعظم عنده منه، ولما علم المؤمن أن رضا الله في الصيام بترك شهواته المجبول على محبتها قدم رضا مولاه على هواه فتركها أشد ما يكون شوقاً إليها، لأن لذته وراحة نفسه في ترك ذلك لله عز وجل، ولذلك كان كثير من المؤمنين لو ضرب أو حبس على أن يفطر يوماً في رمضان بدون عذر لم يفطر وهذه الحكمة من أبلغ حكم الصيام وأعظمها" . (مجالس شهر رمضان، ١٤١٢هـ، ص ٤١-٤٢) .

ثانياً: التدريب على الصبر وتحمل المشاق :

إن المسلم حينما يمنع نفسه في شهر رمضان عن الطعام والشراب، فإنه يدرب نفسه على الصبر، وضبط نفسه أمام المثيرات والمغريات، كذلك يدرب نفسه على تحمل مشاق بعض العبادات كالجهاد وقيام الليل، يقول القاضي : " ومن أهداف الصيام تربية نفس المسلم على الصبر على مالا يصبر عليه عادة فهو بذلك يتحرر من ذاته ويتربى على ضبط أعصابه فلا يثور لأول مؤثر بل يقيم الاعتدال في طبيعته وحركته" . (أضواء على التربية في الإسلام، ١٤٠٠هـ، ص ١٧٩-١٨٠) .

ولذلك يلاحظ أن المسلم بعد صيام شهر رمضان أفضل منه قبل الصيام، لأنه استفاد من صيامه وتدرب على تقوية إرادته . يقول الميداني : " المسلمون حينما يصومون شهر رمضان صوماً صحيحاً على الوجه المشروع مقتدين في صيامهم بعمل الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنهم يدخلون مدرسة هذا الشهر في كل سنة ويخرجون منها حاملين شهادة خاصة من شهادات تربية الإرادة على الطاعة الإلزامية ضد أقوى دوافع الإنسان وغرائزه

الدائمة، مع القدرة على المراقبة والمحاسبة الذاتية، وممارسة صدق التعامل مع الله عز وجل، والإخلاص له". (الصيام ورمضان، ١٤٠٧هـ، ص١٦٦).

ثالثاً: تربية المسلم على مكارم الأخلاق :

إن المسلم إذا صام وجب عليه أن يلتزم بآداب الصيام، وأن يمتنع عن السب والشتم والظلم والعدوان، وعن الغيبة والنميمة، وأن يكون ليناً سهلاً عطوفاً جواداً رحيماً، وإذا جاهد الإنسان نفسه ودرّبها على هذه المكارم صارت من خلقه ومن طبيعته. يقول الميداني: " وحين يواظب المسلم على ضبط نفسه في رمضان مع جمهور المسلمين الصائمين على التزام التخلق بالأخلاق الإسلامية والتأدب بالآداب الإسلامية، فإن رمضان يكون له مدرسة عظيمة يتدرب فيها على التزام مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب " . (الصيام ورمضان، ١٤٠٧هـ، ص١٦٨) .

رابعاً: تضييق مجاري الشيطان في الجسم :

إن الجوع والعطش يضيق مجاري الدم في الجسم، وبالتالي تضيق مجاري الشيطان في البدن، وتذهب وساوسه عن المسلم، فلا يقدم على ارتكاب المعاصي والآثام، ولذلك نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم يوصي الشباب الذين لا يستطيعون أن يتحكموا في غرائزهم بالصوم، فعن عبد الرحمن بن يزيد قال : " دخلت مع علقمة والأسود على عبد الله ، فقال عبد الله : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شباباً لا نجد شيئاً، فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم : يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" . (البخاري، صحيح البخاري، ١٤١٩هـ، حديث رقم ٥٠٦٦، ص٩٠٧).

التطبيقات التربوية للجهاد في سبيل الله

١) ينبغي على الفرد أن يعلم أنه يجب عليه الجهاد في أمرين :

الأول : إذا استنفر الإمام أي طلب ولي الأمر من المسلمين الجهاد في سبيل الله، فإنه يجب على كل مسلم طاعة ولي الأمر .

الثاني : إذا داهم العدو بلاد المسلمين، فإنه يجب الجهاد في سبيل الله لرد عدوان العدو وحماية بلاد المسلمين .

ويكون جهاد العدو باليد، والمال، واللسان والقلب لقوله صلى الله عليه وسلم: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم" . (أبو داود، السنن، ١٤٢٠هـ، حديث رقم ٢٥٠٤، ص٣٦٣) . وينبغي على الفرد أن يجاهد الفساق باليد واللسان والقلب، لقوله صلى الله عليه وسلم : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" . (مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٩هـ، حديث رقم ١٧٧، ص٤٢) .

كما ينبغي على الفرد أن يجاهد الشيطان، وذلك بدفع ما يأتي به من الشبهات، وترك ما يزينه من الشهوات لقوله تعالى : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (فاطر، ٦) . وعلى الفرد أيضاً أن يجاهد نفسه، وذلك بحملها على أن تتعلم أمور الدين وتعمل بها وتعلمها، وبصرفها عن هواها ومقاومة رعوناتها . (الجزائري، منهاج المسلم، ١٤١٩هـ، ص٤٤٢).

٢) ينبغي على الأسرة ممثلة في الوالدين أن يعلموا أولادهم حكم الجهاد، وأنواعه، والحكمة منه، وفضله، وأركانه، وآدابه، ويحسن بالوالدين أن ينفقا من أموالهما لصالح المجاهدين في سبيل الله في بقاع الأرض ويحثا أولادهما على ذلك .

٣) ينبغي على المدرسة ممثلة في مديرها ومعلميها أن يعلموا التلاميذ حكم الجهاد، وأنواعه، والحكمة منه، وفضله، وأركانه، وآدابه . ويحسن بالمعلمين أن يعرضوا

بعض الأشرطة التي تصور جهاد المسلمين في بقاع الأرض مثل : البوسنة والهرسك، وكوسوفا، والشيشان، كما ينبغي أن يتسابق منسوبو المدرسة من إداريين ومعلمين وتلاميذ على التبرع بالمال للمجاهدين في سبيل الله في بقاع الأرض. وينبغي أيضاً أن تكون المناهج الدراسية متضمنة لموضوعات الجهاد .

٤) ينبغي على المجتمع عدم الركون إلى الدنيا وملذاتها فإن ذلك يورث الذل، وإنما الواجب الإعداد للجهاد في سبيل الله للظفر بإحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة في سبيل الله . يقول الجزائري : " وجب على المسلمين سواء كانوا دولة واحدة أو دولاً شتى أن يعدوا من السلاح ويهيئوا من العتاد الحربي ويدربوا من الرجال على فنون الحرب والقتال ما يمكنهم لا من رد هجمات العدو فحسب، بل في الغزو في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ونشر العدل والخير والرحمة في الأرض . كما وجب أيضاً على المسلمين أن يكون التجنيد إجبارياً بينهم . فما من شاب يبلغ الثامنة عشرة من عمره إلا يضطر إلى الخدمة العسكرية لمدة سنة ونصف، يحسن خلالها سائر فنون الحرب والقتال، ويسجل بعدها اسمه في ديوان الجيش العام، ويكون بذلك مستعداً لداعي الجهاد في أية لحظة يدعوه فيها، ومع صلاح نيته قد يجري له عمل المرابط في سبيل الله، ما دام اسمه في ذلك الديوان العام .

كما يجب على المسلمين أن يعدوا من المصانع الحربية المنتجة لكل سلاح وجد في العالم، أو يجد فيه، ولو أدى ذلك بهم إلى ترك كل ما ليس بضروري من المأكل والمشرب والملبس والمسكن . الأمر الذي يجعلهم يقومون بواجب الجهاد ويؤدون فريضته على أحسن الوجوه وأكملها . وإلا فهم آثمون وعرضة لعذاب الله في الدنيا والآخرة" (منهاج المسلم، ١٤١٩هـ، ص٤٤٦-٤٤٧).

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الجهاد في سبيل الله

أولاً: يربي المؤمن على الشجاعة وعدم الخوف من الموت، وعدم الخوف من المخاطر؛ مع أن الخوف في النفس البشرية أمر طبيعي ومفطور عليه . فالإنسان يخاف الموت ويخاف الفقر ويخاف العجز ويخاف الألم الحسي والمعنوي .. فكلها مخاوف يخافها الإنسان . وقد عمل الإسلام على توجيه المسلم أن ينفض عنه المخاوف الزائفة، وأذكى فيه وربى شخصه على المخاوف الحقيقية التي ينبغي أن يخاف منها، فالخوف من الموت خوف زائف، لأن الأجل محتوم ومحدود، والموت حقيقة الحقائق، لا مفر منه البتة، فلماذا يخاف المؤمن من الموت ما دام أنه لم يخلد أحد من قبل ؟ وهو سنة الله في الحياة، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آل عمران، ١٨٥) ، وقال تعالى : ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ (النساء، ٧٨) . فالخوف من الموت خوف زائف، والمؤمن يحب لقاء الله، وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه : " من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه" . (مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٩هـ، حديث رقم ٦٨٢٠، ص١١٦٨).

ثانياً: يربي في المؤمن زيادة الثقة بالله ونصره، ما دام الجيش المسلم ملتزماً بإسلامه: قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد، ٧) . وهذه حقيقة لا بد أن يعلمها كل مسلم، ويوقن بها كل مؤمن : أن الإعداد المادي مطلوب، ويجب بذل الجهد في ذلك مع الاعتقاد أنه ليس موجباً للنصر، وإنما لإرهاب العدو وأخذاً بالأسباب: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال، ١٠)، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال، ٦٠).

ثالثاً: الجهاد في سبيل الله يربي المؤمن على القوة البدنية والقوة السلاحية : ونلحظ ذلك من خلال قوله تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ

اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال، ٦٠)، ومن خلال قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ (التوبة،١٢٣).

وقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم في التربية البدنية ومنها : الرمي والفروسية والسباحة والمحافظة على الجسد من الأمراض، والتداوي والنظافة وكل ما من شأنه تقوية البدن، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول : " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل " . ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوى الرمي، ألا إن القوة الرمي ". (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ، حديث رقم ٤٩٤٦، ص٨٥٧) .

رابعاً: الجهاد سبب من أسباب وحدة المسلمين أمام أعدائهم : فإذا اجتمعت كلمة المسلمين وتوحدت صفوفهم كانوا قوة وأولي بأس على من عاداهم، لأن نصر الله يؤيدهم، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ (الصف،٤).

خامساً: الجهاد أقوى وسلة لرد كيد الطامعين والطغاة، وتحرير الناس من ظلم الظالمين، واستبداد المستبدين، قال تعالى : ﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة، ١٣-١٥).

سادساً: " الجهاد خير وسيلة لاستقلالية الأمة، واكتفائها ذاتياً، وتفردها في اتخاذ القرارات، وعمل ما ترى فيه مصلحة لدنياها وأخراها، وبذلك لن تكون تابعة لشرق أو غرب، وقد جعل الله تعالى أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس، وأهلها للقيادة والرياسة، وحذرها من أن تتهاون في أمر الجهاد فتتكالب على قصعتها الأمم فتذل وتقاد، وتجرفها التيارات الإلحادية والعلمانية" . (النعمان، مبادئ تربوية، ١٤١٩هـ، ص٣٦٨).

التطبيقات التربوية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

١) ينبغي على الفرد أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر وفق الضوابط الشرعية التي بينها العلماء ؛ وليعلم أن الأمر بالمعروف يشمل جميع الصور الداخلة تحته، سواء كان ذلك عن طريق التعليم، أو التوعية، أو التربية على الإسلام، أو غير ذلك من الصور التي لا تحصى . كما أن النهي عن المنكر يشمل جميع الطرق المشروعة في إزالته، سواء قبل وقوعه أو في أثنائه، كما أنه يدخل في جميع ما نهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم .

٢) ينبغي على الأسرة أن تقوم بواجبها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالوالدان يتبادلان النصح وكل منهما يوجّه الآخر بالحكمة والموعظة الحسنة . والوالدان كذلك يتابعان أولادهما بالتعليم، والتوعية، والتوجيه، والتربية على الفضائل، والتحذير من الرذائل .

٣) ينبغي على المدرسة ممثلة في معلميها القيام بهذا الواجب العظيم ؛ فالمعلم يشرح لطلابه كيف يأمرون بالمعروف في مجتمعهم ويبين لهم صور الأمر بالمعروف وفضله وآثاره الايجابية، كما يبين لهم الآثار المترتبة على عدم القيام به. ويبين لهم كيف ينهون عن المنكر ويشرح لهم مراتب تغيير المنكر . ويوضح لهم الأجور العظيمة لمن يزيلون المنكرات ويطمسونها . كما يوضح أن المجتمع آثم إذا لم يقم بهذا الواجب العظيم وهو مهدد بالهلاك . وينبغي أن تكون المناهج الدراسية متضمنة لموضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٤) ينبغي على المجتمع أن يعمل أفراده جميعاً على نشر الخير والمعروف ومحاربة المنكر والتقليل منه . وقد بين السبت بعض الوسائل التي يقوم بها المجتمع للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي :

أ - الخطب في أيام الجمع والأعياد والمجامع العامة .. وكذلك المحاضرات والندوات والمواعظ .. وربط موضوعاتها بواقع الناس .. ومعالجة مشاكلهم وتقويم انحرافاتهم .

ب – محاولة توجيه الرأي العام نحو المعروف والخير، ليمد الناس يدهم إلى الدعاة ويتعاونوا معهم على نشر الفضيلة وهدم الرذيلة .

جـ - العناية بتربية الأفراد على الإسلام وهو أمر لا بد منه لتثبيت الدعوة وتقوية جانبها .

د - الإنكار المباشر للمنكر وعدم إهمال ذلك .. فلو قام كل بواجبه لقلّت المنكرات كثيراً مما هي عليه الآن .. فإذا أنكر هذا وهذا والآخر انحسر المنكر وأخفاه أهله .. !

هـ - كتابة الرسائل الخاصة للمقصرين، ونشر الرسائل العامة ليقرأها الناس ويطلعوا على ما تضمنته من النصح والإرشاد، وكذلك نشر الأشرطة وإهداؤها وبيعها وتوزيعها .. وكذا الكتب .

و - نشر العلم الشرعي بمختلف الوسائل، ففي كثير من الأحيان يقع الناس بالمعصية من جراء الجهل بحكمها .. ويترك آخرون الإنكار لجهلهم بالحكم .

ز - الإحسان إلى الناس فبه يكسب المرء ودهم فيقبلون منه ويقتدون به .

ح - إيجاد الشعور بالمسؤولية من قبل الجميع، ونبذ صفة عدم المبالاة التي تفتح الباب لانتشار المنكر وظهوره .

ط - رفع راية الجهاد وإعلاؤها، فبها تنكس رايات الكفر والمعصية ويرتفع لواء الإيمان . (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ١٤١٥هـ، ص٤٠٨-٤٠٩)

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أولاً: إقامة الملة والشريعة وحفظ العقيدة لتكون كلمة الله هي العليا :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (البقرة، ٢٥١)، وقال تعالى : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (الحج، ٤٠)، وقال تعالى : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ (البقرة، ١٩٣)، وقال تعالى : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (الأنفال، ٣٩) .

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحفظ عقيدة الأمة ويحرسها من الانحرافات ويحميها من الأفكار الخطيرة . يقول السبت : " فإذا أهملنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شعر الناس بالخواء الفكري والروحي، وبدؤوا يبحثون عما يسد جوعتهم، ويملأ نفوسهم وقلوبهم، واتجهوا إلى المبادئ الأرضية والأفكار المتعفنة، وهجمت عليهم الانحرافات بأنواعها وألوانها التي لا تحصى، ومن ثم يتلقفهم شياطين الجن والإنس على مختلف رتبهم وتخصصاتهم من مشككين ومشرعين .. إلخ .

وبالتالي تظهر الفترة، وتستحكم الغربة، ويصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً" . (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ١٤١٥هـ، ص٧٩-٨٠) .

ثانياً: رفع العقوبات العامة :

قال الله تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى، ٣٠) . وقال تعالى في الجواب عن سبب مصابهم يوم أحد : ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ (آل عمران، ١٦٥). فالكفر والمعاصي بأنواعها سبب للمصائب والمهالك، قال تعالى : ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ...﴾ (هود، ١١٦)، وقال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (هود، ١١٧) . يقول قطب : " وهذه الإشارة تكشف عن سنة من سنن الله في الأمم، فإن

الأمة التي يقع فيها الظلم والفساد فيجدان من ينهض لدفعهما هي أمم ناجية لا يأخذها الله بالعذاب والتدمير، فأما الأمم التي يظلم فيها الظالمون، ويفسد فيها المفسدون، فلا ينهض من يدفع الظلم والفساد، أو يكون فيها من يستنكر ذلك، ولكنه لا يبلغ أن يؤثر في الواقع الفاسد فهي أمم مهدرة بالدمار والهلاك كما هي سنة الله تعالى في خلقه، وبهذا تعلم أن دعاة الإصلاح المناهضون للطغيان والظلم والفساد هم صمّام الأمان للأمم والشعوب، وهذا يبرز قيمة كفاح المكافحين للخير والصلاح الواقفين للظلم والفساد، إنهم لا يؤدون واجبهم لربهم ولدينهم فحسب، إنما هم يحولون بهذا دون أممهم وغضب الله واستحقاق النكال والضياع " .(في ظلال القرآن، ١٤٠٦هـ، جـ١،ص١٩٣٣ بتصرف).

ثالثاً: التجافي عن صفات المنافقين، وظهور الفرقان بين صفاتهم وصفات المؤمنين:

ذلك أن من أخص صفات المؤمنين القيام بهذا العمل الطيب. قال تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ... ﴾ (التوبة، ٧١).

كما أن ترك القيام بهذا العمل يعد من صفات المنافقين البارزة، كما أخبر الله عز وجل عن ذلك بقوله : ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ (التوبة، ٦٧) .

رابعاً : الشعور بالعزة والطموح وحسن الاستقامة :

بقيام المسلمين بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحصل لهم الطموح والترفع عن الدنايا، كما يحصل لهم الشعور بأنهم ربانيون يصلحون الناس، وحينئذ يكونون قدوة حسنة بصلاح أنفسهم وحسن استقامتهم، مما يجعلهم يحاسبون أنفسهم على أصغر زلة، وهذه بحد ذاتها فائدة عظيمة جداً اقتضتها حكمة الله في تهيئة هذه الأمة لقيادة غيرها من الأمم . (الدوسري، صفوة الآثار والمفاهيم، د.ت، جـ٤، ص٢٧٤)

خامساً: استقامة الموازين، واتزان المفاهيم :

فيجلو أمر المنكر أمام الناس، ويعلمون أنه منكر، كما يعلمون أن هذا الأمر المعين من المعروف، ومن ثم يقبلون على هذا ويعرضون عن ذاك، بخلاف ما إذا عطل جانب الأمر والنهي، فقد يتوهم كثير من الناس في كثير من المنكرات أنها من المعروف، كما يتوهم كثير منهم كذلك في كثير من أمور المعروف وخصاله أنها من المنكر، فيشنعون على فاعلها، ويقفون في طريقه، كما هو حاصل في هذا العصر.

سادساً: شد ظهر المؤمن وتقويته ورفع عزيمته، وإرغام أنف المنافق :

فإن المؤمن يقوى ويعتز حينما ينتشر الخير والصلاح ويوحد الله ولا يشرك به، وتضمحل المنكرات على إثر ذلك، بينما يخنس المنافق بذلك ويشرق، ويكون ذلك سبباً لغمه وضيق صدره وحسرته، لأنه لا يحب ظهور هذا الأمر ولا انتشاره بين الخلق . قال سفيان الثوري : " إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن، وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق" . (الخلال، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ١٤٠٦هـ، ص٦٧).

التطبيقات التربوية للحمد

١) ينبغي على الفرد أن يعترف بفضل الله سبحانه وتعالى ونعمته عليه، ويحمده ويشكره، وذلك بالامتثال لأوامره والاجتناب لنواهيه، ويقدم الشكر لكل من أسدى إليه معروفاً أو قدم له خدمة ويرد له جميله إن استطاع إلى ذلك سبيلاً ؛ لأن نكران الجميل ليس من صفات المسلم . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن أتى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا، فادعوا له حتى يعلم أن قد كافأتموه" . (البخاري، الأدب المفرد، ١٤٠٩هـ، حديث رقم ٢١٦، ص٨٥) . والمسلم يحسن إلى غيره ويتصدق على الفقراء والمساكين وكل محتاج لأنه يعرف أن ذلك من حمد الله تعالى وشكره .

٢) ينبغي على الأسرة أن تدرب أبناءها على شكر الله سبحانه وتعالى مثل قولهم : من أنعم علينا بهذا الطعام ؟ وماذا ينبغي أن نقول بعد الأكل ؟ أو بعد الشرب ؟ والهدف من ذلك هو غرس هذه الصفة في نفوس الأولاد وتنميتها . يقول مبيض : " يحسن بالوالد أن يشكر زوجته كلما بذلت جهداً أو قدمت مساعدة، ويحسن بها أن تشكره كلما جلب شيئاً أو تعب في مساعدة أفراد الأسرة، ويحسن بهما أن يعودا أولادهما على ذلك، فيشكر الأخ أخاه والأخت أخاها، والأخ أخته كلما قدم أحدهم مساعدة للآخر، أو كلما بذل جهداً في خدمة أفراد الأسرة، وأن نعودهم على حمد الله وشكره بعد تناول الطعام والدعاء للوالد بالرزق وشكره كلما اشترى لهم حاجة، ونشجعهم على تقديم الهدايا بالمناسبات لأصحاب الفضل عليهم، كالمعلمين والمرشدين وغيرهم" (أخلاق المسلم، ١٤١١هـ، ص١٨٤) .

كما ينبغي على الأسرة أن تطبق الشكر ؛ فالزوجة تقدم الشكر لزوجها كلما قدم لها أو لأولادها خدمة أو اشترى لهم بعض الهدايا، والأب يقدم الشكر لكل من الزوجة

والأولاد إذا قدموا له أي خدمة، وذلك من أجل أن يقتدي بهما الأولاد، والوالدان يدّربان أبناءهما على شكر الناس، بحيث يشكر كل طفل أخاه إذا قدّم له خدمة .

٣) ينبغي على المدرسة أن تطبق هذه الصفة العظيمة، عن طريق المعلم الذي يجب عليه أن يذكّر التلاميذ بنعم الله سبحانه وتعالى وكيفية شكره على كل نعمة من نعمه، كما عليه أن يراقب سلوك تلاميذه بحيث يلاحظ ما يقوله كل تلميذ لزميله إذا استعار منه كتاباً أو قلماً أو غير ذلك، ويشجع التلاميذ على بذل المعروف وإسداء الجميل إلى كل واحد، سواء في المدرسة أو في الشارع، كل ذلك كفيل بغرس هذه الصفة في نفوس التلاميذ وتنميتها لديهم، ويقوم المسؤولون عن إعداد المناهج الدراسية بتضمينها بعض الموضوعات التي تبين بعض نعم الله تعالى على خلقه، والواجب على المسلم نحو هذه النعم، وكيفية شكر الله تعالى عليها، وحث التلاميذ على إسداء المعروف ورد الجميل لكل فاعل خير .

٤) ينبغي على المجتمع أن يغرس هذه الصفة في نفوس النشء، حيث يقوم أئمة المساجد والدعاة بتذكير الناس بنعم الله تعالى، وحثهم على حمد الله تعالى وشكره على ذلك، وحث الناس على الإحسان إلى بعضهم بعضاً، ومكافأة المحسن وشكره على إحسانه، ووسائل الإعلام المختلفة تذكر الناس بنعم الله تعالى وتحثهم على شكره وتبين لهم فضل الشكر، وتحث الناس على تقديم يد العون إلى بعضهم بعضاً ومكافأة المحسن وشكره، والأندية الأدبية والرياضية تغرس هذه الصفة في نفوس مرتاديها من خلال تعاملها معهم، وبيان فضل الشكر للناس وآثاره من خلال المحاضرات والندوات التي تقيمها .

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الحمد

أولاً: تقدير قيمة النعمة وصرفها في أوجه الخير :

إن الله هو صاحب الفضل على عباده فهو المنعم المتفضل عليهم إن شاء سلبها منهم وإن شاء زادهم منها، وشكره سبحانه وتعالى على نعمه سبب في زيادتها لعبده وعدم زوالها عنه، فقد وعد من شكره بالزيادة، وتوعد من كفره بالسلب، كما قال تعالى : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم، ٧) . يقول الشوكاني في تفسير الآية : " لئن شكرتم إنعامي عليكم بما ذكر لأزيدنكم نعمة إلى نعمة تفضلاً مني" . (فتح القدير، ١٣٨٣هـ، جـ٣، ص٩٦) . ولذلك كلما شكر الإنسان ربه على نعمة من نعمه زاده منها على قدر شكره له. ويقول ابن القيم : " الشكر معه المزيد أبداً، فمتى لم تر حالك في مزيد فاستقل الشكر" . (مدارج السالكين، د.ت، جـ٢، ص٢٥٦). فإذا علم المسلم أن الله هو المنعم عليه بهذه النعم وأنه لا حول ولا قوة له في جلبها أو منعها عن غيره ، قدرها تقديراً لمن أنعم بها عليه وصرفها في أوجه البر والإحسان ولم يبخل بها على غيره من المحتاجين .

ثانياً: التدريب على مكارم الأخلاق الإسلامية :

إن المسلم الذي يتصف بهذه الصفة العظيمة تدربه وتعوده على العديد من مكارم الأخلاق الإسلامية مثل : الإحسان، والاعتراف بالجميل، والإنصاف، والصدق، والوفاء، والبر والصلة، وحسن الجوار، والعطف على الفقراء والمساكين، والكرم والجود، لأنه يعرف أن شكر الناس من شكر الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لا يشكر الله من لا يشكر الناس" . (البخاري، الأدب المفرد، ١٤٠٩هـ، حديث رقم ٢١٨، ص٨٥) .

ثالثاً: إن الشاكرين من خاصة الله تعالى :

إن من يعترف بفضل الله سبحانه وتعالى وكرمه وكثرة إنعامه عليه ويشكره حق شكره قليل من عباده، كما قال تعالى : ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ، ١٣) . يقول الغزالي: " أشكر العباد أحبهم إلى الله وأقربهم إليه" . (إحياء علوم الدين، ١٤١٩هـ، جـ٤،ص١٠٣). ولذلك امتدح الله سبحانه وتعالى أنبياءه بهذه الصفة الكريمة وهي صفة الحمد والشكر، ولذلك متى داوم المرء على هذه الصفة فهو من الشاكرين .

رابعاً: علو المكانة في الدنيا والآخرة :

إن من يحمد الله سبحانه وتعالى يرفع مقامه في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى : ﴿...وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران، ١٤٤) . يقول ابن القيم : " ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه نفعها في الدنيا ورفع بها درجة في الآخرة" . (عدة الصابرين، ١٣٩٥هـ، ص١٧٢) .

التطبيقات التربوية للصبر

١) ينبغي على الفرد أن يتحلى بالصبر ؛ فيصبر على طاعة الله، ويصبر على معصية الله، ويصبر على أقدار الله . فالحياة منغصاتها كثيرة كما قال الشاعر :

حلاوتها ممزوجة بمـــــرارة وراحتها ممزوجة بعنـــــــاء

فينبغي على الإنسان أن يصبر ويصابر وأن يبتعد عن التضجر والتسخط مهما واجه من هزات عنيفة وصدمات قوية .

٢) ينبغي على الأسرة أن تكون قدوة في التمسك بالصبر، فهي معرضة للنكبات والهزات إلا ما رحم ربي، فينبغي أمام هذا كله الصمود بالصبر وألا يتبرّم الوالدان مما حل بهما، وأن يتخذا من الصبر وسيلة لعبور بحر المصائب إلى شواطئ الآمال المراد تحقيقها . يقول مبيض : " بالقدوة الحسنة وذلك بأن لا يتبرم الوالدان من أوضاعهما المادية أو من ضيق يحل بالأسرة، وإذا أصيبوا بمصيبة وتجلدوا أمام أولادهم أعطوهم درساً مفيداً في الصبر . أما إذا نفذ صبرهم وجزعوا وبكوا تأثر الأولاد بجزعهم وشاركوهم البكاء، وإن تجملوا بالصبر انعكس ذلك على كافة أفراد الأسرة . وإن صبرت الأم على غلاظة جارتها، عودت بنتها على الصبر، وإن تضايقت من جارتها سارعت بنتها بالتبرم والضيق وتصرفت أمام جارتها تصرفاً غير مناسب . بالإضافة إلى صبر التلاميذ وتعويدهم على المذاكرة والاجتهاد " . (أخلاق المسلم، ١٤١١هـ، ص١٩٩-٢٠٠) .

٣) ينبغي على المدرسة أن تنمي حب الصبر في نفوس منسوبيها وأن عليهم أن يكونوا قدوة لغيرهم، وأن تعمل المدرسة جاهدة على تطبيق هذه الصفة، فمعلموها يضعون نصب أعينهم مكانة الصبر فيحاولون تحقيقه بالصبر على تلاميذهم وعلى أعمالهم وعلى النظام المدرسي وعلى سلوكيات التلاميذ ومراعاة فروقهم الفردية، كما ينبغي أن تشتمل المناهج على ما يدعو إلى الصبر، مذكرة بصبر الأنبياء على أقوامهم

وأقاربهم فيتخذ من ذلك المتعلمون الدروس العظيمة والعبر المعينة على تحمل الأذى والتحلي بالصبر وأنه من مكارم الأخلاق وعاقبته حميدة .

٤) ينبغي على المجتمع أن يتحلى بالصبر في شتى المعاملات اليومية، فالحاكم مع رعيته، والرعية مع الحاكم، والجار مع جاره، والقريب مع قريبه، والداعية مع المدعوين، وينبغي أن يتكاتف الجميع في إظهار أهمية الصبر وإبراز عظمته ليكون للآخرين محبباً فيعمل كل منهم على تحقيقه . وينبغي على الدعاة والوعاظ والخطباء أن يبينوا أهمية الصبر والتحلي به، كما ينبغي على الأندية الأدبية والرياضية إظهار تلك الأهمية ، كما ينبغي على الإعلام إبراز أهمية هذه الصفة وآثارها الإيجابية .

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الصبر

أولاً: ظهور المحبة الإلهية وإعلاؤها على محبة النفس :

لقد جبلت النفس الإنسانية على حبها للراحة وبغضها للمتاعب والمصاعب الحياتية وذلك لما تتطلبه هذه المتاعب والآلام من صبر وجلد ولكن في سبيل محبة الله عز وجل وإرضائه تهون كل نفس طمعاً فيما عند الله عز وجل .

ولقد حمل القرآن الكريم ونبّأ بشخصيات كانت مثالاً للصبر يحتذى به وقدوة يقتدى بها مثل أيوب ويعقوب ويوسف وإسماعيل عليهم السلام، بالإضافة إلى الأنبياء والرسل الآخرين الذين لاقوا المصاعب وتحملوا المتاعب في سبيل الدعوة إلى الله وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وما لاقى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، فهاهو بلال بن رباح رضي الله عنه توضع على صدره صخرة عظيمة وهو عاري الجسم في صحراء محرقة وسيده أبو جهل يأمره بأن يكفر بمحمد ويعبد اللات والعزى فما كان من بلال إلا أن ينادي بأعلى صوته ويقول: أحد أحد . وهذا عمار بن ياسر أسلم هو وأمه في أول عهد الدولة فكان مشركو مكة يخرجون به إلى الأبطح ويعذبونه وقد مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة، وقد مات الأب من التعذيب وماتت الأم سمية بطعنة في قلبها من حربة بيد أبي جهل وبقي عمار يعذب على يد مشركي مكة، ثم خباب بن الأرت الذي لاقى من العذاب في سبيل الدعوة الإسلامية والإيمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وغيرهم كثير وهذا دلالة من دلالات محبة الله سبحانه وتعالى وإهانة كل شيء من أجلها . (العمري، السيرةالنبوية الصحيحة، ١٤١٨هـ، جـ١، ص١٥٤)

ثانياً: تعليم الإنسان المثابرة لتحقيق أهدافه :

تحقيق الأهداف والوصول إلى الغايات مطلب صعب، مهما كان نوع الهدف ولا يتحقق إلا بالصبر والمثابرة . يقول نجاتي : " والصبر يعلم الإنسان المثابرة على العمل وبذل المجهود لتحقيق أهدافه العملية والعلمية . فإن معظم أهداف الإنسان في الحياة،

سواء في ميادين الحياة العملية التطبيقية من اجتماعية واقتصادية وسياسية، أو في ميادين البحث العلمي، تحتاج إلى كثير من الوقت، وكثير من الجهد حتى يمكن بلوغها وتحقيقها . ولذلك كانت المثابرة على بذل الجهد، والصبر على معاناة العمل والبحث من الصفات الهامة الضرورية لبلوغ النجاح وتحقيق الأهداف والصبر والمثابرة مرتبطان بقوة الإرادة، فالشخص الصابر القوي الإرادة، لا تضعف عزيمته، ولا تثبط همته مهما لقي من مصاعب وعقبات . وبقوة الإرادة يتمكن الإنسان من إنجاز الأعمال العظيمة، وتحقيق الأهداف العالية" . (القرآن وعلم النفس، ١٤١٤هـ، ص٢٩٩) .

ثالثاً: ظهور المحبة والتعاون بين المجتمع الإسلامي :

عندما يلتزم الإنسان بخلق الصبر ويجعله صفة من صفاته في تعامله مع الآخرين ويوصي به من كان يجهله ويذكر به من كان ينساه . فهو بلا شك محل تقدير الآخرين ومركز محبتهم . يقول المقري : " وبالتواصي بالصبر يبعث إحساس لدى الناس لوحدة الهدف فيحصل التساند والتعاون على الخير كما تسودهم المحبة والألفة ووحدة العزيمة وقوة الإرادة التي لا حياة لأمة إلا بها، ولما كان الصبر معواناً على الشدائد كلها كان عوناً على دفع السيئة بالحسنة، قال تعالى : ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت، ٣٥) . (تربية النفس الإنسانية، ١٤٠٩هـ، ص٢٨٩).

ولابد للإنسان من الصبر حتى يعيش مع مجتمعه عيشة هنية ويحيا حياة سعيدة وإذا صبر كل إنسان على الآخر فإن ذلك من علامات المحبة، ومن ثمار ذلك التعاون بين أفراد المجتمع. يقول مبيض: " الإنسان اجتماعي بطبعه، لا يستطيع أن يعيش منعزلاً عن المجتمع، إذ لابد لكل فرد من أفراد المجتمع أن يقدم خدماته للأخرين، لكي تتأمن مصالح الناس أجمعين، فبتبادل المنافع والخدمات يعيش الإنسان مستفيداً من موارد الطبيعة التي سخرها الله للإنسان، والتعامل مع الناس ليس أمراً سهلاً، نظراً لاختلاف طباع الناس وأخلاقهم وعقلياتهم وتربيتهم . وما دام التعاون ضرورة اجتماعية كان لابد من الصبر

على معاملة الناس واحتمال مالا يروق من تصرفاتهم . ولأن المخالطة مع الصالحين تؤثر في سلوك الآخرين، حيث يتبادل الناس وجهات النظر ويتواصون بالحق ويتناهون عن المنكر، فيتسع أفق التفكير، ويستقيم السلوك " . (أخلاق المسلم، ١٤١١هـ، ص١٩٦) .

فمن هنا تتضح مكانة الصبر ومدى فاعليته في تحقيق الترابط والتعاون وبث روح المحبة والإخاء بين أفراد المجتمع الواحد فليحرص كل مجتمع على التعامل به ليكون يداً واحدة في وجه كل من يريد الإساءة إليه .

التطبيقات التربوية للصدق

١) ينبغي على الفرد المسلم أن يتصف بالصدق وأن يكون الصدق أساس معاملته مع نفسه ومع غيره، كما ينبغي أن يعود نفسه على هذه الصفة العظيمة من خلال اختيار الجلساء الصالحين، والإعراض عن جلساء السوء، والإكثار من قراءة كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وقراءة سير السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، كما ينبغي أن يكون صاحب إرادة قوية وعزيمة صادقة وإيمان وطيد من أجل أن يتصف بهذه الصفة الحميدة .

٢) كما ينبغي على الأسرة المسلمة أن تغرس في نفوس أبنائها هذه الصفة الحميدة بكل الوسائل الممكنة . فالوالدان يكونان قدوة لأولادهما في الاتصاف بالصدق وعدم الكذب أبداً . يقول علوان : " إذا كانت التربية الفاضلة في نظر المربين تعتمد على القدوة الصالحة فجدير بكل مرب مسؤول ألا يكذب على أطفاله بحجة إسكاتهم من بكاء، أو ترغيبهم في أمر، أو تسكينهم من غضب، فإنهم إن فعلوا ذلك يكونوا قد عودوهم عن طريق الإيحاء والمحاكاة والقدوة السيئة على أقبح العادات وأرذل الأخلاق ألا وهي رذيلة الكذب، عدا عن أنهم يفقدون الثقة بأقوالهم، ويضعف جانب التأثير بنصائحهم ومواعظهم" . (تربية الأولاد في الإسلام، ١٤١٢هـ، جـ١، ص١٨٤).

والوالدان يراقبان سلوك أولادهما، ويشجعان من يتصف من الأولاد بالصدق، ويقدمان الجوائز له، ويحذران من يكذب من الأولاد ويحرمانه من بعض الجوائز، ويوضحان لهم فوائد الصدق ومضار الكذب، وذلك من أجل غرس هذه الصفة الحميدة في نفوس الأولاد.

٣) كما ينبغي على المدرسة أن تغرس وتنمي هذه الصفة العظيمة في نفوس التلاميذ، حيث يقوم المسؤولون عن إعداد المناهج الدراسية بتضمينها بعض الموضوعات

التي تحث على الصدق، وتبين مميزاته وآثاره، وتحذر من الكذب وتوضح خطره وآثاره الوخيمة . والمعلم يكون قدوة لتلاميذه في تمسكه بالآداب والأخلاق الإسلامية وعلى رأسها الصدق، ويكون متصفاً بالصدق في كل ما يقوله، فإذا وعد تلاميذه بشيء أوفى به، وإذا أراد تعليمهم سلوكاً فاضلاً يكون مطبقاً له. يقول النحلاوي : "لكي يحقق المعلم اليوم وظيفته التي كلف الله بها الرسل وأتباعهم، يجب أن يتصف بصفات أهمها : أن يكون صادقاً فيما يدعو إليه، وعلامة الصدق أن يطبقه على نفسه. فإذا طابق علمه عمله اتبعه الطلاب وقلدوه في كل من أقواله وأفعاله . أما إذا خالف عمله لما يدعو إليه فإن طلابه يشعرون بعدم عزمه على تحقيق ما يقول أو بعدم إيمانه بما يقول أو بعدم جدية أقواله . وعدم صدق المربي قد يعلم الرياء للطلاب، بدون أن يشعر بذلك، لأن الطلاب وخاصة الناشئين منهم يتأثرون بسلوك معلمهم كما يتأثرون بكلامه فهو قدوتهم في كل ما يقول ويعمل " . (أصول التربية الإسلامية، ١٤٠٣هـ، ص١٥٦-١٥٧) .

وعلى المعلم أن يبين للتلاميذ محاسن الصدق ومساوئ الكذب، ويثني على من يتصف منهم بالصدق أمام زملائه، ويشجعه عن طريق شكره . والمعلم يجلب إليهم بعض القصص والكتيبات التي تحث على الصدق وتحذر من الكذب .

٤) كما ينبغي على المجتمع أن يغرس وينمي الصدق في نفوس الناس، حيث يقوم أئمة المساجد والدعاة بحث الناس على الصدق والاتصاف به وبيان فضله، وما أعد الله لصاحبه ويحذرونهم من الكذب والاتصاف به ويبينون خطره وأثره على المجتمع . وذلك عبر خطبهم ومواعظهم. ووسائل الإعلام المختلفة تغرس هذه الصفة في نفوس الناس عن طريق ما تكتبه أو تقدمه من برامج . والأندية الأدبية والرياضية تغرس هذه الصفة في نفوس مرتاديها من خلال تعاملها معهم . ومن خلال الندوات والمحاضرات التي تقدمها .

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الصدق

أولاً: محبة الناس واحترامهم :

إن من يتصف بالصدق في جميع أحواله، فإنه يكون محبوباً عند الناس كل يحبه ويحترمه ويقدره، إذا تكلم أنصت الناس يستمعون له، وإذا نصح كان لكلامه ونصيحته وقع في قلوب الناس وأثر في سلوكهم، وإذا أراد التعامل مع غيره كان الناس يتسابقون على معاملته والبيع والشراء معه الكل يأمنه ولا يخاف من جانبه . يقول الجار الله: " لا تجد صادقاً إلا مرموقاً بين الناس بالمحبة والثناء والتعظيم . يجوز الشرف وحسن السمعة والاعتبار ويتسابق الناس إلى معاملته، وبذلك تتم له سعادة الدنيا والآخرة . وهذا بخلاف الكذب المرذول، فكلما أفرط المرء في الكذب والإخبار بما لم يقع عرف عند الله وعند خلقه بأنه كذاب . فلا يقام له وزن ولا يأمنه أحد على شيء . فالكذاب يجني على نفسه قبل أن يجني على أحد لا سيما إذا تحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً في السماء والأرض. فالكذب دليل على حقارة الكذاب وخيانته وقلة أدبه . والكذب يفضي بصاحبه إلى اللعن والطرد والفجور المؤدي إلى النار " . (بهجة الناظرين، ١٤١٠هـ، ص٣٩٩) .

ثانياً: الاتصاف بالعدل :

إن من يتحرى الصدق في أقواله وأفعاله وجميع شؤون حياته فإنه بلا شك سوف يكون عادلاً في جميع أحواله، حيث يكون عادلاً مع نفسه لأنه يجنبها موارد الهلاك، والتي من أخطرها الكذب، ويكون عادلاً مع غيره لأنه لا يمكن أن يكذب في بيعه وشرائه وأخذه وعطائه، ويكون عادلاً بين الناس إذا رضوا بأن يكون حكماً بينهم، لا يحابي أحداً على أحد ولا يحكم إلا بعد أن يتثبت من صدق كل واحد منهم . يقول البيجاني : " ومن صدق في حديثه، مخاطباً ومجيباً، وآمراً وناهياً، وتالياً وذاكراً، ومعطياً وآخذاً، كان عند الله والناس صادقاً محبوباً موثوقاً به. شهادته بر، وحكمه عدل، ومعاملته نفع، ومجالسته بركة " . (إصلاح المجتمع، ١٤١٢هـ، ص٧٩-٨٠) .

ثالثاً : من أهم أسباب النجاة في الدنيا والآخرة:

إن الصدق من أهم وسائل النجاة في الدنيا والآخرة فما نجا أحد إلا بصدقه، وما هلك أحد إلا بكذبه وخداعه . فقد نجا كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع من سخط الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بسبب صدقهم لما تخلفوا عن غزوة تبوك . ولأهمية الصدق وإنه من أهم وسائل النجاة أمر الله عباده به فقال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة، ١١٩) . يقول ابن كثير : " أي أصدقوا والزموا الصدق تكونوا من أهله، وتنجوا من المهالك، ويجعل لكم فرجاً من أموركم ومخرجاً" . (تفسير القرآن العظيم، ١٤١٤هـ، جـ٢، ص٥٢٥) .

رابعاً : الاتصاف بالصبر :

إن تعويد النفس على الصدق يحتاج من الفرد إلى إرادة قوية وعزيمة صادقة وإيمان خالص، ومجاهدة لهوى النفس ونزغات الشيطان . وهذا كله يحتاج إلى صبر . فإذا قام الفرد بكل هذا فقد عود نفسه على الصبر . وبذلك يصبح من المتصفين به .

خامساً: أساس كل خير وفضيلة :

إن المسلم إذا اتصف بالصدق كان صدقه من أهم العوامل التي تدل صاحبها وتحثه على أعمال الخير . مثل الوفاء بالعهد، والإحسان إلى الجار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونهاه عن كل رذيلة مثل : الغش، والخداع، والغيبة، والنميمة، وغير ذلك. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً " . (مسلم، صحيح مسلم، ١٤١٩هـ، حديث رقم٦٦٣٧، ص١١٣٨).

التطبيقات التربوية للتعاون

١) ينبغي على الفرد أن يتعاون مع إخوانه المسلمين لما فيه مصلحة المجتمع الإسلامي؛ فيشارك في أعمال البر والتقوى ويقدم ماله وجهده لنصرة إخوانه المسلمين في كل مكان . وألا يكون نفعه مقتصراً على نفسه بل عليه أن يحب للآخرين ما يحب لنفسه فيتعاون مع كل مسلم إن استطاع حسب جهده ووقته لتحقيق الخير والمنفعة لأمة الإسلام .

٢) ينبغي على الأسرة أن تطبق التعاون في بيتها ؛ فالأولاد يساعدون أباهم ويساعدون أمهم في أي عمل يحتاجه الوالدان، والأولاد كذلك فيما بينهم يتعاونون سواء في أعمال البيت أو أعمال المدرسة أو نحو ذلك .

٣) ينبغي على المدرسة ممثلة في مديرها ومعلميها أن يطبقوا هذه الصفة العظيمة، فيتعاونون في تعليم أبناء المسلمين ويؤازر بعضهم البعض في تهذيب سلوك التلاميذ، وتنمية مواهبهم، وصقل عقولهم، وشحذ هممهم، وعلى المعلمين أن يحثوا تلاميذهم باستمرار على التعاون فيما بينهم من أجل تحقيق التفوق والنجاح، كما عليهم أن يقدموا الحوافز للفصل الذي يتعاون طلابه في تقديم الوسائل التعليمية والمبتكرات العلمية والانجازات المختلفة. كما ينبغي أن تكون المناهج الدراسية متضمنة لموضوع التعاون وبيان ثماره .

٤) ينبغي على المجتمع أن يحقق صفة التعاون دائماً من أجل تحقيق النجاح والسعادة في الدنيا والآخرة . يقول النحلاوي : " إن أواصر المحبة التي يقوم عليها التعاون بين أفراد المجتمع المسلم، إنما تقوم على تحقيق الخير والبر وعلى التقوى أي الخوف من ارتكاب معصية أو شرك بالله، أو بعد عن شريعته، أو إيذاء بغير حق، ولذلك نهى الله عن أن يكون التعاون في الإثم والعدوان . وهذا ما يميز التربية الإسلامية، التي تربي المواطن المؤمن على تحقيق البر والعدل دون تعصب، هذا ما

يميزها عن التربية القومية التي تستهدف إيجاد (المواطن الصالح) الذي يتعصب لقومه ووطنه دون أن يستهدف خيراً أو عدلاً أو يبعد شراً عن الآخرين . ومما يحقق معنى التعاون في التربية الاجتماعية الإسلامية، قضاء حاجات الناس والتفريج عنهم، وستر عيوبهم، ونصحهم على انفراد، إن كانت من العيوب التي يمكن تركها.. وهكذا يدرج الناشئ في مجتمع، قائم على الإيثار، بعيد عن الأثرة، مبني على مساعدة الآخرين من أجل الحق والخير، وإدخال السرور وإبعاد الكروب " . (أصول التربية الإسلامية، ١٤٠٣هـ، ص١٨٠-١٨١) .

ويجدر ذكره أن إمام المسجد يضطلع بدور كبير في الاجتماع بأهل المسجد وتحقيق التعاون فيما بينهم للقيام بالأعمال الخيرية مثل : تفقد أحوال الحي، ومساعدة الفقراء والمحتاجين، وإغاثة الملهوفين، وعمل زيارات لجيران المسجد، والاهتمام بطلاب حلقات تحفيظ القرآن بالمسجد، واستضافة العلماء والدعاة لاقامة المحاضرات والندوات وعمل رحلات مفيدة لشباب الحي والاهتمام بهم حتى يكونوا صالحين في أنفسهم مصلحين لغيرهم . كما ينبغي أن يحرص أفراد المجتمع على التعاون من خلال المؤسسات المختلفة مثل : التعاون بين الجمعيات الخيرية، والتعاون بين المراكز الصيفية، والتعاون بين مندوبيات الدعوة والإرشاد، والتعاون بين الأندية الأدبية، والتعاون بين الأندية الرياضية .

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق التعاون

أولاً: التناوب في العمل :

المتعاونان يمكن أن يوزعا الوقت بينهما ليقوم كل واحد بالضروري في حياته، ومن ثم تتوفر الأوقات للأعمال الأخرى مثل : طلب العلم، والدعوة إلى الله، والإصلاح بين الناس. يقول عمر رضي الله عنه : " كنت أنا وجار لي من الأنصار من بني أمية بن زيد - وهي من عوالي المدينة – وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره وإذا نزل فعل مثل ذلك... " إلخ القصة في خبر هجر النبي صلى الله عليه وسلم نساءه. (البخاري، صحيح البخاري، ١٤١٩هـ، حديث رقم ٨٩، ص٢٠) . وقد بوّب لذلك البخاري بقوله : " باب التناوب في العلم " (صحيح البخاري،١٤١٩هـ، ص٢٠) .

قال ابن حجر: " إن الطالب لا يغفل عن النظر في أمر معاشه، ليستعين على طلب العلم وغيره، مع أخذه بالحزم في السؤال عما يفوته يوم غيبته، لما علم من حال عمر أنه كان يتعانى التجارة إذ ذاك" . (فتح الباري، ١٣٩٠هـ، جـ١، ص٢٢٣-٢٢٤) .

ثانياً : الحماية :

قد يتعرض المسلم لعوائق بل لأنواع من الأذى من الناس ؛ فيتخذ من إخوانه وأعوانه ما يعينه على تخفيف الأذى ورفع العدوان . ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل يدعوهم إلى أن يمنعوه ويحموه ؛ ليبلغ دعوة الله، ويبين للناس ما نزل إليهم، وكان مما يقول: " يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي، وتمنعوني، حتى أبين عن الله ما بعثني به" .(ابن هشام، السيرة النبوية، ١٣٧٥هـ، جـ١، ص٤٢٣). وفي بيعة العقبة الكبرى قال عليه الصلاة والسلام : " أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم" . (ابن هشام، السيرة النبوية، ١٣٧٥هـ، جـ١، ص٤٤٢).

الفصل الخامس

التطبيقات التربوية للتحذير من صفات المنافقين في سورة التوبة

التطبيقات التربوية للابتعاد عن الكفر

١) ينبغي على الفرد أن يؤمن بالله إيماناً مطلقاً مطبقاً ذلك في شتى نواحي حياته وجميع تصرفاته منطلقاً نحو تحقيق الهدف الأسمى وهو رضا الله سبحانه وتعالى، مستمداً نهجه من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم معتزاً بهما . وينبغي عليه أن يبتعد عن القوادح المكفرة وهي نواقض الإسلام الموجبة للردة، وهذه النواقض تكون بالقول، أو العمل، أو الاعتقاد، أو الشك .

يقول ابن باز : " فمن النواقض التي تنقض الإسلام : الردة بالقول، مثل : سب الله، وسب الرسول صلى الله عليه وسلم، أو العيب، مثل أن يقول : إن الله ظالم، إن الله بخيل، إن الله فقير، إن الله – جل وعلا – لا يعلم بعض الأمور، أو لا يقدر على بعض الأمور . أو قال مثلاً : إن الله لم يوجب علينا الصلاة، أو قال : الزكاة غير واجبة على الناس، أو قال : صوم رمضان غير واجب على الناس، أو الحج مع الاستطاعة غير واجب على الناس . من قال هذه المقالات كفر إجماعاً، ويستتاب فإن تاب وإلا قتل . وهذه ردة قولية .

والردة الفعلية : مثل : ترك الصلاة عمداً، وكذلك لو استهان بالمصحف الشريف وقعد عليه مستهيناً به، أو لطخه بالنجاسة عمداً، أو وطأه بقدمه يستهين به، فإنه يرتد بذلك عن الإسلام .

ومن الردة الفعلية : كونه يطوف بالقبور يتقرب لأهلها بذلك، أو يصلي لهم أو للجن. وهذه ردة فعلية .

أما دعاؤه إياهم والاستعانة بهم والنذر لهم : فردة قولية .

ومن الكفر الفعلي : كونه يذبح لغير الله ويتقرب لغيره سبحانه بالذبائح، يذبح البعير أو الشاة أو الدجاجة أو البقرة لأصحاب القبور تقرباً إليهم يعبدهم بها، أو للجن يعبدهم بها، أو للكواكب يتقرب إليها بذلك، وهذا ما أهل به لغير الله، فيكون ميتة، ويكون كفراً أكبر .

ومن أنواع الردة العقدية : التي يعتقدها بقلبه وإن لم يتكلم ولم يفعل – بل بقلبه يعتقد- إذا اعتقد بقلبه أن الله جل وعلا فقير أو أنه بخيل أو أنه ظالم، ولو أنه ما تكلم، ولو لم يفعل شيئاً هذا كفر بمجرد هذه العقيدة بإجماع المسلمين .

أو اعتقد بقلبه أنه لا يوجد بعث ولا نشور وأن كل ما جاء هذا ليس له حقيقة، أو اعتقد بقلبه أنه لا يوجد جنة أو نار، ولا حياة أخرى، إذا اعتقد ذلك بقلبه ولو لم يتكلم بشيء، هذا كفر وردة عن الإسلام .

وهكذا لو اعتقد بقلبه – ولو لم يتكلم – أن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس بصادق، أو أنه ليس بخاتم الأنبياء، وأن بعده أنبياء، أو اعتقد أن مسيلمة الكذاب نبي صادق، فإنه يكون كافراً بهذه العقيدة.

أو اعتقد بقلبه – أن نوحاً أو موسى أو عيسى أو غيرهم من الأنبياء عليهم السلام أنهم كاذبين أو أحداً منهم، فهذا ردة عن الإسلام .

أو اعتقد أنه لا بأس أن يدعى مع الله غيره، كالأنبياء أو غيرهم من الناس، أو الشمس والكواكب أو غيرها، إذا اعتقد بقلبه ذلك صار مرتداً عن الإسلام .

أما الردة بالشك فمثل الذي يقول : أنا لا أدري هل الله حق أم لا ؟ . أنا شاك، هذا كافر كفر شك، أو قال : أنا لا أعلم هل البعث حق أم لا ؟ أو قال : أنا لا أدري هل الجنة والنار حق أم لا ؟ .. أنا لا أدري، أنا شاك . فمثل هذا يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كافراً لشكه فيما هو معلوم من الدين بالضرورة وبالنص وبالإجماع* . (القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها، ١٤١٦هـ، ص٢-٣) .

٢) ينبغي على الأسرة أن تنشأ وتنشئ أولادها على الإيمان وحبه وأن تحببهم في الإيمان بالله وأن ترببهم عليه، وأن ترغبهم فيه، وتبين ثمراته . كما ينبغي التحذير من الكفر، وبيان خطورته وأضراره .

٣) ينبغي على المدرسة أن تجعل نصب عينيها تحقيق تثبيت الإيمان في قلوب التلاميذ مهما استخدمت من وسائل مناسبة ومهما بذلت من جهود، فهي من أجله وضعت ولتحقيقه وجدت، فالمناهج يجب أن تكون إيمانية نابعة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بعيدة كل البعد عن التيارات المعادية الهدامة التي تريد القضاء عليه ، وعلى المعلم أن يكون معلماً إيمانياً مستخدماً من أجل تثبيت الإيمان كل مناسب له من الأساليب التربوية محذراً من الكفر ومبيناً خطورته .

٤) ينبغي على المجتمع أن يحذر كل الحذر من الوقوع في نواقض الإسلام الموجبة للردة، سواء بالقول، أو العمل، أو الاعتقاد، أو الشك . وتقع على العلماء والخطباء مسؤولية كبيرة في تحذير الناس من الوقوع في نواقض الإسلام . كما ينبغي على وسائل الإعلام والمنتديات الأدبية والرياضية تثبيت الإيمان في قلوب الناس، وتحذيرهم من النواقض التي تؤدي إلى الكفر والعياذ بالله .

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الابتعاد عن الكفر

تنظم عقيدة التوحيد حياة الإنسان النفسية، وتوحد نوازعه وتفكيره وأهدافه، وتجعل كل عواطفه وسلوكه وعاداته قوى متضافرة متعاونة، ترمي كلها إلى تحقيق هدف واحد هو : الخضوع لله وحده، والشعور بألوهيته وحاكميته ورحمته وقدرته وعلمه لما في النفوس .. وقد ضرب الله لنا مثلاً في القرآن الكريم يبين فضل عقيدة التوحيد في تحقيق وحدة النفس الإنسانية : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر، ٢٩) . فشبه الله النفس الموحدة لربها بالعبد الذي يملكه رجل واحد، فجميع تصرفات هذا العبد تأتي حسب رغبة سيده، وبهذا تهدأ نفسه وتستقيم حياته وتنسجم تصرفاته وفق نظام معين وعلى نسق واحد .. والعكس بالعكس. كذلك المشرك الذي يعلم بفطرته عظمة الله ويشرك مع الله آلهة أخرى، فتراه ينافق للناس، وتارة يتخذ إلهه هواه، وتارة يستعبد المال، وتارة يتعلق بالحياة فينخلع قلبه من الموت أو المرض، وهو في كل ذلك قلق لا يطمئن على نفسه ولا على ماله ولا على شيء من ملذاته.. كما تربي عقيدة التوحيد والإيمان بالله عز وجل عقل الإنسان على بعد النظر وسعة الأفق وحب الإطلاع على أسرار الكون، والطموح إلى معرفة كل شيء. لأن كل ما في الكون يسبح بحمد الله ويشهد بعظمته .

كما تربي عند الإنسان التواضع وعدم التطرف أو الغرور بأي صفة من صفاته الإنسانية، فإذا اغتر بقوته وأراد البطش والظلم تذكر قدرة الله عليه .

كما أن عقيدة التوحيد والإيمان بالله تعالى تذكي روح العمل الصالح والعبادة الخالصة لله تعالى حتى يكون أقرب إلى الله تعالى وأنجى لنفسه يوم القيامة حيث لا تنفع شفاعة الشافعين . إلا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولاً .

كما أن المؤمن متوكل على الله آخذ بالأسباب، عامل دؤوب، مطمئن إلى قضاء الله وقدره يحدوه أمل بالله ورجاء كبير في تيسير الأمور، وشرح الصدور، واستجابة الدعاء.

كما أن عقيدة التوحيد تربي في المؤمن روح الانتماء إلى الله تعالى، والاعتزاز به وموالاته والانضواء تحت لوائه. فالمؤمنون هم حزب الله وهو وليهم وناصرهم، والكافرون لا مولى لهم* . (النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، ١٤٠٣هـ، ص ٧٤-٨٠)

التطبيقات التربوية للابتعاد عن سوء الأدب مع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم

١) ينبغي للفرد أن يتأدب مع الله عز وجل وذلك بشكر نعم الله تعالى . قال تعالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة، ١٥٢). كما ينبغي على الفرد أن يخجل من معصية الله تعالى، ويستحي من مخالفته، والخروج عن طاعته . قال تعالى : ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا *وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (نوح، ١٣-١٤) . وعليه أيضاً الفرار إلى الله تعالى دون غيره، والتوكل عليه وحده. قال تعالى : ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (الذاريات، ٥٠) . وقال تعالى : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة، ٢٣). كما ينبغي على الفرد أن يتضرع إلى الله بخالص الضراعة والدعاء، ويتوسل إليه بطيب القول، وصالح العمل فيكون هذا أدباً منه مع الله مولاه عز وجل . وعلى الفرد أن يكون حسن الظن بالله ؛ إذ ليس من الأدب أن يسيء المرء الظن بالله فيعصيه ويخرج عن طاعته، ويظن أنه غير مطلع عليه، ولا مؤاخذ له على ذنبه . قال تعالى : ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ *وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (فصلت، ٢٢-٢٣) . (الجزائري، منهاج المسلم، ١٤١٩هـ، ص١٠٤-١٠٦ بتصرف)

وينبغي على الفرد أن يتأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم . يقول الجزائري : "يكون الأدب معه صلى الله عليه وسلم :

١ – بطاعته، واقتفاء أثره، وترسم خطاه في جميع مسالك الدنيا والدين .

٢ - أن لا يقدم على حبه وتوقيره وتعظيمه حب مخلوق أو توقيره أو تعظيمه كائناً من كان .

٣ - موالاة من كان يوالي، ومعاداة من كان يعادي، والرضا بما كان يرضى به، والغضب لما كان يغضب له .

٤ - إجلال اسمه وتوقيره عند ذكره، والصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم، واستعظامه وتقدير شمائله وفضائله .

٥ - تصديقه في كل ما أخبر به من أمر الدين والدنيا وشأن الغيب في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

٦ - إحياء سنته وإظهار شريعته، وإبلاغ دعوته، وإنفاذ وصاياه .

٧ - خفض الصوت عند قبره، وفي مسجده لمن أكرمه الله بزيارته، وشرفه بالوقوف على قبره صلى الله عليه وسلم .

٨ - حب الصالحين وموالاتهم بحبه، وبغض الفاسقين ومعاداتهم ببعضه" . (منهاج المسلم، ١٤١٩هـ، ص١١٤-١١٥) .

٢) ينبغي على الأسرة أن تنشئ أولادها على التأدب مع الله عز وجل ومع رسوله صلى الله عليه وسلم وأن تستخدم معهم أسلوب الثواب والعقاب لتحقيق الأدب مع الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام .

٣) ينبغي على المدرسة أن تكون مناهجها متضمنة للموضوعات التي تبين التأدب مع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . كما ينبغي على المعلمين أن يحثوا التلاميذ باستمرار على تحقيق هذه الصفة العظيمة .

٤) ينبغي على المجتمع أن يحقق هذه الصفة من خلال وسائل الإعلام ومن خلال المحاضرات والندوات التي تلقى في المساجد وغيرها، وكذلك يتعين على الأندية الأدبية والرياضية حث مرتاديها على التأدب مع الله جل جلاله ومع رسوله الحبيب عليه الصلاة والسلام .

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الابتعاد عن سوء الأدب مع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم

أولاً: الحصول على التوفيق والرشد في كل الأمور:

من يطع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ويتأدّب مع الله تعالى ومع رسوله صلى الله عليه وسلم يحصل على التوفيق من الله جل جلاله ويرشد في كل أموره ؛ فهؤلاء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا متأدبين مع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فحازوا على نعمة التوفيق والرشد في كل أمورهم فنصر الله بهم دينه وفتحوا المشارق والمغارب وقادوا العالم كله ولم يكونوا أصحاب قوة عسكرية أو كثرة بشرية بل كانوا قلة قليلة ورغم ذلك دان قيصر لهيبتهم، وتمزق ملك كسرى من عزتهم وقوتهم .

ثانياً: الحصول على ولاية الله عز وجل :

بقدر تأدب المؤمن مع ربه ومولاه عز وجل، وتأدبه مع رسوله صلى الله عليه وسلم " تعلو درجته، ويرتفع مقامه، وتسمو مكانته، وتعظم كرامته فيصبح من أهل ولاية الله ورعايته، ومحط رحمته ومنزل نعمته" . (الجزائري، منهاج المسلم، ١٤١٩هـ، ص١٠٧).

التطبيقات التربوية للابتعاد عن الرياء والسمعة

١) ينبغي على الفرد أن يبتعد عن الرياء والسمعة في كل عمل يعمله، وأن يبتغي بأعماله كلها رضا الله عز وجل وليس رضا الناس. يقول الأشقر عن علاج الرياء: "السبيل الأقوم هو أن نلجأ إلى الله محتمين به لائذين بجنابه، كي يخلصنا من الرياء، ويرزقنا الإخلاص، ولنا في إبراهيم خليل الرحمن أسوة إذ توجه إلى ربه كي يخلصه من الشرك الأكبر : ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم، ٣٥) . وليس عبثاً أن شرع الله لنا أن نردد دائماً قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة، ٥)، فهو المعبود وحده دون سواه، فلا نعبد إلا إياه، وهو المستعان وحده في دفع المكروه، وفي الإعانة على الطاعات والمأمورات.

ومن ذلك أن نتعوذ بالله ربنا من هذا الداء العضال ؛ ففي الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم خاطب أصحابه قائلاً : " أيها الناس : اتقوا الشرك؛ فإنه أخفى من دبيب النمل، قالوا : وكيف نتقيه يا رسول الله ؟ قال : قولوا : اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه " (ابن حنبل، المسند، د.ت، جـ٤، ص٤٠٣) .

وقد أرشدنا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى طريقة نخلص بها ديننا لربنا، ونصل بها إلى أعلى المراتب وهي الإحسان، فقال : " تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " . (مسلم، صحيح مسلم،١٤١٩هـ، حديث رقم٩٣،ص٢٥). فالنظر إلى العظماء يوجب مهابتهم وإجلالهم، والأدب معهم إلى أقصى الغايات، فما الظن بالنظر إلى رب الأرض والسماوات ! فإن كان الإنسان لا يستطيع أن يعبد على الصفة الأولى، فليعبد على أن الله يراه وينظر إليه، فالنفوس عندما تستشعر ذلك تستبعد العمل على الغفلة والرياء، وتلتفت إلى الحي القيوم" . (الاخلاص، ١٤١٥هـ، ص١٢٣).

٢) ينبغي على الأسرة ممثلة في الوالدين أن يكونا قدوة لأولادهما في تحقيق الاخلاص والابتعاد عن الرياء ؛ فإذا عملا عملاً فإنهما يخفيانه عن الناس، ويحثان أولادهما على قراءة سير الأنبياء عليهم السلام وسير السلف الصالح للاستفادة من تجردهم لله تعالى وإخلاصهم له سبحانه.

٣) ينبغي على المدرسة ممثلة في مديرها ومعلميها أن يخلصوا لله تعالى في أعمالهم التي أنيطت بهم، وأن يراقبوا الله عز وجل ويعملوا لرضاه . كما ينبغي عليهم أن يحثوا التلاميذ على تحقيق الاخلاص والابتعاد عن الرياء . وعلى المسؤولين عن المناهج الدراسية أن يضمنوها بعض الموضوعات التي تحث على الإخلاص وتبين مميزاته وآثاره، وتحذر من الرياء وتوضح خطره وآثاره الوخيمة .

٤) ينبغي على المجتمع أن يغرس وينمي الاخلاص في نفوس الناس، حيث يقوم العلماء وأئمة المساجد والدعاة بحث الناس على التجرد لله تعالى وبيان فضله، وما أعد الله للمخلصين، ويحذرونهم من الرياء ويبينون خطره وعقوبة المرائين. ووسائل الإعلام المختلفة تغرس هذه الصفة في نفوس الناس عن طريق ما تكتبه أو تقدمه من برامج. والأندية الأدبية والرياضية تغرس هذه الصفة العظيمة في نفوس مرتاديها وذلك من خلال المحاضرات والندوات التي تقيمها .

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الابتعاد عن الرياء والسمعة

أولاً: تحقيق الاخلاص لله وحده :

الإخلاص لا يراد به التوجه إلى الله في عمل من الأعمال، بل المقصود به أن يتوجه المكلف بأعماله كلها إلى الله وحده، دون سواه، فلا يقصد بعبادته ملكاً ولا ملِكاً، ولا يعبد شجراً ولا حجراً ولا شمساً ولا قمراً . فالإخلاص يعني أن يتوجه بالأعمال القلبية لله وحده، كما يتوجه بالأعمال الظاهرة . والإخلاص هو الدين الذي بعث الله به الرسل جميعاً، فكان محور دعوتهم ولبها، وهو الدين الذي طالبت به الرسل الأمم التي أرسلت إليها : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ (البينة، ٥). وكل رسول كان يقول لقومه : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (المؤمنون، ٣٢)، وقد قرر الله لهذه الحقيقة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء، ٢٥)، وقال : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل، ٣٦) .

ثانياً: تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة :

الإنسان يشقى إذا كان توجهه لغير فاطره، ويشقى مرة أخرى لأنَّ همومه تتعدد، وغاياته تتشتت، فإذا لم يكن هم العبد هماً واحداً تقاسمته هموم الدنيا، فعند ذلك لا يدري إلى أين يسير ؟ فمرة يشرق، ومرة يغرب، ويحاول إرضاء هذا مرة، وذاك مرة، والذي رضي عنه قد يغضب عليه، والذي زين له العمل قد يستقبحه منه بعد حين، وعند ذلك يصاب الإنسان بما أسماه علماء النفس بالصراع النفسي، والقلق الروحي، والعقد النفسية والأمراض .

والسعادة تكمن في التوجه إلى الله وحده دون سواه ؛ حيث يشعر المسلم بالراحة النفسية والطمأنينة القلبية هذا في الدنيا، وفي الآخرة يكون من الفائزين السعداء، وتلك السعادة كما يقول الغزالي : " بقاء بلا فناء، ولذة بلا عناء، وسرور بلا حزن، وغنى بلا فقر، وكمال بلا نقصان، وعز بلا ذل " . (ميزان العمل، ١٩٦٤م، ص١٨٠) .

التطبيقات التربوية للابتعاد عن الأيمان الكاذبة

١) ينبغي على الفرد إذا حلف بالله تعالى أن يكون صادقاً، وليحذر من الحلف الكاذب فإنه من الكبائر التي تغضب الله تعالى . ويجب على الفرد أن يستشعر عظمة الله عز وجل ويتأدب معه، فإن من تمام تعظيم الله أن يحترم اسمه العظيم عن كثرة الحلف بالكذب.

٢) ينبغي على الأسرة ممثلة في الوالدين أن يكونا قدوة لأولادهما في الابتعاد عن الأيمان الكاذبة التي تغمس صاحبها في النار، وعلى الوالدين أن يحثا أولادهما على الصدق في الحديث وأن يحترموا اسم الله العظيم ؛ فإذا حلفوا بالله وجب أن يصدقوا. وإذا رأى الوالدان أحداً من أولادهما يحلف بالله كاذباً فعليهما ردعه وزجره وايقاع العقوبة الشديدة به .

٣) ينبغي على المدرسة ممثلة في مديرها ومعلميها أن يطبقوا صفة الصدق في الحديث سواء حلفوا أم لم يحلفوا، وعليهم أن ينبهوا التلاميذ باستمرار، وأن يبينوا لهم خطورة الأيمان الكاذبة وعقوبة صاحبها . كما ينبغي أن تكون المناهج الدراسية متضمنة للوصية بحفظ الأيمان .

٤) ينبغي على المجتمع أن يعظم الخالق عز وجل . ومن تمام هذا التعظيم أن لا يحلف بالله إلا صادقاً. وعلى العلماء والدعاة أن يرشدوا الناس إلى خطورة الأيمان الكاذبة، وبيان عقوبتها في الدنيا والآخرة . كما أن الإعلام المقروء والمسموع والمرئي مسؤول عن توعية الناس وتذكيرهم بهذا الأمر . ويجب أيضاً على الأندية الأدبية والرياضية أن تحث مرتاديها على احترام اسم الله العظيم وتنزيهه عن كثرة الحلف بالكذب .

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الابتعاد عن الأيمان الكاذبة

أولاً: الاتصاف بالتقوى :

إذا حلف المؤمن بالله تعالى فإنه يكون صادقاً . وهذا يدل على تقوى المؤمن لأنه يخاف من ربه عز وجل، ويعلم أن من كمال التوحيد تعظيم الله عز وجل . كما أن المؤمن يعلم أن اليمين الكاذبة الفاجرة لا كفارة لها شرعاً، وليس لصاحبها من سبيل إلا باب التوبة. روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " خمس ليس لهن كفارة : الشرك بالله، وقتل النفس بغير حق، وبهت مؤمن، والفرار يوم الزحف، ويمين صابرة يقتطع بها مالاً بغير حق " . (ابن حنبل، المسند، د.ت، جـ٢، ص٢٦) . وأورده الألباني في (صحيح الجامع،١٤٠٨هـ، جـ١، حديث رقم ٣٢٤٧، ص٦١٧) . واليمين الصابرة : هي اليمين الغموس .

ثانياً: محبة الناس واحترامهم :

المؤمن إذا حلف بالله تعالى صادقاً كسب محبة الناس واحترامهم وتقديرهم . بعكس المنافق الذي يحلف بالله كذباً فإن الناس يكرهونه ويحتقرونه ولا يأمنون جانبه .

التطبيقات التربوية للابتعاد عن الحسد

١) ينبغي على الفرد أن لا يحسد أحداً من الناس، وأن يبغض الحسد، لأن الحسد اعتراض على قسمة الله فضله بين خلقه . يقول الجزائري : " والمسلم إن خطر له خاطر الحسد بحكم بشريته وعدم عصمته قاومه بدفعه من نفسه، وكراهيته له حتى لا يصير هماً أو عزيمة له فيقول بموجبه أو يعمل فيهلك ، وإن أعجبه الشيء قال : ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، وبذلك لا يؤثر فيه ويسلم " . (منهاج المسلم، ١٤١٩هـ، ص٢٤٠).

٢) ينبغي على الأسرة ممثلة في الوالدين أن لا يحسدا غيرهما، وأن يكونا قدوة لأولادهما في حب الخير للآخرين . كما ينبغي على الوالدين أن يعلما أولادهما الآثار السيئة للحسد وأن يدربا أولادهما على حب الخير للجميع .

٣) ينبغي على المدرسة ممثلة في مديرها ومعلميها أن يكونوا أسرة واحدة لا حسد بينهم بل محبة ووئام . وعليهم أن يبينوا للتلاميذ أضرار الحسد، والفرق بين الحسد والمنافسة . كما ينبغي أن تكون المناهج مشتملة على أضرار الحسد وخطورته مع عرض القصص المفيدة.

٤) ينبغي على المجتمع أن يرفض خلق الحسد . حتى يعيش أفراده في محبة وسلام . وتقع على العلماء والخطباء مسؤولية كبيرة في التحذير من الحسد وبيان أضراره . كما ينبغي على الإعلام المقروء والمسموع والمرئي تحذير الناس من الحسد وبيان خطورته . وكذلك على الأندية الأدبية والرياضية حث مرتاديها على المنافسة وتحذيرهم من الحسد .

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الابتعاد عن الحسد

أولاً: الشعور بالراحة النفسية والطمأنينة القلبية :

فإن المؤمن إذا تيقن بأن الحسد اعتراض على قسمة الله فضله بين خلقه وأنه خلق ذميم ووصف قبيح جاهد نفسه على ترك الحسد ودرب نفسه على حب الخير للجميع، وبالتالي يشعر براحة نفسية وطمأنينة قلبية لأنه اطمأن بأن رزقه آتٍ له لا محالة ولن يأخذه أحد غيره .

ثانياً: محبة المؤمنين وعدم كراهيتهم :

فالمؤمن إذا ابتعد عن الحسد لم يكره أحداً من إخوانه المؤمنين ولم يحقد عليه ؛ بل يحب المؤمنين جميعاً ويتمنى الخير لهم ويسعى في خدمتهم . وهذا ما كان عليه المؤمنون في صدر الإسلام حيث بلغت محبة المؤمنين بعضهم بعضاً في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شأواً عظيماً ومن بعدهم السلف الصالح رضوان الله عليهم وما ذلك إلا لصفاء قلوبهم من الحسد ونقائها من الحقد .

التطبيقات التربوية للابتعاد عن نكث العهد

١) ينبغي للفرد أن يلتزم بأوامر ربه وفي مقدمة تلك الأمور التي يلتزم بها الوفاء بالعهد. يقول الهاشمي : " إن حسن إسلام المرء لا تؤكده العبادات التي يقوم بها من صلاة وصيام وحج فحسب، وإنما تؤكده نفسية الإنسان التي تفاعلت بتعاليم الإسلام، وارتشفت من رحيق هداه، حتى غدت تنضح بشذا أخلاقه العالية وقيمه الرفيعة، وأحكامه السمحة . فتراها وقافة عند حدود الله، ملتزمة أمره مجتنبه نهيه، منصاعة لهداه في كل شيء " . (شخصية المسلم، ١٤١٤هـ، ص١٧١). ومن أهم العهود التي يلتزم بالوفاء بها العهد الذي بينه وبين ربه . كما يوفي بكل ما التزم به للناس من دين أو مساعدة أو قضاء حاجة، ويعرف أن وعد الحر دين عليه يجب الوفاء به.

٢) ينبغي على الأسرة أن تغرس في نفوس أولادها صفة الوفاء بالعهد . حيث يكون الأب قدوة لأولاده في الوفاء بالعهد فإذا وعد أولاده بشيء أوفى به، وإذا وعد أحداً من أصدقائه أو أقاربه أو جيرانه أوفى بعهده . ولذلك إذا رأى الأولاد أباهم حريصاً على الوفاء بالعهد الذي ألزم به نفسه تأثر الأولاد بذلك وغرس في نفوسهم أهمية الوفاء بالعهد . كما أن الأم إذا كانت قدوة لأولادها في الوفاء بعهدها تأثر أبناؤها بها وقلدوها، كما يقوم الوالدان بتوعية أبنائهما بأهمية الوفاء بالعهد، وأنه من خصال وصفات المؤمنين . وإن نكث العهد يعد صفة ذميمة من صفات المنافقين . والوالدان أيضاً يقومان بشراء بعض القصص التي تبين أثر الوفاء بالعهد، ويراقبان سلوك أولادهما ويشجعان من يتصف بالوفاء بالعهد ويحاولان تعديل سلوك من منهم يخلف وعده ولا يوفي بعهد بكل الأساليب الممكنة والمناسبة لتعديل تلك الظاهرة السيئة.

٣) ينبغي على المدرسة ممثلة في مناهجها ومعلميها غرس هذه الصفة في نفوس التلاميذ. حيث يقوم المسؤولون عن إعداد المناهج الدراسية بتضمينها بعض

الموضوعات التي تبين أهمية الوفاء بالعهد، وأنه من صفات وأخلاق عباد الله المؤمنين، وتحذر التلاميذ من إخلاف الوعد وعدم الوفاء بالعهد، وأنه من صفات المنافقين وخصالهم . والمعلم يكون قدوة لتلاميذه في الالتزام بهذه الصفة، فإذا وعد تلاميذه بشيء أوفى به، وإذا واعدوه على شيء حثهم على الوفاء بعهودهم وبين لهم خطر نكث العهد، ويراقب سلوك تلاميذه ويشجع من يراه منهم متصفاً بخلق الوفاء بالعهد ويحاول تعديل سلوك الذي يخلف منهم في مواعيده ولا يوفي بعهوده، ويستغل الاذاعة المدرسية والأنشطة المختلفة لحث التلاميذ على الوفاء بالعهد وبيان فضله وآثاره الحسنة على الفرد والمجتمع بأسره، وينبغي أن تحتوي مكتبة المدرسة على بعض الكتيبات والقصص التي تبين أهمية العهد ووجوب الوفاء به .

٤) ينبغي على المجتمع غرس هذه الصفة في نفوس النشء عن طريق مؤسساته المختلفة، حيث يقوم أئمة المساجد والدعاة بحث الناس على الوفاء بالعهد وبيان فضله. وعلى وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية غرس هذه الصفة في نفوس الناس عبر برامجها ومقالاتها ومحاضراتها وندواتها . كما ينبغي على الأندية الأدبية والرياضية أن تغرس هذه الصفة في نفوس مرتاديها من خلال تعاملها معهم ووفائها بالتزاماتها لهم، ومن خلال عقد بعض المحاضرات والندوات لهذا الغرض النبيل.

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الابتعاد عن نكث العهد

أولاً: صدق الإيمان وكمال التقوى :

مما لاشك فيه أن الموفي بالعهد شخص صادق الإيمان ساع لتحقيق التقوى، مقبل على الله في جميع أموره . قال تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة،١٧٧) . وقال تعالى : ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران، ٧٦) . وقال تعالى : ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة، ٤) .

ثانياً: الابتعاد عن نكث العهد وسيلة من وسائل الاحترام والتقدير :

إن الفرد كثيراً ما يلزم نفسه بعهد أو ميثاق وهذا أمر ليس يصعب على أحد . ولكن الصعوبة عند الوفاء بهذا العهد أو الميثاق . فقد يكلفه هذا الالتزام بعضاً من المال أو المشاق والمتاعب النفسية . ولا يستطيع الوفاء بهذا العهد أو الميثاق إلا من اكتملت رجولته وعرف أن الغدر ليس من شيم الرجال ولا يرضاه الله ورسوله، وعرف أن الوفاء بالعهد سبباً لتقدير الناس واحترامهم له . يقول الزهراني : " يعتبر الوفاء دليلاً على احترام الإنسان لنفسه واعتداده بكرامته لأنه صفة من صفات ذوي الفطرة السليمة والطباع الأصيلة الكريمة . والعرب بخاصة أحفظ الأمم للعهد، وأوفاهم بالوعد، ويرون أن عدم الوفاء بالعهد من أعظم الخصال السيئة التي يذم بها الإنسان ومن أقبح العيوب التي تلصق به" . (صور مشرقة، ١٤١٦هـ، ص٨٤) .

ثالثاً: الابتعاد عن نكث العهد وسيلة من وسائل قضاء الحاجات والثقة بين الناس:

إن الإنسان لا يستغني عن الناس فهو يحتاجهم ويحتاجونه ويستدين منهم ويدينهم، ويعاملهم ويتعامل معهم . فإذا كان من الأوفياء بعهودهم ومواثيقهم استطاع أن يحصل على حاجته وما يريده من عند غيره . وإذا كان معروفاً بين الناس بغدره وإخلافه لوعده لم يحصل على مبتغاه وكلّ تعذر عن قضاء حاجته . فلا يأمن الناس جانبه ولا يعطونه مبتغاه. يقول مصري: " والوفاء يمنح الثقة للوافين ويعرفون بين الناس بأنهم عند كلماتهم ينتهون عندها كما ينتهي الماء عند شاطئيه فلا خوف من اصطيادها ولا العبث بها. من هنا استطاع المسلمون الأوائل بالوفاء أن يكونوا رجال سياسة ورجال اقتصاد ناجحين في معاملاتهم مع الله ثم مع الناس" . (الوفاء بالعهد في القرآن الكريم، ١٤٠٧هـ، ص٢٤٤-٢٤٥).

رابعاً: حصول الأمن وصيانة الدماء:

إذا التزم كل فرد بالوفاء بالعهد أمن الناس على أموالهم ودمائهم وساد المجتمع الراحة النفسية والطمأنينة القلبية، وانتشر الرخاء ؛ وكثرت الخيرات. ولم يقتصر أثر الوفاء بالعهد على الأمن وصيانة الدماء للمسلم فقط ؛ بل إنه يتعدى ذلك إلى الكافر الذي بينه وبين المسلمين عهود ومواثيق . يقول العمر : " لم يقتصر أثر الوفاء بالعهد والميثاق على المسلمين وحدهم، إنما شمل عدل الله الكفار الذين لم يدخلوا في دين الإسلام ولهم عهود مع أولئك المسلمين . فجاءت الآيات صريحة بوجوب الوفاء لهم . وصيانة دمائهم؛ بل إن قتيلهم الذي يُقتل خطأ من قبل المسلمين له مثل ما للقتيل المسلم سواء بسواء . وأكثر من ذلك أن الكافر الذي يطارده المسلمون لقتله عندما يلجأ إلى قوم بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق، ويدخل تحت حكمهم يعصم دمه ويضع حداً لطلبه " . (العهد والميثاق في القرآن الكريم، ١٤١٣هـ، ص٢٠٨) .

التطبيقات التربوية للابتعاد عن أذية المؤمنين

١) ينبغي على الفرد أن يبتعد عن أذية اخوانه المؤمنين بأي نوع من أنواع الأذى ؛ فلا يؤذيهم بلسانه بالسب أو الغيبة أو النميمة أو الافتراء أو القذف، ولا يؤذيهم بيده بالضرب أو الاعتداء بأي شيء، ولا يعتدي على ممتلكاتهم من أرض أو مال أو نحو ذلك، ولا يعتدي على أعراض إخوانه المؤمنين . بل يجب عليه أن يحسن إليهم طاعة لله عز وجل وطمعاً في ثوابه .

٢) ينبغي على الأسرة ممثلة في الوالدين أن يعلما أولادهما أن أذية المؤمنين حرام وأن عاقبتها وخيمة، وأن يدربا أولادهما على الاحسان إلى الناس ؛ فخير الناس أنفعهم للناس. وإذا رأى الوالدان أحداً من أولادهما يعتدي على غيره وجب عليهما أن يعاقبا ولدهما حتى لا يؤذي أحداً مرة أخرى .

٣) ينبغي على المدرسة ممثلة في مديرها ومعلميها أن يراقبوا سلوك التلاميذ وأن يوجهوهم بالتي هي أحسن ؛ وإذا اعتدى تلميذ على زميله وجب على المدرسة أن تعاقب المعتدي حتى لا يتمادى في اعتدائه . كما ينبغي أن تكون المناهج متضمنة لهذا الجانب ومدعمة بالقصص المفيدة التي تجعل التلميذ يبتعد عن أذية إخوانه التلاميذ .

٤) ينبغي على المجتمع أن يهتم بهذا الجانب . فالعلماء والخطباء والوعاظ عليهم مسؤولية كبيرة في توعية الناس بخطورة أذية المؤمنين وأنها تجلب المصائب والشرور. والإعلام المقروء والمسموع والمرئي مسؤول عن توعية الناس بضرورة الاحسان إلى بعضهم بعضاً وعدم الاستهانة بحقوق الآخرين . وكذلك الأندية الأدبية والرياضية ينبغي أن توعي مرتاديها بهذا الأمر، وأن تبين لهم خطورة المظالم في الدنيا والآخرة .

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الابتعاد عن أذية المؤمنين

أولاً: المحبة بين المؤمنين :

المؤمن لا يؤذي أحداً من الناس بلسانه سباباً أو شاتماً، أو عائباً مقبحاً، ولا بيده ضارباً لاكماً، ولا سالباً لمال غيره غاصباً، ولا معترضاً في الطريق صاداً المارة، قاطعاً سبيلهم .

وإذا كان هذا حال كل المؤمنين فإن المحبة تسود بينهم، وينتشر بينهم الإخاء والمودة، وتقوى بينهم الأواصر، فيصبح المجتمع متراحماً متآلفاً كمثل الجسد الواحد .

ثانياً: التفرغ للحقوق الإيجابية :

إذا ابتعد المؤمنون عن أذية بعضهم فإنهم يتفرغون للحقوق الإيجابية التي ندب إليها الشارع الحكيم، وهذه الحقوق مثل : إفشاء السلام ، وإطعام الطعام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، وإبرار القسم، وإجابة الداعي، ونصرة المظلوم، والإصلاح بين الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والوفاء بالوعود والعقود والعهود والمواثيق، والنصيحة، والشفاعة، وقضاء حاجات الغير، وعمل المعروف دون رجاء الجزاء .

التطبيقات التربوية للابتعاد عن البخل

١) ينبغي على الفرد أن يبتعد عن البخل، وأن يكون سخياً كريماً متأسياً في ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان أجود الناس . وليعلم أن الشح والإيمان لا يجتمعان في قلب المؤمن . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً" . (النسائي، السنن، ١٤٢٠هـ، حديث رقم ٣١١٢، ص٤٢٧) . يقول الغزالي : " اعلم أن المال إن كان مفقوداً فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص، وإن كان موجوداً فينبغي أن يكون حاله الإيثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل، فإن السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة" . (احياء علوم الدين، ١٤١٩هـ، جـ٣، ص١٣١٨-١٣١٩).

٢) ينبغي على الأسرة ممثلة في الوالدين أن يكونا كريمين باذلين جزء من أموالهما لذوي الحاجات من الأقارب والأرحام وغيرهم من المسلمين، وأن يحثا أولادهما على دفع ولو الجزء اليسير من أموالهم للفقراء والمساكين والمنكوبين وللمجاهدين في سبيل الله .

٣) ينبغي على المدرسة ممثلة في مديرها ومعلميها أن يتفقدوا أحوال تلاميذهم ويقدموا للمحتاجين منهم الكساء والغذاء والدواء فإنهم إن فعلوا ذلك كسبوا رضا الله عز وجل، وبورك لهم في رزقهم . كما ينبغي أن تكون المناهج متضمنة للموضوعات التي تحث على الجود والكرم وتحذر من الشح والبخل مقرونة بالقصص المفيدة .

٤) ينبغي على المجتمع أن يبتعد عن البخل وأن ينفق قليلاً من المال في سبيل الله طاعة لله عز وجل وامتثالاً لأمره سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ.... ﴾ (البقرة ، ٢٦٧) .

ويجب على العلماء والخطباء أن يحثوا الناس على الانفاق في سبيل الله ويبينوا ثمرته، وأن يحذروا الناس من الشح والبخل ويبينوا خطورته . كما ينبغي أن يقوم الإعلام المقروء والمسموع والمرئي بواجبه في الحث على الجود والكرم والتحذير من الشح والبخل . وعلى الأندية الأدبية والرياضية أن تحث مرتاديها على بذل شيء من أموالهم لإخوانهم المسلمين .

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الابتعاد عن البخل

أولاً : التحلي بصفة السخاء والكرم :

المؤمن خلقه السخاء والكرم، وطبعه البذل وحب الخير للناس لأن نفسه طيبة مشرقة؛ بعكس المنافق الذي يبخل على غيره لأن نفسه خبيثة مظلمة . يقول الجزائري : "السخاء خلق المسلم، والكرم شيمته، والمسلم لا يكون شحيحاً ولا بخيلاً، إذ الشح والبخل خلقان ذميمان منشؤهما خبث النفس وظلمة القلب، والمسلم بإيمانه وعمله الصالح نفسه طاهرة وقلبه مشرق ، فيتنافى مع طهارة نفسه، وإشراق قلبه وصف الشح والبخل فلا يكون المسلم شحيحاً ولا بخيلاً " . (منهاج المسلم، ١٤١٩هـ، ص٢٢٨) .

ثانياً: الحصول على محبة الناس ودعائهم :

فالمؤمن الذي يكون كريماً يحبه الناس ويذكرونه دائماً لأنه يكرمهم ولا يبخل عليهم بشيء . كما أن الناس يدعون لمن يكرمهم بخيري الدنيا والآخرة . وإذا أراد الناس أن يسودوا عليهم سيداً فإنه يشترط أن يكون السيد كريماً وهذا ما نلاحظه في المجتمعات الإسلامية .

التطبيقات التربوية للابتعاد عن الجبن

١) ينبغي على الفرد أن يخشى الله عز وجل وحده ولا يخشى أحداً سواه . وعلى الفرد أن يدرب نفسه على عدم خشية الناس أو الخوف منهم بل يخاف من مولاه وخالقه سبحانه وتعالى ويقبل على طاعته ويجتهد في عبادته . وعلى الفرد أن يدرب نفسه على مواجهة الناس حتى لو أخفق مرة أو مرات إذ لا سبيل لمواجهة الناس إلا بالاقدام والمبادرة . يقول الشاعر :

ومن يتهيب صعود الجبـــال يعش أبد الدهر بين الحفر

ومواجهة الناس تأتي من خلال غشيان مجالسهم ومخالطتهم والاشتراك في الحديث معهم، والتدرب على إلقاء الكلمات أو القصائد أو المواعظ أمامهم .

٢) ينبغي على الأسرة ممثلة في الوالدين أن يدربا أولادهما على إلقاء الكلمات والقصائد والخطب في المنزل وتشجيعهم، وحثهم كذلك على الاشتراك في الإذاعة المدرسية، وحثهم على الالتحاق بالمراكز الصيفية التي تنمي موهبة الالقاء . والسماح لأولادهما بالاشتراك في المخيمات والرحلات التي تنظمها المدرسة أو إدارة التعليم أو المركز الصيفي .

٣) ينبغي على المدرسة ممثلة في مديرها ومعلميها أن يدربوا التلاميذ على الإلقاء من خلال : الإذاعة المدرسية والمسرح والكشافة والتوعية الإسلامية، ويقدموا الحوافز التي تدفع التلاميذ لإلقاء الكلمات أو القصائد أو المواعظ أمام زملائهم . كما ينبغي أن تكون المناهج الدراسية متضمنة للموضوعات التي تحث على الشجاعة وتحذر من الجبن مع إيراد نماذج من بطولات السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .

٤) ينبغي على المجتمع أن يسهم في زرع الثقة في نفوس الناس . وعلى العلماء والخطباء مسؤولية كبيرة في توعية الناس بقيمة الشجاعة وأهميتها وتحذير الناس من الجبن وبيان أضراره . والإعلام كذلك بقنواته مسؤول عن هذا الجانب حيث يمكن تشجيع التلاميذ في المدارس والجامعات بالقاء وتقديم بعض البرامج في الإذاعة والتلفاز. والأندية الأدبية والرياضية ينبغي أن تزرع الثقة في نفوس مرتاديها وتحذرهم من الجبن.

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الابتعاد عن الجبن

أولاً: التحلي بصفة الشجاعة :

المؤمن يدرب نفسه على الشجاعة حتى يكون شجاعاً، ويحرص على الإقدام حتى يصل إلى معالي الأمور، ويبتعد عن الجبن والخور مقتدياً بالرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الأبطال . يقول الجزائري : " إن الشجاعة خلق فاضل، ووصف كريم، وخلة شريفة، لا سيما إذا كانت في العقل كما هي في القلب، وكان صاحبها من أهل الإيمان والعلم، والشجاعة في القلب عدم الخوف مما يخاف عادة، والإقدام على دفع ما يخاف منه بقوة وحزم . وفي العقل المضاء فيما هو الرأي وعدم النظر إلى عاقبة الأمر متى ظهر أنه الحق والمعروف . وقد كان الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم أشجع إنسان على الإطلاق. فلم تكتحل عين الوجود بمثله صلى الله عليه وسلم، ومن أدلة ذلك تكليف الله تعالى له بأن يقاتل وحده في قوله تعالى : ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ... ﴾ (النساء، ٨٤) (هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب، ١٤٠٩هـ، ص٥٣٠).

ثانياً: حصول القوة والهيبة أمام الأعداء:

فإن أعداء الإسلام إذا علموا أن المسلمين يتصفون بصفة الشجاعة – وهذا ما كان عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم – فإنهم يحسبون للمسلمين ألف حساب ويهابون قوتهم ويخشون مواجهتهم .

التطبيقات التربوية للابتعاد عن الطمع

١) ينبغي على الفرد أن يرضى بما قسم الله له في هذه الحياة من الرزق، وأن يكون قنوعاً فإن فعل كان أغنى الناس . وعليه أن يبتعد عن الطمع لأنه صفة ذميمة . يقول الميداني :" ومن الظواهر السلوكية للمنافقين، أن موقفهم في مواطن الطمع موقف الطامع الشره الحسود، إن أعطوا رضوا، وإن لم يعطوا سخطوا وتذمروا ..." (الأخلاق الإسلامية، ١٤٢٠هـ، جـ١، ص٦٠١).

٢) ينبغي على الأسرة ممثلة في الوالدين أن يكونا قنوعين بما قسم الله لهما من الرزق من مال وولد، وأن يبتعدا عن الطمع ويدربا أولادهما على حب القناعة وكره الطمع.

٣) ينبغي على المدرسة أن تكون مناهجها متضمنة للموضوعات التي تحث على القناعة وتحذر من الطمع . كما ينبغي أن يكون المعلمون متصفين بصفة القناعة ، وأن يحثوا التلاميذ على التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح في حبهم للقناعة وكراهيتهم للطمع مع إيراد النماذج والقصص التي تحفز التلاميذ للاقتداء بالسلف الصالح رضوان الله عليهم .

٤) ينبغي على المجتمع أن يتصف بصفة القناعة . ويجب على العلماء والدعاة أن يحثوا الناس على القناعة، وأن يحذروهم من الطمع . كما ينبغي على وسائل الإعلام أن تقوم بدورها من خلال استضافة المفكرين والأدباء الذين يشرحون للناس خطورة الطمع على الفرد والمجتمع . كما يتعين على الأندية الأدبية والرياضية أن تحث مرتاديها على حب القناعة وكراهية الطمع .

الآثار التربوية الناتجة عن تطبيق الابتعاد عن الطمع

أولاً: تحقيق الإيثار :

إذا ابتعد المسلم عن الطمع فإنه يتحلى بصفة الإيثار فهو يؤثر غيره على نفسه، ويتمنى للآخرين أفضل مما يتمنى لنفسه . وقد مدح الله عز وجل المؤثرين على أنفسهم فقال : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر،٩) . يقول الجزائري : " المسلم متى رأى محلاً للإيثار آثر غيره على نفسه، وفضله عليها، فقد يجوع ليشبع غيره، ويعطش ليروي سواه، بل قد يموت في سبيل حياة آخرين، وما ذلك ببعيد ولا غريب على مسلم تشبعت روحه بمعاني الكمال، وانطبعت بطابع الخير وحب الفضيلة والجميل . تلك هي صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة " . (منهاج المسلم، ١٤١٩هـ، ص٢٠٥) .

ثانياً: تحقيق القناعة والرضا :

والمسلم إذا ابتعد عن الطمع فإنه يرضى بما قسم الله تعالى له في هذه الحياة ويقنع بالقليل . وإذا رضيت نفسه وقنعت بقسمة الله تعالى اطمأنت . وقد عدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يرضى بما قسم الله له أغنى الناس . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلّم من يعمل بهن ؟ " فقال أبو هريرة : قلت أنا يا رسول الله ! فأخذ بيدي فعدّ خمساً وقال: "اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب " . (الترمذي، السنن، ١٤٢٠هـ، حديث رقم ٢٣٠٥، ص٥٢٨) .

الخاتمـــــــة

الحمد لله الذي أعان الباحث علـى إتمـام هذه الرسـالة علـى هذه الصـورة، فـالفضل والمنة له أولاً وآخراً و ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (القصص، ٧٠) . وبعد هذه الرحلة المباركة – إن شاء الله تعالى – التي عاش فيها الباحث مع سورة التوبة دراسة واسـتنباطاً حيث تـم الوقـوف علـى صفـات المؤمنيـن وصفات المنافقين في السورة المذكورة، شد انتباه الباحث شـمول السـورة لجميـع جوانـب الحياة الإنسانية، ففي مجال العقيدة تعرضت السورة لجميع أركان الإيمان، وتعرضـت إلـى ثلاثة أنواع من الكفر وهي كفر الشك وكفر الإعراض وكفر الاسـتكبار، واشـتملت السـورة على عدد من نواقض الإسلام منـها : إن الشرك واتخاذ الوسائط من أعظم نواقض الإسلام، وأن من كره شيئاً مما جاء به الرسول صلى الله عليـه وسلم كالجـهاد والزكـاة يخـرج مـن الملة . وحذرت السورة مـن سـوء الأدب مـع الله تعـالى ورسـوله صلـى الله عليـه وسـلم . بالإضافة إلى قضايا عقدية أخرى .

وفي مجال العبادة بينت السورة صفات المؤمنين فهم يحفظون حـدود الله، ويطيعـون الله ورسـوله صلـى الله عليـه وسـلم، ويطلبـون العلـم، ويعبـدون الله، ويتوبـون إليـه، ويحرصون على الطهارة، ويؤدون الصلاة والزكاة والصيام، ويتسـابقون إلـى الجـهاد فـي سـبيل الله، ويـأمرون بـالمعروف وينـهون عـن المنكـر، ويحمـدون الله تعـالى فـي السـراء والضراء . وحذرت السورة من الرياء والسمعة وبينت أنه من صفات المنافقين .

وفي مجال الأخلاق حثت السورة المؤمنين على الاتصاف بالصبر والصدق والتعاون. وبينت السورة صفات المنـافقين التـي يجـب علـى كـل مؤمـن أن يبتعد عنـها حيـث حـذرت السورة من نكث العهد، ومن الوقوع في الأيمان الكاذبة، وحذرت أيضاً من أذية المؤمنين، ومن الوقوع في الحسد، والبخل، والطمع، والجبن .

وقد بين الباحث دور القنوات التعليمية في تربية النشء ابتداءً من الفرد، ثم الأسرة، ثم المدرسة، ثم المجتمع . حيث يتعين على الجميع معالجة قضايا الأمة توجيهاً وإرشاداً وتعليماً وتربية .

هذا ما مَنَّ الله به على الباحث ثم سمح به الوقت، وتوصل إليه فهمه المتواضع، فإن يكن صواباً فمن الله وحده وإن يكن فيه خطأ وقصور فمن الباحث . والله تعالى أعلم .

أما أهم النتائج التي توصل إليها الباحث فهي ما يلي :

أولاً: إن منهج القرآن الكريم في تربية النفوس هو المنهج الأمثل والنموذج الأفضل بعيداً عن شرقي العلوم وغربيها .

ثانياً: إن سورة التوبة من السور التي تعنى بجانب التوجيه والتشريع، كسائر السور المدنية، التي تتناول أسس التربية الإسلامية، وقواعد الإصلاح والبناء، والتشريع المحكم المتين .

ثالثاً: إن الإيمان هو أساس التربية وقاعدتها الصلبة ومعينها الذي لا ينضب .

رابعاً: يجب على الأمة الإسلامية أفراداً وحكومات القيام على حدود الله لتنفيذها في النفس وفي الناس، ومقاومة من يضيعها أو يعتدي عليها .

خامساً: إن الدليل على صدق الإيمان هو طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وقد بينت نصوص الشريعة أهمية هذا الأمر وعظيم أثره في السلوك الفردي والجماعي .

سادساً: إن العلم نبع كل حياة فاضلة، وأساس كل عيشة هنية، وقاعدة كل تصرف حسن جميل، صاحبه مُكرَّم والعامل به فائز، والحاكم بغيره ضال ضلالاً مبيناً .

سابعاً: إن تحقيق العبادة الخالصة لله وحده على منهج الرسول صلى الله عليه وسلم السبيل الوحيد لتحقيق السعادة والاستقرار النفسي للفرد والمجتمع .

ثامناً : إن تحقيق الناس للتوبة النصوح يعود بالخير والفلاح والطمأنينة عليهم .

تاسعاً: إن الطـهارة مـن مميزات المسلم دون غيره مـن أتبـاع الديانـات والمذاهب الأخرى .

عاشراً: إن قيام المسلم بأداء الصلاة علـى الوجـه الأكمل يفرج همـه ويخفف ويلـه ويحقق رغباته وآماله .

الحادي عشر: إن المال مال الله تعالى، وما الناس إلا مستخلفون عليه . فلا يحق لمن استخلفه الله أن يكنزه أو يدخره عن غيره إذا احتاج له .

الثاني عشر: إن الصوم وسيلة لتربية الروح وتزكية النفس وتقوية الجسم .

الثالث عشر : إن الجهاد في سبيل الله شرف عظيم ومنزلة رفيعة . وفيـه مـن الحكم والأسرار الشيء الذي قد يعجز عن إدراكه العقل البشري .

الرابع عشر: إن الله عز وجل قد جعل حماية العقيدة، وصيانة الفضيلـة، وعز الأمـة والفلاح للمؤمنين منوطاً بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الخامس عشر: إن الصبر خلق رفيع وأداة تربوية من اتصف به فقد برهن على كمال شخصيته وأساس تفوقها .

السادس عشر: إن الهجر التربوي له منافعه العظيمة فـي تربيـة المجتمـع الإسـلامي على الاستقامة، ومنع أفراده من التـورط فـي المخالفـات التـي تكـون إمـا بـترك شـيء مـن الواجبات أو فعل شيء من المحرمات .

السـابع عشـر: إن الصـدق مـن أهـم صفـات المؤمنيـن، وهـو الفـارق بيـن المؤمـن والمنافق. ويجب على المربين أن يربوا النشء منذ الصغر على الاتصاف به .

الثامن عشر: إن التعاون ركن من أركان الهداية الاجتماعية . لأن الله سبحانه وتعالى أوجب على الناس إيجاباً دينياً أن يعين بعضهم بعضاً في أعمال البر والتقوى .

التاسع عشر : للكفر آثار خطيرة، وأضـرار جسيمة علـى الفـرد والمجتمـع، كمـا أن للنفاق آثار خطيرة وأضرار مهلكة على الفرد والمجتمع .

العشرون : إن المسلم يعتقد بوجوب الأدب الكامل مع الله عز وجل، ويعتقد بوجوب الأدب الكامل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الواحد والعشرون: إن المسلم يتحرى الاخلاص لله عز وجل في كل عمل يعمله، ويحذر من الوقوع في الرياء والسمعة .

الثاني والعشرون: إن الوفاء بالعهود والالتزام بالمواثيق أساس تقدم الشعوب ورقيها وعزتها وقوتها وهيبتها.

الثالث والعشرون : إنه يتعين على المؤمن أن يعظم الله عز وجل فلا يحلف إلا بالله، ولا يكذب في حلفه . كما يتعين على أهل التربية على وجه الخصوص تربية النشء على عدم الوقوع في الأيمان الكاذبة التي تغمس صاحبها في النار .

الرابع والعشرون : على المسلم أن يحذر من أذية المؤمنين فإن عاقبة ذلك وخيمة .

الخامس والعشرون : المسلم لا يحسد ولا يكون الحسد خلقاً له ولا وصفاً فيه ما دام يحب الخير للجميع .

السادس والعشرون: يجب أن نربي أنفسنا وأولادنا على الكرم والبذل وأن نحذر من الوقوع في البخل .

السابع والعشرون : يجب أن نربي أنفسنا وأولادنا على القناعة وأن نحذر من الوقوع في الطمع .

الثامن والعشرون : إن الجبن آفة خطيرة قعدت بكثير من المسلمين عن أداء دورهم وواجبهم في الحياة . وإنه من الواجب أن نربي أنفسنا وأولادنا على الشجاعة والإقدام.

التاسع والعشرون: إن قيام كل من الفرد والأسرة والمدرسة والمجتمع بدوره المناط به من تطبيق لصفات المؤمنين وتحذير من صفات المنافقين سيعود بالخير والفلاح والنشأة الحسنة والاستقرار النفسي على الجميع .

التوصيـــات

تمر الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر بمرحلة خطيرة توجب على أفرادها السير على الطريق المستقيم الذي يحفظ المسلمين من الزلل ويصونهم من خطر الانحراف ويهديهم إلى سبيل الرشاد . ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بالالتزام بما يلي :

١) إن القرآن الكريم والسنّة النبوية هم المصدران الأساسيان للتربية الإسلامية، فالالتزام بما فيهما من المبادئ والقيم والتوجيهات والسير على منهج المعلم الأول صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً – ما يغني عن المبادئ والأفكار الدخيلة على الإسلام وأهله والتي هي من وضع البشر، الذين يقصر إدراكهم ويغيب عنهم كثيرٌ مما يخطرهم من حاجات الإنسان ومتطلباته، لذا كان لزاماً الاهتمام بدراسة آيات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، واستنباط كنوزهما مما فيه سعادة البشرية في تربية أبنائها، والذي نحن في أمس الحاجة إليه اليوم .

٢) العمل على دراسة الآيات القرآنية والتي تشتمل على توجيهات تربوية وبيان ما اشتملت عليه هذه الآيات من الجوانب عقيدة أو عبادة أو خلقاً أو غيرها .

٣) الاهتمام بتربية الإنسان على الإيمان وأن التربية على العقيدة الصحيحة وغرسها في نفوس الناشئة هو الخط الأول في التربية الإسلامية وهذا يقتضي أن نتخذ العقيدة الإسلامية الصحيحة القاعدة الأولى والهدف الأسمى لتربية الأفراد والجماعات .

٤) الاهتمام بذكر التوجيهات التربوية في منهج التفسير الذي يدرس في مراحل التعليم العام والتعليم العالي .

٥) العمل على تأصيل المناهج الدراسية في مختلف المراحل التعليمية، وصياغتها صياغة إسلامية مركزة مستمدة من الكتاب والسنة متخذة منها المنطلق الأساسي لفحواها وأسلوبها لتخرج لنا جيلاً جديداً صالحاً تنبعث ثقافته من المبادئ الإسلامية الأصيلة .

٦) أن يكون القائمون على التربية والتعليم خير من يتصف بالأخلاق الحسنة، والصفات الحميدة، لأنهم القدوة الصالحة لأبنائهم الطلاب في سلوكهم ومعاملاتهم .

٧) آمل من الأخوة الباحثين استكمال هذا البحث وذلك باستخراج التوجيهات التربوية التي لم يتسنّ للباحث استخراجها نظراً لطول السورة وتعدد موضوعاتها .

٨) الاهتمام بتربية الناشئة على الأخلاق الحميدة والصفات النبيلة في البيت، وفي المدرسة، وفي الشارع، وعلى وسائل الإعلام أن تكون خير أداة للبناء والتكوين الأخلاقي لتسهم في بنائهم مع الأسرة والمدرسة والمجتمع، وألا تكون معول هدم، تفسد ولا تصلح . وتدعو إلى الشر والرذيلة عن طريق موادها الإعلامية .

المصادر والمراجـــع

أولاً: المصادر :

١) **القـــرآن الكريـــم** .

٢) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، (د . ت)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي .

٣) أنس، مالك بن أنس، (١٤٠٥هـ)، كتاب الموطأ، بيروت، جمعية إحياء التراث الإسلامي.

٤) ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات الجزري، (١٣٨٣هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود الطناحي، (د. ن)، المكتبة الإسلامية .

٥) ابن الجوزي، أبو الفرج مال الدين عبد الرحمن، (١٣٨٤هـ)، زاد المسير في علم التفسير، دمشق، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر .

٦) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (د. ت) ، الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم، الدمام، رمادي للنشر.

٧) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (١٤٠٧هـ)، العبودية، بيروت، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط٣ .

٨) ابن جماعة، أبو اسحاق ابراهيم سعد الله، (١٤١٩هـ)، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، عمان، دار المعالي، ط٣ .

٩) أبو داود، سليمان بن الأشعث، (١٤٢٠هـ)، سنن أبي داود، الرياض، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع .

١٠) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (١٣٩٠هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة .

١١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (١٤١٧هـ)، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، الرياض، مكتبة دار السلام، ط٢.

١٢) ابن حنبل، أحمد، (د . ت)، المسند، بيروت، دار صادر .

UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

١٣) ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين، (١٤١٢هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢.

١٤) ابن عبد السلام، العز، (١٣٨٨هـ)، قواعد الأحكام، مصر، مكتبة الكليات الأزهرية.

١٥) ابن عبد الوهاب، محمد، (د . ت)، مجموعة التوحيد، (لم ترد فيه الإشارة إلى الطبعة ومكانها) .

١٦) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (١٣٩٥هـ)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، بيروت، دار الأوقاف الجديدة .

١٧) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (١٤٠٧هـ)، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، بيروت، المكتب الإسلامي .

١٨) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، (١٤١٠هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١٤ .

١٩) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، (د . ت)، مدارج السالكين في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، القاهرة، دار الحديث .

٢٠) ابن كثير، إسماعيل بن كثير بن عماد الدين أبو الفداء، (١٤١٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، الرياض، مكتبة دار السلام .

٢١) ابن كثير، إسماعيل بن كثير بن عماد الدين أبو الفداء، (١٤١٧هـ)، البداية والنهاية، بيروت، دار المعرفة، ط٢.

٢٢) ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعي، (١٤٢٠هـ)، سنن ابن ماجة، الرياض، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع .

٢٣) ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري، (١٣٧٤هـ)، لسان العرب، بيروت، دار الفكر.

٢٤) الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، (د . ن)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، (د . ن)، دار الطباعة المنيرية .

٢٥) البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، (١٤٠٩هـ)، الأدب المفرد، خرج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط٣.

٢٦) البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، (١٤١٩هـ)، صحيح البخاري، الرياض، مكتبة دار السلام، ط٢.

٢٧) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، (د . ت)، دلائل النبوة، بيروت، دار الكتب العلمية .

٢٨) الترمذي، محمد بن عيسى، (١٤٢٠هـ)، سنن الترمذي، الرياض، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع .

٢٩) الذهبي، شمس الدين، (١٤٠٨هـ)، كتاب الكبائر، اختصار عبد الله بن جار الله الجارالله، مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي .

٣٠) الزركشي، بدر الدين، (١٤٠٠هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الفكر، ط٣.

٣١) الزرنوجي، برهان الدين نعمان، (١٤٠٦هـ)، تعليم المتعلم في طريق التعلم، تحقيق وتقديم صلاح محمد الخيمي، نذير حمدان، دمشق، دار ابن كثير .

٣٢) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود، (١٣٨٥هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (د . ن)، مطبعة الحلبي .

٣٣) الشوكاني، محمد بن علي، (١٣٨٣هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مصر، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، ط٢.

٣٤) الصنعاني، محمد بن اسماعيل، (د . ت)، سبل السلام، مصر، المكتبة التجارية الكبرى .

٣٥) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (١٤١٥هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت، مؤسسة الرسالة .

٣٦) الغزالي، أبو حامد محمد، (١٤١٩هـ)، إحياء علوم الدين، بيروت، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع .

٣٧) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، (١٤١٨هـ)، الجامع لأحكام القرآن، بيروت، دار الكتاب العربي .

٣٨) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (١٤١٩هـ)، صحيح مسلم، الرياض، مكتبة دار السلام للنشر والتوزيع .

٣٩) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، (١٤٢٠هـ)، سنن النسائي الصغرى، الرياض، دار السلام .

٤٠) النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، (١٤٠٨هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، بيروت، دار القلم .

٤١) النووي، أبو زكريا محي الدين ابن شرف، (د . ت)، تهذيب الأسماء واللغات، بيروت، دار الكتب العلمية .

٤٢) النووي، أبو زكريا محي الدين ابن شرف، (١٣٤٧هـ)، صحيح مسلم بشرح النووي، مكة المكرمة، المكتبة الفيصلية .

ثانياً: المراجع :

٤٣) أبو زهرة، محمد، (١٣٨٥هـ)، تنظيم الإسلام للمجتمع، القاهرة، دارالفكر العربي .

٤٤) أمين، أحمد، (١٩٧٤م)، الأخلاق، بيروت، دار الكتاب العربي .

٤٥) أنيس، إبراهيم، (١٣٩٢هـ)، المعجم الوسيط، القاهرة، دار المعارف، ط٢.

٤٦) ابن أبي العز الحنفي، محمد بن علي بن محمد، (١٤٠٠هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٦.

٤٧) ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، (١٤٠٩هـ)، فضل الجهاد والمجاهدين، الرياض، مطابع المدينة .

٤٨) ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، (١٤١٦هـ)، القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها، الرياض، اعتنى بنشرها خالد الشايع .

٤٩) ابن حميد، صالح بن عبد الله، (١٤١٩هـ)، التعاون بين الدعاة مبادؤه وثمراته، القويعية، المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد .

٥٠) ابن عثيمين، محمد بن صالح، (١٤١١هـ)، دروس وفتاوى في الحرم المكي، الرياض، مكتبة أولي النهى، ط٢ .

٥١) ابن عثيمين، محمد بن صالح، (١٤١٢هـ)، مجالس شهر رمضان، (د . ن)، دار الندوة .

٥٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، (١٤١٠هـ)، التوبة، القاهرة، مكتبة السنة.

٥٣) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، (١٣٧٥هـ)، السيرة النبوية، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢.

٥٤) الأبراشي، محمد عطية، (١٣٦٩هـ)، روح التربية والتعليم، (د. ن)، دار إحياء الكتب العربية، ط٤ .

٥٥) الأشقر، عمر سليمان، (١٤١٥هـ)، الإخلاص، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط٣.

٥٦) الأصبهاني، الراغب، (د . ت)، محاضرات الأدباء، بيروت، دار الفكر .

٥٧) الألباني، محمد ناصر الدين، (١٤٠٨هـ)، صحيح الجامع، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٣ .

٥٨) الألباني، محمد ناصر الدين، (١٤١٥هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف .

٥٩) البيانوني، محمد أبو الفتح، (١٤٠٤هـ)، العبادة، القاهرة، دار السلام.

٦٠) البيانوني، محمد أبو الفتح، (١٩٩١م)، المدخل إلى علم الدعوة، بيروت، مؤسسة الرسالة .

٦١) البيحاني، محمد بن سالم بن حسين، (١٤١٢هـ)، إصلاح المجتمع، جدة، دار المجتمع، ط٣.

٦٢) الجاحظ، عمرو بن بحر، (١٣٩٩هـ)، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد، القاهرة، مكتبة الخانجي .

٦٣) الجزائري، أبو بكر جابر، (١٤٠٩هـ)، هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب، جدة، دار الشروق، ط٣.

٦٤) الجزائري، أبو بكر جابر، (١٤١٥هـ)، نداءات الرحمن لأهل الإيمان، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط٢.

٦٥) الجزائري، أبو بكر جابر، (١٤١٩هـ)، أيسر التفاسير، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم .

٦٦) الجزائري، أبو بكر جابر، (١٤١٩هـ)، منهاج المسلم، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط٦.

٦٧) الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري، (١٤١٨هـ)، الصحاح، بيروت، دار الفكر.

٦٨) الحافظ، عمر بن موسى، (١٤١٦هـ)، وقفات مع سورة التوبة، الرياض، دار القاسم للنشر .

٦٩) الحمصي، محمد حسن، (د . ت)، الإيمان بالله، (د . ن)، دار الرشيد .

٧٠) الحميدي، عبد العزيز عبد الله، (١٤٠٩هـ)، المنافقون في القرآن الكريم، جدة، دار المجتمع .

٧١) الحميدي، عبد العزيز عبد الله، (١٤٢٠هـ)، مواقف إيمانية وتربوية من خبر كعب ابن مالك وصاحبيه . (مقال غير منشور) .

٧٢) الخزيم، صالح بن ناصر، (١٤١٨هـ)، الصبر، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢.

٧٣) الخلال، احمد بن محمد بن هارون، (١٤٠٦هـ)، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية .

٧٤) الدقس، كامل، (١٣٩٢هـ)، آيات الجهاد في القرآن الكريم، الكويت، دار البيان.

٧٥) الدقس، كامل، (١٣٩٦هـ)، العلاقات الدولية في الإسلام على ضوء الإعجاز البياني في سورة التوبة، جدة، دار الشروق .

٧٦) الدوسري، عبد الرحمن، (د . ت) ، صفوة الآثار والمفاهيم. (لم ترد فيه الإشارة إلى الطبعة ومكانها) .

٧٧) الذهبي، محمد حسين، (١٤٠٨هـ)، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، بيروت، دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع .

٧٨) الربيعة، عبد العزيز بن عبد الرحمن، (١٤٠٧هـ)، صور من سماحة الإسلام، (د.ن)، ط٢.

٧٩) الزرقاني، محمد عبد العظيم، (١٤١٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢.

٨٠) الزهراني، محمد مسفر بن حسين، (١٤١٦هـ)، صور مشرقة من مكارم الأخلاق في الإسلام، الرياض، مكتبة شمس المعارف .

٨١) السبت، خالد، (١٤١٥هـ)، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لندن، المنتدى الإسلامي .

٨٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (١٤١٦هـ)، القول السديد في مقاصد التوحيد، الرياض، مجموعة التحف النفائس الدولية للنشر والتوزيع .

٨٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (١٤١٩هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، بيروت، مؤسسة الرسالة .

٨٤) السلمان، عبد العزيز المحمد، (١٤١٣هـ)، موارد الظمآن لدروس الزمان، الرياض، مطابع الخالد، ط٢١ .

٨٥) الشنتوت، خالد بن أحمد، (١٤١٠هـ)، دور البيت في تربية الطفل المسلم، المدينة المدينة، مطابع الرشيد .

٨٦) الشهري، صالح بن علي أبو عراد، (١٤١١هـ)، الآداب النبوية التربوية، أبها، مكتبة أبها الحديثة .

٨٧) الصابوني، محمد علي، (١٣٩٩هـ)، إيجاز البيان في سور القرآن، جدة، مكتبة الغزالي، ط٢ .

٨٨) الصابوني، محمد علي، (١٤٠٥هـ)، التبيان في علوم القرآن، مكة المكرمة، عالم الكتب .

٨٩) الصابوني، محمد علي، (١٤٠٩هـ)، من كنوز السنة - دراسة أدبية ولغوية من الحديث الشريف، دمشق، دار القلم، ط٣.

٩٠) الصابوني، محمد علي، (١٤١١هـ)، روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن، دمشق، دار القلم .

٩١) الصباغ، محمد بن لطفي، (١٤١٠هـ)، لمحات في علوم القرآن، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٣.

٩٢) عبد الحق، كايد إبراهيم، (١٣٩٢هـ)، مبادئ في كتابة البحث العلمي والثقافة المكتبية، دمشق، مكتبة دار الفتح .

٩٣) العسكري، أبو هلال، (١٤٠٦هـ)، الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، تحقيق مروان قباني، بيروت، المكتب الإسلامي .

٩٤) العماري، علي محمد حسن، (١٤١٩هـ)، من حديث القرآن عن الإنسان، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، العدد ٨٧.

٩٥) العمر، ناصر بن سليمان، (١٤١٣هـ)، العهد والميثاق في القرآن الكريم، الرياض، دار العاصمة .

٩٦) العمري، أكرم ضياء، (١٤١٨هـ)، السيرة النبوية الصحيحة، الرياض، مكتبة العبيكان، ط٣ .

٩٧) الغزالي، محمد، (١٤٠٦هـ)، خلق المسلم، (د . ن)، مطبعة الفيصل .

٩٨) الغزالي، محمد، (١٩٦٤م)، ميزان العمل، مصر، دار المعارف، مكتبة الغزالي .

٩٩) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (د . ت)، القاموس المحيط، بيروت، دار الجيل.

١٠٠) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (د . ت)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، بيروت، المكتبة العلمية .

١٠١) القاضي، علي، (١٤٠٠هـ)، أضواء على التربية في الإسلام، القاهرة، دار الأنصار.

١٠٢) القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، (١٤٢٠هـ)، نور الإسلام وظلمات الكفر في ضوء الكتاب والسنة، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان .

١٠٣) القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، (١٤٢٠هـ)، نور الإيمان وظلمات النفاق في ضوء الكتاب والسنة، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان .

١٠٤) القرضاوي، يوسف، (١٤٠٥هـ)، العبادة في الإسلام، القاهرة، مكتبة وهبة، ط١٥.

١٠٥) القرضاوي، يوسف، (١٤٠٩هـ)، الخصائص العامة للإسلام، القاهرة، مكتبة وهبة، ط٤.

١٠٦) القرعاوي، محمد بن عبد العزيز السليمان، (١٣٩٩هـ)، الجديد في شرح كتاب التوحيد، الرياض، مكتبة التوفيق، ط٢.

١٠٧) القطان، مناع خليل، (١٤١٧هـ)، مباحث في علوم القرآن، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٢.

١٠٨) الكمالي، عبد الرحمن بن أحمد بن محمد، (د . ت)، المواعظ السنية لأيام شهر رمضان البهية، المدينة المنورة، مكتبة الثقافة .

١٠٩) اللحيدان، صالح بن سعد، (١٤٠٧هـ)، الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفاع، الرياض، مكتبة الحرمين، ط٤.

١١٠) الماوردي، أبو الحسن علي، (١٣٧٥هـ)، أدب الدنيا والدين، (د . ن)، دار الفكر للطباعة والنشر .

١١١) المرصفي، عبد الفتاح السيد عجمي، (١٩٨٢م)، هداية القارى إلى تجويد كلام الباري، القاهرة، دار النصر للطباعة الإسلامية .

١١٢) المقري، أحمد محمد، (١٤٠٩هـ)، تربية النفس الإنسانية في ظل القرآن الكريم، (د.ن)، دار الحافظ للنشر والتوزيع .

١١٣) المودودي، أبو الأعلى، (د. ت)، مبادئ الإسلام، بيروت، المكتب الإسلامي .

١١٤) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، (١٤٠٧هـ)، الصيام ورمضان في السنة والقرآن، بيروت، دار القلم .

١١٥) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، (١٤١٤هـ)، ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، دمشق، دار القلم .

١١٦) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، (١٤٢٠هـ)، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دمشق، دار القلم، ط٥ .

١١٧) النحلاوي، عبد الرحمن، (١٤٠٣هـ)، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دمشق، دار القلم، ط٢.

١١٨) النحلاوي، عبد الرحمن، (١٤٠٨هـ)، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، بيروت، المكتب الإسلامي .

١١٩) الندوي، أبو الحسن علي الحسني، (١٤١٥هـ)، السيرة النبوية، جدة، دار الشروق، ط١٠.

١٢٠) النعمان، مأمون صالح، (١٤١٩هـ)، مبادئ تربوية في آيات النداء للذين آمنوا- دراسة تحليلية، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية.

١٢١) الهاشمي، محمد علي، (١٤١٤هـ)، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، بيروت، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع،ط٥.

١٢٢) الوكيل، محمد السيد، (١٤٠٧هـ)، قواعد البناء في المجتمع الإسلامي، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

١٢٣) الوهيبي، محمد بن عبد الله، (١٤١٦هـ)، نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، الرياض، دارالمسلم للنشر والتوزيع .

١٢٤) حسنين، عبد المنعم، (١٤٠٧هـ)، الإنسان والمال في الإسلام، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ .

١٢٥) حوى، سعيد، (١٤٠٥هـ)، الأساس في التفسير، (د . ن)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢.

١٢٦) دراز، محمد عبد الله، (١٩٨٨م)، النبأ العظيم، الكويت، دار القلم، ط٣.

١٢٧) رضا، محمد رشيد، (د . ت)، تفسير المنار، بيروت، دار الفكر، ط٢.

١٢٨) سالم، عبد الرشيد عبد العزيز، (١٤٠٨هـ)، تعريف عام بعموميات الإسلام، الكويت، دار البحوث العلمية، ط٢.

١٢٩) سرحان، منير المرسي، (١٩٨١م)، في اجتماعيات التربية، بيروت، دارالنهضة العربية للطباعة والنشر، ط٣.

١٣٠) سلطان، ناظم محمد، (١٤١٦هـ)، قواعد وفوائد من الأربعين النووية، الرياض، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط٤.

١٣١) سيد، محمد بن أحمد، (١٤١١هـ)، الذنوب وقبح آثارها على الأفراد والشعوب، جدة، مكتبة السوادي.

١٣٢) شاكر، محمود، (١٤٠٥هـ)، التاريخ الإسلامي، بيروت، المكتب الإسلامي .

١٣٣)شلتوت، محمود، (١٤١٤هـ)، الإسلام عقيدة وشريعة، القاهرة، دار الشروق، ط١٣.

١٣٤)طحان، عبد المهيمن، (١٤١١هـ)، زاد الدعاة، جدة، دار المنارة .

١٣٥)طهماز، عبد الحميد محمود، (١٤١٢هـ)، البلاغ الأخير في سورة التوبة، دمشق، دار القلم.

١٣٦)عبد الله، عبد الرحمن صالح، فودة – حلمي محمد، (١٤٠٨هـ)، المرشد في كتابة البحوث التربوية، جدة، دار المنارة، ط٥ .

١٣٧)عبود، عبد الغني، (١٣٩٧هـ)، في التربية الإسلامية، (د . ن)، دار الفكر العربي.

١٣٨)عزام، عبد الله، (١٤١٠هـ)، عبر وبصائر للجهاد في العصر الحاضر، اليمن، مكتبة الجيل الجديد .

١٣٩)عقيلان، أحمد فرج، (١٤١٩هـ)، من لطائف التفسير، مصر، دار اليقين .

١٤٠)علوان، عبد الله ناصح، (١٤١٢هـ)، تربية الأولاد في الإسلام، حلب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣ .

١٤١)فريد، أحمد، (١٤١١هـ)، البحر الرائق في الزهد والرقائق، جدة، مكتبة الصحابة.

١٤٢)قطب، سيد، (١٤٠٦هـ)، في ظلال القرآن، جدة، دار العلم للطباعة والنشر، ط١٢.

١٤٣)قطب، محمد، (١٤٠٣هـ)، منهج التربية الإسلامية، بيروت، دار الشروق، ط٧.

١٤٤)مبيض، محمد سعيد، (١٤١١هـ)، أخلاق المسلم وكيف نربي أبناءنا عليها، سوريا، مكتبة الغزالي.

١٤٥)محمد، مصلح، (١٤١٣هـ)، العلاج الرباني لمرضى العصر النفساني المال. الجاه. الجنس، بيروت، المكتبة الثقافية .

١٤٦)مصري، حسني أمين، (١٤٠٧هـ)، الوفاء بالعهد في القرآن الكريم، القاهرة، دار المنار.

١٤٧)نجاتي، محمد عثمان، (١٤١٤هـ)، القرآن وعلم النفس، القاهرة، دار الشروق، ط٥.

١٤٨)ياسين، محمد نعيم، (د . ت)، كتاب الإيمان، أركانه حقيقته نواقضه، القاهرة، مكتب التراث الإسلامي .